جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
Ministry of Culture,Tourism and Antiquities \ IRAQ

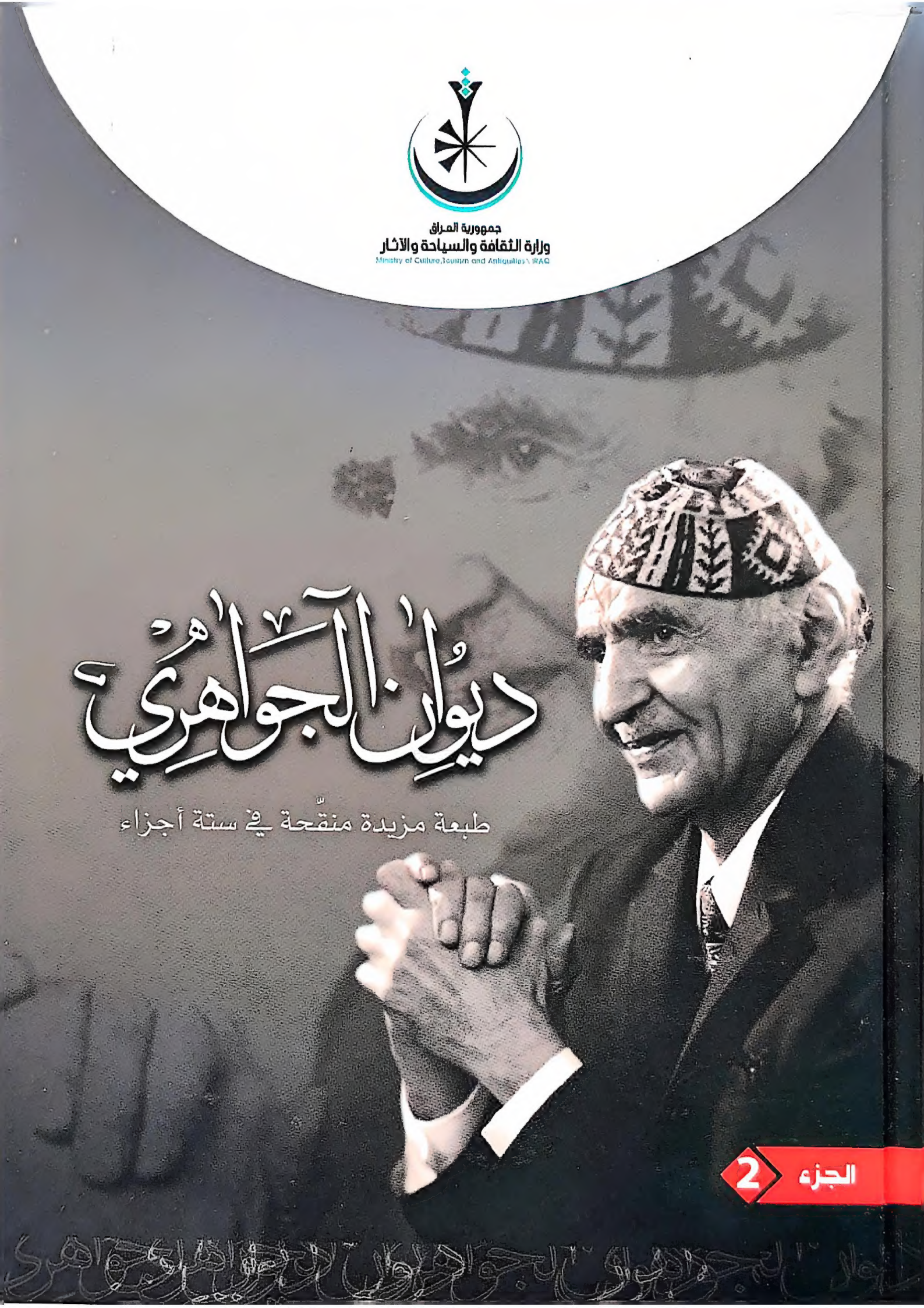

ديوان الجواهري

طبعة مزيدة منقّحة في ستة أجزاء

الجزء 2

ديوان الجواهري

الجزء الثاني

ديوان الجواهري
طبعة مزيدة ملقحة في ستة أجزاء
الجزء الثاني
تأليف: محمد مهدي الجواهري
موضوع الكتاب: شعر
بغداد 2021

الطباعة الالكترونية والتصحيح والإخراج الفني: دار الشؤون الثقافية العامة

عدد الصفحات: 472 صفحة
الحجم: 17 × 24 cm
الرقم الدولي: ISBN 978-9922-641-22-5
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: 2873 لسنة 2020

وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الشؤون الثقافية العامة
العنوان: بغداد – الأعظمية – حي تونس – آفاق عربية
البريد الالكتروني: info@darculture.com
الموقع الالكتروني: www.darculture.com

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، من دون إذن خطي سابق من الناشر.

All right reseved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

محمد مهدي الجواهري

ديوان الجواهري

طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء

الجزء الثاني

لجنة مراجعة الديوان

د. حسن ناظم

د.سعيد عدنان

د. سعيد الزبيدي

د. نادية العزاوي

د. رهبة أسودي حسين

بغداد - 2021

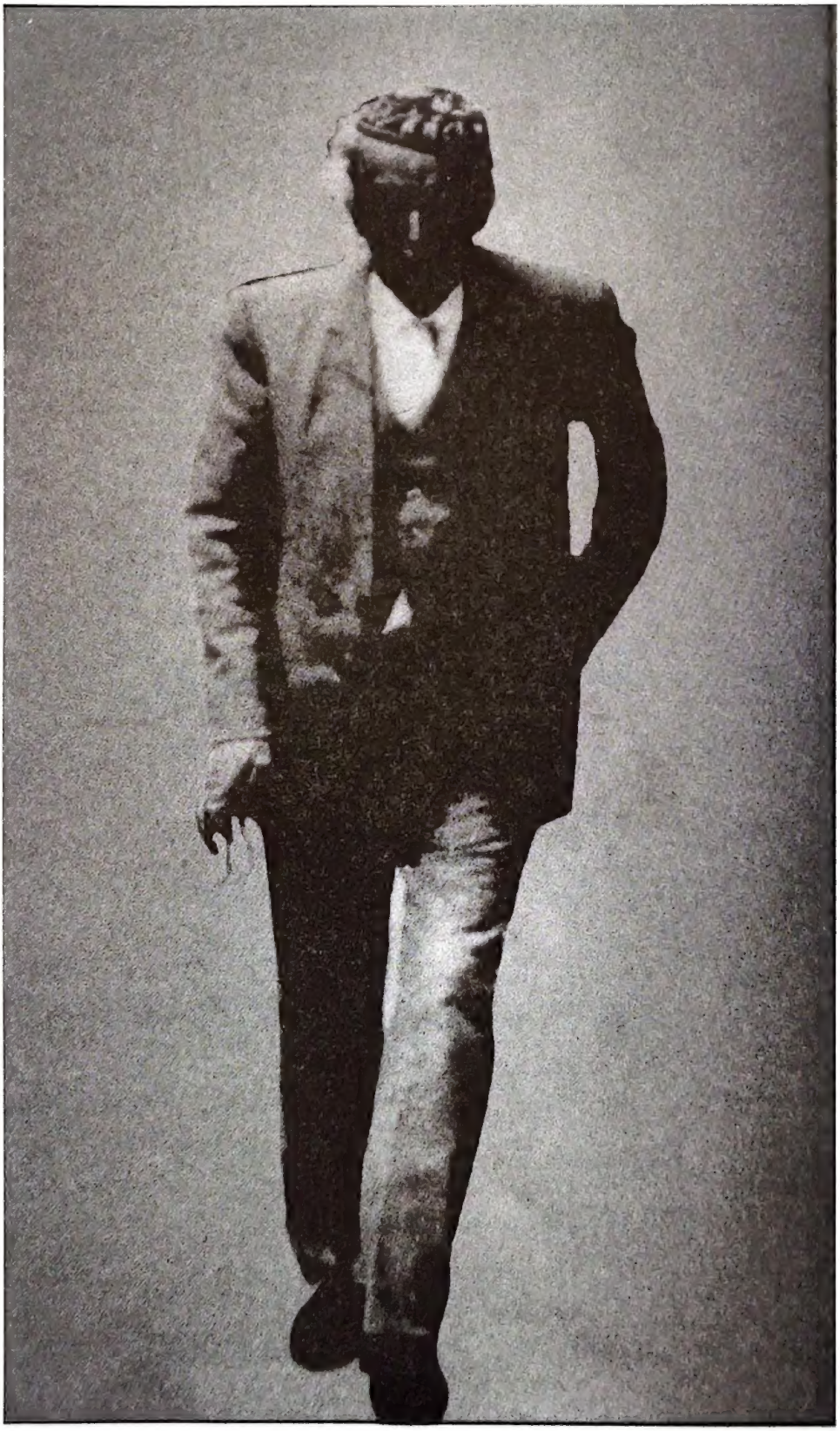

مقدمـة ديوان الجواهـري

طبعة ١٩٣٥

هذا الديوانُ كوّنت بعضَ قصائدِهِ السياسية ظروفٌ مختلفةٌ ودوافعُ متضاربةٌ، أطلقت فيها عنانَ القريحة لتمثلَ الدورَ الذي تلبست به غير محاول فيها ربط الحاضر بالماضي أو المستقبل، ولا التقيد بأن تكون ذات طابع خاص، واتجاهة معينة من حيث الفكرة أو الموضوع، وإنما سرّني أن تجيء صورة صادقة لطوارئ شتى تعاقبت عليّ وحالات شتى تأثرت بها، مصيباً كنت فيها أم مخطئاً، مسيئاً أم محسناً.

ولا يفوتُ الناقدَ الممحّصَ أن يلمسَ وقعَ تلكم الظروف والدوافع على بعض ما احتواه هذا الديوان من هذا الباب.

أما في القصائد الاجتماعية فقد ظهرت في بعضها روحُ الشاعر المتمرد على جلّ أوضاع المجتمع الذي يحيط به، اليائس من إصلاحها بالترميم والترقيع، الداعي إلى خلقها من جديد.

يقابلها في قصائد أخر روحية تأثرت بكثير من هذه الأوضاع، وتشربت بقسم غير قليل من مقتضياتها، وفي ثلّة أخرى ظهر أثر الاضطراب والحيرة بين التملص والانصياع جلياً ملموساً.

أما فيما عدا السياسة والاجتماع من سائر أبواب الشعر، فليس هناك من ظاهرة خاصة أرى بي حاجة إلى التدليل عليها، فقد كنت كسائر شعراء العرب المشاركين في هذه المواضيع إلا ما كان لتخالفَ المناظر الطبيعية في العراق وخارجه ونمو الخيال في الرسم والتصوير على مر الزمن من مسحة ظاهرة في تطور الشعر الوصفي وتحسنه.

وعسى أن يتبينَ القارئُ البصير أثرَ الضغط على القلب واللسان في مواضيع هذا الديوان سواء ذلك في السياسة، أو الاجتماع، أو الأدب المكشوف.

وبعد ((فهذا جناي وخياره فيه)) أقدمه على علّاته ليكون ملكاً مشاعاً للقراء.

محمد مهدي الجواهري

إلى السعدون

ألقيت في مجلس عزاء ((عبد المحسن السعدون)) رئيس الوزراء العراقي بعيد انتحاره.

فـيمَ الوجومُ؟وجـومُكم لا ينفـعُ نَفَـذَ القضـاءُ وحُـمَّ مـا لا يُـدفَعُ
فيمَ الوجـومُ؟ أبـو عـليٍّ قـد مَضـَى وقـد انقضَى الخـيرُ الـذي يُتوقَّـع
وقد اختفى رمـزُ البطولـة، وانطـوتْ تلـكَ المحاسـنُ والشـمائلُ أجمَـع

***

الشـعبُ محتشِـدٌ هنـا يتسـمَّعُ مـاذا يقـولُ الشـاعرُ المتفجِّـع
إحـذرْ لسـاني أن تكـونَ مقالـةً ليسـت تَليـقُ بـه فإنـكَ تُقطَـع
ياسـادتي أمـا اللسـانُ فـواهنٌ مـتلجلجٌ فَلْتُلْهِبَـنْكُمْ أدمُـع
يعتـاقُ إبـداعي ارتبـاكُ عـواطفي فـإذا مَلكـتْ عـواطفي فسـأُبدِع
وسَتَحمدونَ قصـائداً مهمـت عَلَـتْ قَـدْراً فَقَـدْر أبي عـليٍّ أرفَـع

***

أمُّـوا ضريـحَ أبي عـليٍّ وأكشِـفوا فيه الرؤوسَ وفي الشـدائد فـافْزَعوا
وإذا ألَمَّـتْ بـالبلاد مُصـيبةٌ فتوسَّـلوا بزعيمهـا وتضـرَّعوا
قولـوا لـه يـامن لأجـل بـلادِهِ هَـدْراً مضـى: إنَّ الـبلادَ تُـرَوَّع
هـذا الضـريحُ ضريـحُ أمـةٍ يَعـرُبٍ فيـه خِيـار خِصـالِها مُتَجمِّـع
إن كنـتُ لم أسْـجُدْ ولم أركَـع فـما قَدْري، ركعـتُ عليـكَ أو لا أركَـع
فسـيركَعُ الجيـلُ الـذي شرَّفتـه وتمـرُّ أجيـالٌ عليـكَ وتركَـع
ولسـوف تركَـع نخـوةٌ ورويَّـةٌ وشـهامةٌ وصراحـةٌ وتَمَنُّـع

للمـــوتِ فلســـفةٌ وَقفـــتُ إزاءَهـــا مُتخشِّـــعاً وبـــرغم أنفـــي أخشَـــع

أيمـــوتُ شَـــهْمٌ تســـتظل بخـــيره دنيـــا، ويبقـــى خامـــلٌ لا ينفـــع؟

ناشـــدتُهُمْ وقـــد اعْتَليـــتُ حَفـــيرَه أأبـــو عـــليٍّ وَسْـــطَ هـــذا مُـــوَدع؟

أوَ تهـــزأون بقـــدِره مـــا هـــذه الأحجـــارُ مـــا هـــذي الصـــخورُ الأربـــع؟

أهُنـــا ينـــامُ فتـــىً يُهـــابُ ويرتَجـــى أهُنـــا يعـــاف فتـــىً يَضـــرُّ وينفَـــعُ؟

إنهـــض فُـــديتَ "أبـــا عـــليٍّ" وارتجـــلْ بـــين الجُمُـــوع قـــد اســـتَتَمَّ المَجْمَـــع

واســـمعْ تُشَـــرِّفْ باســـتماعِكَ قِيلَتـــي أســـفاً وأنـــكَ مَيِّـــتٌ لا تَســـمَع

مـــاذا فعلـــتَ لقـــد أتَيـــتَ عظيمـــةً ينبـــو الأريـــبُ بهـــا ويَعيَـــا المِصـــقَع؟

وافـــتْ مُروِّعـــةً فهـــوَّنَ خطبَهـــا وأتـــت أناســـاً هـــادئين فرُوِّعـــوا

أعلِمـــــتَ إذ أطلقتَهـــــا ناريّـــــةً ماأنـــتَ بـــالوطن المفـــدّى تصـــنَع؟

وإذ انتزعـــــتَ زنـــــادَهُ مُســـــتَورياً عـــــن أيِّ ثُكْـــــلٍ للمُـــــواطنِ تَنـــــزَع

* * *

يامِـــدفعَ الأبطـــال إنَّـــك حامـــلٌ من كانَ ينهضُ حـينَ يعجَـزُ مِـدفَع

مـــن خـــاضَ أمـــواجَ السياســـةِ رافعـــاً رأســـاً، ورُبَّ مخاضـــةٍ لا تَرفَـــع

يمـــشي إليهـــا بالرويّـــةِ مُـــدركاً بالشـــبرِ، مـــا لا تســـتطيعُ الأذرُع

يكفيـــك مـــن أبنـــاء شـــعبِك غَـــيرةً حمراءَ أن صَـــنعوا الـــذي لم يصـــنَعوا

نِصـــفانِ بَغـــدادٌ فنِصـــفٌ مَحشَـــرٌ ســـاحاتهُ اكتظَّـــتْ ونصـــفٌ بَلقـــع

مـتماوجُ الأشـباحِ حزنـاً مـا بـه ... إلا حشـاً دامٍ، ووجـهٌ أسـفَع

مَرصـودةٌ سـتُّ الجهـاتِ لسـاعةٍ ... نكـراءَ محسـودٌ بهـا المتطلِّـع

وتوجَّـعَ الملـكُ الهـمامُ ولم يكُـنْ ... إلا لأعظـمِ حـادثٍ يَتوَجَّـع

وانقـضَّ فوقَـك كالعُقـابِ وإنـه ... لسـواكَ عـن إلمامـةٍ يترَفَّـع

وهفـا فـؤادٌ كالحديـدِ وأسـبلَت ... عـينٌ تُفـاخر أنهـا لا تـدمَع

ولقـد يَعِـزُّ عـلى المليـكِ وشـعبِهِ ... والمشـرقينِ نجيعُـك المتـدَفِّع

لا يرتضـي الـوطنُ الـذي فَدَّيتـهُ ... بـالنفس أن تَـدمَى لكفِّـك إصـبع

***

هِبَـة العروبـة للـبلادِ أهكـذا ... مُسـتدمِياً مـتظلِّماً تُسـتَرجع؟

تـأريخُ شَـعبٍ سُـوِّدَت صـفحاتُهُ ... فـأتى فبيضَـهُنَّ هـذا المَصـرَع

هـذي الرجولـةُ ضُـيِّعَتْ ممنوحـةً ... واليـوم يُعـرَفُ قـدرُها إذ تُرفَـع

حَصَدتْ خصومُك حسرةً وخَجالـةً ... حتـى لـوّدوا أنهـم لم يزْرعـوا

كانـت حياتُـك للـبلاد منافعـاً ... جُـلّى، وإنَّـك في مماتـك أنفَـع

غـيَّرتَ راهنـةَ الأمـور بطلقـةٍ ... مسـتقبَلُ الأوطـان منهـا يلمـع

يُنسـى دويُّ مـدافعٍ وعواصـفٍ ... وأزيزُهـا حتـى القيامـةِ يُسـمَع

ووقَفـتَ أقطـابَ السياسـة موقفـاً ... يرتـدُّ حيرانـاً بـه المتضـلِّع

يتسـاءلون بـأي عُـذرٍ نختفـي؟ ... عـن شـعبنا وبـأيِّ وجـهٍ نَطلُـع؟

واســترجعوا أحكــامَهم مرفوضــةً ... نــاسٌ بحكمهــمُ عليــكَ تسرَّعوا

غَطّــى عــلى المتبرِّعــينَ مُبجَّــل ... بحياتــــهِ لـــــبلادِه يتـــــبرَّع

قولــوا لأشــباه الرجــالِ تصــنعاً ... إلاّ تكونـــوا مثلَـــه فتقنَّعـــوا

لا تُزعجونـــا بالتشـــدُّقِ إننـــا ... بســوى الــتخلص مُـنكم لا نقنـع

قــد يــدفع الــدمُ مــا يحيــق بأهلــه ... فــإذا صــدقتُم بادعــاءٍ فــادفَعوا

***

أمــا كتابُــك فهــو أفضَــلُ مــا وَعَــى ... واعٍ وخــزيُ معــاشرٍ إن لم يَعُــوا

طِــرْسٌ عــلى التــاريخ يَفخَــر أنــه ... مــن كــلّ مــايَحوي أجــلُّ وأرفَــع

دســتور شَــعبٍ لا يُمَــسُّ وشِرعــةٌ ... هي فوقَ ما سنَّ الرجـال وشرَّعـوا

هــذي الوصــيةُ ذخــرُهُ إن أعــوزَتْ ... طيـــارةٌ، وبنـــادقٌ، ومُـــدرَّع

مَشَــتِ الأنامــلُ هادئــاتٍ فوقَهــا ... والمــوتُ يمشــي بيــنهنَّ ويُسْــرِع

قرَّعــت شــعبَك أن يَعُقَّــك، مرحبــاً ... بــأبي الــبلاد عــلى العُقــوق يُقــرِّع

وشــكوتَه أن لــيسَ يســمعُ ناصــحاً ... نــمْ هادئــاً إن الــبلادَ ستســمَع

بغداد عام ١٩٢٩

المجلس المفجوع

ألقيت في الجلسة التأبينية لمجلس النواب المقامة للفقيد "عبد المحسن السعدون".

يبكـــي عليـــكَ وكلُّـــهُ أوصـــابُ شَـــعبُ يمثِّـــلُ حزنَـــه النُّـــوّابُ

غطَّـــتْ عـــلى سُـــود الليـــالي ليلـــةٌ وعـــلى المصـــائبِ كلِّهـــنَّ مُصـــاب

المجلِـــسُ المفجـــوعُ رُوِّعَ أهلُـــهُ وبكتْـــكَ أروقـــةٌ لـــه وقِبـــاب

قـــد جلَّلتْـــه وجلَّلـــتهُمْ رَهبـــةٌ فهـــل الـــبلادُ يســـودُها إرهـــاب؟

كـــادت تحِـــنُّ لفقـــدِ وجهِـــك ســـاحةٌ فيـــه ويَســـألُ عـــن دخولِـــك بـــاب

عـــبءٌ عـــلى الأوطـــانِ ذكـــرى ليلـــةٍ عن مثل مَصـــرع "مُحسنٍ" تَنجـــاب

عـــن مصـــرعٍ في المجلِسَـــين لأجلِـــه وهمـــا الـــبلادُ بأسرِهـــا إضراب

بالـــدمع يَســـألُ عـــن غيابـــك ســـائلٌ في المجلســـينِ وبالـــدموعِ يُجـــاب

هـــذي الثمانـــونَ التـــي هـــي جُـــلُّ مـــا ارتضـــتِ الـــبلادُ وضـــمَّتِ الأحـــزاب

متجلببـــــونَ ســـــكِينةً وكآبـــــة ومـــن الســـواد علـــيهم جِلبـــاب

متشـــنجون يخـــافهُم مـــن راءَهُـــم للحـــزن أنهـــمُ عليـــه غِضـــاب

***

ناجي لسـانَ النثـر قـمْ واخطُـب بهـم وأعِـنْ لسـان الشـعر يـا ميرابـو[1]

هدِّئ بنطقِكَ رَوعَهـم، قـد أوشـكت للحُـــزنِ أن تتمـــزَّقَ الأعصـــاب

***

ولقـــد أقـــولُ لـــرافعين أصـــابعاً ليســـت تُحِـــسُّ كأنَّهـــا أحطـــاب

---

[1] هو ناجي السويدي الذي أسندت إليه رئاسة الوزراء بعد انتحار السعدون.

رهـــنَ الإشـــارة تختفـــي أو تَعـــتلي ... وينـــالُ منهـــا السَّـــلْبُ والإيجـــاب

مـــاذا نَـــويْتمْ ســـادتي: هـــل أنـــتُمُ ... بعد الـرئيس -كعهـده- أخشـاب؟

هـــل تنهضـــونَ إذا اســـتُثيرت نخـــوةٌ ... أو تجمُـــدون كـــأنّكم أنصـــاب

هـــل أنـــتُمُ - إن جـــدَّ أمـــرٌ ينبغـــي ... توحيـــدَ شَـــملِكُمُ بـــه - أحـــزاب

***

يـــا أيُّهـــا "النـــوابُ" حســـبُكُمُ عُـــلاً ... قـــولي لكـــم ياأيهـــا "النـــواب"

روحُ الـرئيس تـرفُّ فـوقَ رؤوسِـكم ... ارعَـــوا لهـــا مـــا تقتضـــي الآداب

ســـترى حضـــوراً غـــائبينَ بفكـــرهم ... ســـترى الـــذين بـــلا اعتـــذارٍ غـــابوا

ســـترى الـــذين لـــه أســـاؤوا تُهمـــة ... وإلى الـبلاد جميعِهـا، هـل تـابوا؟

ســـيقولُ إن خَبُثـــت نوايـــاً مـــنكُمُ ... إخشـــوا رفـــاقي أنْ يحِـــلَّ عـــذاب

لـــتكنْ محاكمـــةُ الخصـــومِ بريئـــةً ... في قـــاعِكم وليَحسُـــنِ اســـتجواب

تـــأبى المـــروءةُ أن يُقـــدَّسَ خـــائنٌ ... أو أن يطولَ عـلى الـبريءِ حسـاب

من أجـل أن ترعَـوا مبـادئَ "مُحسـنٍ" ... لـــتكنْ أمـــامكُمُ لـــه أثـــواب

متضـــــرّجاتٌ بالـــــدماء زكيّـــــةٌ ... فـــيهنَّ للجـــرحِ البليـــغِ خطـــاب

فـيهنَّ مـن تلـك "الرَّصاصـة" فتحـةٌ ... هـــي للتفـــادي إن وَعَيـــتُمْ بـــاب

لـــيكُنْ أمـــامَكُمُ كتـــابٌ صـــارخٌ ... فيـــه ثـــوابٌ يُرتَجـــى وعِقـــاب

فيـه الوصـيةُ: سـوفَ تحنـو رأسَـها ... عُجبـاً بهـا الأجيـالُ والأحقـاب

أوحـــى الـــزعيمُ إلى الجزيـــرةِ كلِّهـــا ... أنْ لـــيسَ يُـــدرَكُ بـــالكلام طِـــلاب

يـــا هـــذِهِ الأمـــمُ الضِـــعافُ تَروِّيـــا ... لا تنهضـي صُـــعُداً وأنـــت زِغـــاب

لا تقطعـــي ســـبباً ولا تتهـــوَّري ... نَزَقـــاً إذا لم تكمـــل الأســـباب

لا تقـــربي ظُفْـــرَ القـــويّ ونابَـــه ... إن لم يكـــنْ ظُفْـــرٌ لـــديك ونـــاب

وإذا عتبـــتِ عـــلى القـــويِّ فـــلا يكـــنْ ... إلا بـــأطرافِ الحـــرابِ عتـــاب

فـــإذا تركـــتِ لـــه الخيـــارَ فإنـــه ... أشـــهى إليـــه أن يكـــونَ خـــراب

هـــذا القصـــيدُ "أبـــا عـــليٍّ" كلُّـــه ... حـــزنٌ وكـــل ســـطوره أوصـــاب

ثـــق أنَّ أبيـــاتي لســـانُ عـــواطفي ... ثـــقْ أنَّ قلبـــي بيـــنَهن مُـــذاب

الحـــزن يملؤهـــا أســـىً ومهابـــةً ... ويُمـــدُّها بـــالروح منـــه شـــباب

منســـابةً لطفـــاً وبـــين ســـطورِها ... حزنـــاً عليـــك مـــدامعي تنســـاب

مـــاذا عســـى تقـــوى عـــلى تمثيلـــه ... بمصـــابِك الشـــعراءُ والكتـــاب

ضُـــمُّوا القلـــوبَ إلى القلـــوبِ دواميـــاً ... ستكونُ أحسـنَ مـا يكـونُ كتـاب

بغداد عام ١٩٢٩

إلى الخاتون المس بـل(*)

قـل لِلْمِـسِ الموفـورةِ العِـرض التـي ... لبسـتْ لحكـم النـاس خـيرَ لبـاسِ

لي قِيلـةٌ تُلقـى عليـك بمسـمعٍ ... وبمحضـرٍ مـن زُمـرةِ السُّـوّاس

إن كـان سَرَّكِ في العـراق بـأن تـري ... ناسـاً لـه مضـروبةً بأنـاس

فلـكِ التعـزي عـن سياسـتكِ التـي ... عـادتْ عليـكِ بصـفعة الإفـلاس

خُطَـط وقفـتِ لهـا حَياتَـكِ أصـبحتْ ... شـؤماً عليـكِ وأنـت في الأرمـاس

إن تهـزأي مـنهم فعـذرِك واضـح ... فهـم الـذين سَـقوكِ أوبـأَ كـاس

وهـم الـذين أرَتْكُـمُ وقفـاتُهُمْ ... لَطْمَ الخـدودِ ونتـفَ شَـعْرِ الـراس

وهـم الـذين عِظـامُهم وعظـامُكمْ ... معروضـةٌ للنـاس في أكيـاس

لـو كـان فـيهم للخيانـةِ مطمـعٌ ... لعرفـتِ كيـف إقامـةُ "القُـدّاس"

(*) نشرت في جريدة "العراق" بتوقيع "عراقي" وقدمها إلى الجريدة بالكتاب التالي:

"حضرة صاحب جريدة العراق المحترم.

تنشر جريدة "البلاد" مذكرات المرحومة الخاتون المس بيل سكرتيرة الشرق لدار الاعتماد البريطاني في العراق تباعاً، وكان نصيب عدد "البلاد" اليوم غير قليل من "الوخزات"، فقد كان فيها التعريض بصورة سمجة بكرامة "الجعفريين" الشيء الذي يأباه التاريخ والوجدان والعقل. وبصفتي أحد العراقيين فقد تحسست كثيراً لهذه "النعرة" المذمومة، وقد جئت بأبياتي هذه دحضاً لهذه التخرصات، وخدمة للتاريخ.

بغداد في ١٨ كانون الأول ١٩٢٩

عراقي"

لكـــنّهنّ شناشـــنٌ معروفـــةٌ لكُـــمُ تليـــق بعرقِـــكِ الدســـاس

مـــلءَ العـــراق أماجـــدٌ لـــولاهمُ هـــو مثـــلُ بنيـــان بغـــير أســـاس

قـــد أصـــبحوا ولهـــم عليـــه دخالـــةٌ يـــا للظليمـــةِ مـــن قضـــاءٍ قـــاسي

للحشر بـــين حلـــوقِكم وضـــلوعِكم من فضل ما صـنعوا كحـزِّ مـواسي

لا بـــأس أخـــداني، فهـــذا كلّـــه مـــن أجـــل أنكُـــمُ شـــديدو البـــاس

بغداد عام ١٩٢٩

الملك حسين

أرى الشعبَ في أشواقه كالمعلَّقِ ... لِما حدَّثوه عنكَ يرجو ويتَّقي

يغالط نفساً فيكَ، إن قيلَ لا بثُّ ... يكذِّبْ، وإن قالوا سيأتي يصدَّق

صبَتْ لك أنحاءُ العراقِ وفتِّحت ... للُقياكَ صَدرَ الوالِهِ المتشوِّق

وأجدِرْ بأن يشتاق مثلَك مثلُها ... وأنعِمْ بأن تحنو عليها وأخلِق

سَرَت بُردُ الأشواقِ تحمِلُ طَيَّها ... تحياتِ خُلصانٍ شديدي التعلّق

رطاباً كأنفاس النسائم سَحرةً ... عِذاباً كماء الرافدين المصفِّق

وقد سَمَتِ الزَوراءُ ترفَعُ رأسَها ... على الأرضِ تِيهاً مثلَ نَسر مُحلِّق

وتفخَرُ أن نالَتْ بتفضيل أرضِها ... على سائر الجاراتِ حظَّ الموفَّق

فقد نافسَتْ بغدادُ بطحاءَ مكّةٍ ... وقد غبَّرت بغدادُ في وجهِ جِلَّق

وقد حَسَدَت بغدادَ شتّى عواصمٍ ... من الشرق لم تنعَمْ بهذا التفوُّق

ولو نَطَقَتْ قالتْ هَلُمَّ لَمصبِحٍ ... جميلٍ على الشطَّينِ مني ومَغْبِق

هلُمَّ فعندي مُشتهى كلِّ ماجدٍ ... ومن كلِّ ذوق طيّبٍ فتذوَّق

فحقِّقْ لها أُمنيةً فيكَ تَستَعِض ... بها عن أمانٍ جمةٍ لم تُحقَّق

وأدخلْ عليها فرحةً فهي بَلْدة ... بها ثارت الأتراحُ ثورةَ مُحنَق

تمشَّتْ بها تعتاقُها عن نُهوضِها ... خطوبُ الليالي زَردَقاً بعد زَردَق[1]

أبغدادُ وهي القحمةُ السِنِّ خبرةً ... تُلَهّى بألعابٍ كطفلٍ مُحمَّق[2]

تُوقِّعُ باليمنى صكوكَ انعتاقِها ... وتُومي لها اليُسرى بأن لا تصدّقي

---

[1] الزردق: الصف القيام من الناس.

[2] القحم: الكبير السن جداً.

وتَفشـــلُ أســـبابٌ لترقيـــع وحـــدةٍ تُمزِّقُهـــا الأضـــغانُ شرَّ مُمـــزَّق
وشـــعبٍ تُمشِّـــيه السياســـةُ مُكرهـــاً عـلى زَلَـقٍ مـن حُكمهـا كيـفَ يَرتقـي

***

ســـلامٌ عـــلى شـيخ الجزيـرة كلِّهـا ســـلامٌ عـــلى تاريخِـــهِ المتـــألِّق
ســـلامٌ عليـــه يـــوم شـــطَّت رِكابُـــهُ ســـلامٌ عليـــه يـــومَ نحظَـــى فنلتقـــي
ســـلامٌ عـــلى عُمـــرٍ تَقَضـــّى بصـــالحٍ ســـلامٌ عـــلى مافـــات منـــه ومـــا بقـــي
أبا فيصلٍ بعضَ التعـزي فكـم رمـت شـــهامةُ قـــوم شـــملَهم بـــالتفرّق
وقبلـــك غمّـــت عـــزّةٌ ربَّ كِنـــدةٍ وشرّد صـــونُ العـــرض ربَّ الخَوَرْنَـــق
ومـــا قـــدرُ عمـــر المـــرء إن لم يُـــرَع بـــه ومـــا طيـــب عـــيش المـــرء إن لم يُرَنَّـــق
أبـــا "فيصـــلٍ" إن الحيـــاة ثقيلـــةٌ عـــلى غـــير مـــذمومَين وغـــدٍ وأحمـــق
سـلِ القـومَ مـا معنـى المرونـةِ تختبرْ تَســـتُّرَهمْ عـــن خِسَّـــةٍ وتَمَلُّـــق
وعـــن ذمٍّ محمـــودٍ لفـــرطِ مَنَاعـــةٍ وعـــن حَمـد مـذمومٍ لفـرطِ التحـذلُق
يســـفُّون بـــالأخلاقِ إذ يُطلقونهـــا عـــلى كـــلِّ مـــا يُـــزري بحُـــرٍّ مخلَّـــق
أبـا "فيصـلٍ" أشـجى التحايـا تحيـةٌ تمازجُهـا الـذكرى بـدمعٍ مُرقـرق
تحيـــةُ مشـــتاقٍ لـــو اســـطاع نُهـــزةً تلقّـــاكَ مـــن غـــرِّ القـــوافي بفيلَـــق
أخـــي عاطفـــاتٍ لم يَشُـــنها تكلُّـــفٌ وذي خُلُـــقٍ لم يُمـــتَهنْ بتخلُّـــق
لقـد هـزَّت الأشـواقُ قلبـاً عهِدتُـهُ إلى غـيرِ أربـابِ العُـلى غـيرَ شـيِّق

ونفســـاً عـــلى أن لا تـــزالَ أمينـــةً أخـــذتُ عليهـــا كـــلَّ عهـــدٍ موثَّـــق

***

ولي فيـك قبـل اليـوم غُـرُّ قصـائدٍ كفاهـا سـموّاً أنهـا بعـضُ منطقـي

مـن الـلاءِ غـذّاها "جريـر" بروحـه ولاءَمَ شَـطرَيها نسـيج "الفـرزدق"

شربـنَ بـماء الرافـدين وطارَحَـت بأسـجاعِها سـجعَ الحـمام المطـوَّق

ومـن قبـلُ كـانوا إن رادوا انتفاضـةً مـن الشـعر قـالوا عنـه لم يتعـرَّق

فـإن لا تبـذَّ المفلقـينَ فإنهـا يقصِّرُ عنهـا شـاعرٌ غـير مُفلِـق

سـهرتُ لهـا الليـلَ الـتَمام أجيـدُها أغـوصُ عـلى غُـرِّ المعـاني فـأنتقي

وأحبِـبْ بهـا مـن مُؤرقـاتٍ عزيـزةٍ عـليّ، وبي مـن مُسـتهامٍ مـؤرَّق

فجئـتُ بهـا مبغـى أديـبٍ مقـدِّر ومنعى حسـودٍ مـوغَرِ الصـدرِ أخـرَق

وجـاؤوا بمـرذولِ القـوافي كـأنما "مركبـةٌ أبياتُهـا فـوق زِئبـق"

وحسبَك من خمسٍ وعشرينَ حجـةً بها الشيخ ذو السبعين من حَنَـقٍ شَـقِي

يقـول وقـد غطّـى شُـعاعي بصيصَـه ترفّـقْ وهـل لي طاقـةٌ بـالترفّق

فيـا أيُّهـا الشـعرُ الجميـلُ انحطاطـةً بغـيضٌ إلى قلـب الحسـود تفـوُّقي

مكانَكَ قِـفْ بي حيـثُ أنـتَ فحسبُهُ وحسبُك من شَـوط تقـدَّمتُ مـا لَقـي

إذا قـال شرِّقْ لا تغـرِّبْ إطاعـة وإن قـال غـرِّب فـاحترس لا تشـرِّق

وإن قـال رَفِّـهْ عـن حيـاتي فرأفـةٌ وإن قـال دع لي فُرجَـةً لا تضـيِّق

وعنديَ من لفظٍ جزيلٍ وصنعةٍ ... لبابٌ وطبعٌ كالمُدام المعتَّق

خوافٍ بشعري حلَّقت وقوادمٌ ... وما خيرُ شعرٍ لم يَطِر فيُحلِّق

إذا ما تبارى والقوافي بحَلْبة ... صرختُ به إن كنتَ شعري فأسبقِ

ولم لا يسيل الشعرُ لُطفاً ورقةً ... إذا كان من فَيض القريحة يستقي

يجيء به النسجُ الرقيقُ مُهَلْهلاً ... كمُوشِيِّ روضٍ أو كثوبٍ منَمَّق

ويُردفهُ صوبُ المعاني فيزدَهي ... زَها الروضُ عن صوب الحيا المتدفِّق

وإن ضاعفَتهُ مسحةُ الحزن رَونقاً ... فمن فضلِ أشجان أخَذْن بمخنِقي

فمن يَتَنكَّرْ من همومٍ فإنني ... لأُنكِر أن أعتادَ غيرَ التحرُّق

وأُنكرُ نفسي أن تُرى في انبساطةٍ ... وأُنكر صدري أن يُرى غيرَ ضيق

أخِفُّ إلى المرآة كلَّ صبيحةٍ ... أرى هل أشابَ الهمُّ بالأمس مفرِقي

بغداد، عام ١٩٢٩

في الأربعـــين

(أربعينية السعدون في بغداد)

زانَ العروبــةَ هــذه المُفــرَدُ العَلَــمُ ... وقــد تُخلَّــدُ في أفرادِهــا الأُمَــمُ

وقــد تســيلُ دمــاءٌ جَمَّــةٌ هَــدَراً ... وقــد يُقَــدَّرُ مــن دون الــدماءِ دَم

حَظٌّ من المـوتِ محسـودٌ خُصِصْـتَ بـه ... والموتُ كـالعيشِ مـابينَ الـورى قِسَـم

لــولا ســموٌّ مفــاداةٍ لمــا احتَفَلَــتْ ... هــذي المحافــلُ فيَّاضــاً بــه الألم

لـو كـان غُـنْمٌ لهـا مـا هكـذا ازدَحَمـتْ ... هـذي الجمـوعُ التـي للغُـرمِ تَـزدَحِم

إن تنــتفضْ لا تجــد كفّــاً لهــا سَــعَةٌ ... أو تنتقــلْ لا تجــدْ أرضــاً لهــا قَــدَم

* * *

يــا أيُهــا الســادةُ الأحــرارُ كلُّكــم ... للشَــعب إن أعوزَتْــه خِدمــةٌ خَــدَم

هــذي الضــحيَّةُ في تبجيلهــا عِظَــةٌ ... إن الــذي خَــدَمَ الأوطــانَ مُحتَشَــم

إن الــبلادَ بمرصــادٍ ومــن سَــفهٍ ... إن تحسـبوا النـاسَ طُـرّاً لُعبـةً لكُـم

إن تنصــروُها فــإنَّ الشــعبَ منتصــرٌ ... أو تخــذِلوها فــإن الشــعبَ مُنــتقم

أو تُحتَقَــرْ وســيوفُ الهنــد مُغمَــدةٌ ... فقــد نظــرتُم إليهــا والســيوفُ دمُ

حسْــبُ الظنــينِ بوجــدانٍ محاكَمــةٌ ... بهــا تُزيَّــفُ أو تُستوضــحُ الــتُّهم

حسـب الفتـى بيـد التـاريخ مُحصـيةً ... مـا قـد جَنَتـهُ يـدٌ أو مـا ادعـاه فَـم

فاستغنِموا اللَّذةَ العُظمى مُخلَّدةً ... في السعي فاللذةُ الدنيا هي الألم

تبقى من الشهوة العمياء سوأتُها ... للمشتهينَ ويفنَى الحرصُ والنَهَم

***

هل ابنُ سَعدونَ يُعفيني ويَعذِرُني ... وهو الكريم نَماه مَعشَرٌ كَرُموا

لم تأتِني من بليغِ القولِ قافيةٌ ... إلا وأبلغُ منها عندَه شِيم

من كل مرهوبةٍ صَعْبٌ تَقَحُّمها ... كأنها البحرُ هَولاً حين يُقتحم

عبءٌ على الشعر أن تُحصى بساحتِهِ ... على الرجالِ مَساعيهم إذا عَظُموا

وفي المُفاداةِ للأوطانِ مُعجزةٌ ... بها البيانُ وإن جوَّدتُ يصطدم

عَسَى مُعَلَّقةٌ غرّاءُ ثامنةٌ ... تُحصي مآثرَكَ الغرّا وتَنتَظِم

يامنظراً يَشتهي فيه العَمى بَصَرٌ ... ويا نَعِيَّاً عليه يُحمدُ الصَمَم

بات العراقُ عليه وهو مرتجفٌ ... بأسره لأمانٍ وهي تنهدم

في ذمة الله حزنُ الشعب حينَ رأى ... وديعةَ الله عند الشعب تُستلم

مألوفةٌ غيرُ مشكورٍ لها سَهَرٌ ... على الحقوقِ ولا مرعيّةٌ ذِمم

هل رايةُ الوطنِ المفجوع عالمةٌ ... على من اشتملتْ، والمِدفَع الضَّخِم

إنَّ الـذي فيـكَ شـعبٌ هُـدَّ جانبُـه ... وأمـةٌ قـد أُضـيعتْ أيهـا العَلَـم

إنَّ الـذي فيـك حتـى خصـمُه شَـغِفٌ ... بـه، وحتـى مـن الأعـداء مُحـترم

غُـرُّ الفِعـال إلى العَلْيـا دلائلُـه ... حتـى المـماتُ عليـه دلَّـهُ الكَـرَم

مُسـتأثِر بِخيـار الخَصـلتينِ إذا ... خيَّرتَـه بـين مـا يُـردي ومـا يَصِـم

زَهـا الوجـودُ بـذاك الوجـهِ مفتخـراً ... واليـوم يفخَـر إذ يحظـى بـه العَـدَم

يا نبعـةً عولِجـتْ دهـراً فـما انحطمـتْ ... مـا كنـتَ لـولا يـدُ الأقـدار تَـنحطِم

مـا نـاشَ كفَّـك مـن تيّـاره بلـلٌ ... لّمـا تحـدّاك مـوجُ المـوت يلـتَطِم

أبقيتَهـا حُـرَّةً تمشـي أناملُهـا ... يَمـدُّهنَّ النُّهـى والنُبْـلُ والهِمَـم

حتى إذا ما انتهـت مـن حَشـدِها جُمـلاً ... أخـفُّ مـن وقعهـنَّ الصـارمُ الخـذِم

فـيهنَّ يشـكو إلى الأمـلاكِ طـاهرةً ... روحٌ مـن البَشـَر الأدنَـينَ مُهتَضَـم

رميـتَ نفسَـك في أحضـانِهِ فَرِحـاً ... وجَلَّـلَ الشـعبَ يـومٌ حزنـهُ عَمَـم

بـراءةٌ لـكَ عنـدَ الموسِـعِيك أذىً ... تُبـينُ مـا لـك مـن حـقٍّ ومـا لهَـم

نَـمْ هادئـاً غـيرَ مأسـوفٍ عـلى زَمَـنٍ ... يشـقى بـريءٌ ويَهنَـا فيـه متَّهم

قـد أخجـلَ الظـالمينَ النـاسَ مُحتشِـمٌ ... مـن نفسـهِ في سـبيل النـاسِ ينـتقم

***

أبـا عـلي سـلامٌ كيـف أنـتَ؟ وهـلْ ... علمِتَ من بعدكَ الأقـوامُ كيـفَ هـم؟

تَولَّـتِ الأربعـونَ السـودُ تاركـةً ... جَفنـاً قريحـاً وقلبـاً شـفَّه الـوَرَم

ولـو تقضَّـتْ علـيهم مثلُهـا عَـدداً ... مـن السـنين لمـا ملّـوا ومـا سَـئِمُوا

يُسـلي التقـادمُ عـن ثُكْـلٍ، وعنـدهُمُ ... ثُكْـل عليـه يُعـينُ الجِـدَّةَ القِـدَم

جُـرْحٌ تَـذُرُّ عليـه غـيرَ راحمـةٍ ... كـفُّ السياسـةِ مِلْحـاً كيـفَ يلتـئم

تـأبى ليومِـكَ أن تُنسـى ظُلامتُـه ... مظـالِمٌ خصـمُنا فيهـا هـو الحَكَـم

يُغـري بتهييجـه نقـضٌ يجـدُّ إذا ... مـا كـاد حبـلٌ مـن الآمـال ينبـرِم

باسم "ابن سعدونَ" فاضتْ حرقةٌ طُويَتْ ... دَهْـراً وأُعلِـنَ شـجوٌ كـانَ يكتَـتِم

بـالحزنِ يَفتـتحُ الأقـوالَ قائلُهـا ... وبالسياسـةِ والإجحـاف يَختَـتم

للثُكـلِ ثُـمَّ لأسـبابٍ لـه اجتمعـتْ ... مـلءَ النـواظر دمـعٌ والقلـوب دَم

وحسبُ أبناءِ هذا الشَعبِ موجَدةً أن يَستَغِلُّوا به البَلْوى ويَغْتنِموا

***

ماذا أقولُ فؤادي ملؤه ضَرَمٌ وهل تُوفِّي شُعوري حقَّه الكَلِم

حراجةٌ بالأديبِ الحرِّ موقفُه حيثُ الصراحةُ بالإرهابِ تَصطدم

بين الشعورِ وخنقٍ مُسكتٍ رَحِمٌ في الرافدين فلا كنّا ولا الرَّحِم

هذي المناصبُ إن كانتْ بها نِعَمٌ للناس فهْيَ على آدابِنا نِقَم

للشاعرينَ قلوبٌ في تململها هي البراكينُ إذ تَهتاجُها الحِمَم

لواعجٌ هي إنْ أبديتُها شَرَرٌ يُصلي اللسانَ وإنْ أخفيْتُها سَقَم

رسائلٌ لي مع الآهاتِ أبعثُها إذ لا اللسانُ يؤدّيها ولا القَلَم

فليشهَدِ الناسُ طرّاً أنني خَجِلٌ وليشهَدِ الناسُ طرّاً أنني بَرِم

وليسمعِ الناسُ شكوى مَن له اجتمعتْ غضاضةُ العيشِ، والإرهاقُ، والبَكَم

بغداد، عام ١٩٢٩

في أربعين السعدون

(في كربلاء)

سَـــلوا الجماهـــيرَ التـــي تَبصـــرونْ ... مـــاذا أتاحـــتْ لكُـــمُ الأربعـــونْ

تُخْـــبِرْكُمُ حرقـــةُ أنفاسِـــهم ... -كيـف تقضَّـت- وانتفـاخُ العيـون

سَـــلوهمُ مـــا بـــالُكُمْ كلَّـــما ... عَنـــتْ لكـــم خـــاطرةٌ تنحَبـــون

أكـــلُّ شيءٍ موجـــبٌ للبكـــا ... أكـــلُّ شيءٍ باعـــثٌ للشـــجون

***

ريعـتْ قلـوبٌ واستضـيمتْ جفـون ... واحتقـــروا أعـــزَّ مـــا يملكـــون

راضـــونَ ممتنّـــون عـــن حالـــةٍ ... لا يرتضـــيها مَـــن بـــه يحتفـــون

يبكـــونَ للشـــعرِ ولا يعرفـــون ... وللخطابـــاتِ ولا يســـمعون

مـــا رقّـــةُ الأشـــعارِ أبكـــتهُمُ ... لكـــنهم بالقلـــب يســـتعبِرون

مكـــدودةٌ أنفسُـــهمْ حســـرةً ... وبالبكـــاء المـــرِّ يســـتروِحون

وهكـــذا الـــدمع بريئـــاً يُـــرى ... وهكـــذا الحـــزنُ بليغـــاً يكـــون

أبكـــى وأشـــجى لوحـــةٍ أحكمـــت ... تصـــويرَها كـــفُّ الزمـــانِ الخـــؤون

مَغنـــىً عـــلى دجلـــة مستـــشرفٌ ... دامعـــةً ترتـــدُّ عنـــه العيـــون

احتلَّـــت الوحشـــةُ أطرافَـــه ... ورفـــرفَ الحـــزنُ بـــه والســـكون

أخـــلاه فـــرطُ العـــزِّ مـــن ربِّـــه ... والعـــزُّ بـــاب مُشـــرَعٌ للمنـــون

***

أقــولُ للقــوم الغَيــارى وقــد ... أعــوزَهُم كيــفَ بــه يحتفــون

أحســن مــن كــلِّ اقتراحــاتِكم ... ممــا تَشــيدون ومــا تنحِتــون

قــارورة يُحفَــظ فيهــا دمٌ ... يعرفــه الخــائنُ والمخلصــون

يلقَــى بهــا تشــجيعةً مخلــصٌ ... وعِــبرةٌ مخجلــةً مَــن يخــون

***

مِيتــةُ هــذا الشــهم قــد بيَّنــتْ ... للقــوم أنَّــا غــيرُ مــا يــدَّعون

وأننــا نــاسٌ أبــاةٌ متــى ... نُرهــقْ فمضــطرُّون لا مُرتضــون

وأننــا بــالرُغم مــن صــبرِنا ... إن حانــت الفرصــةُ مســتغنِمون

فــانتبِهوا لا الحــزنُ يُجــديكُمُ ... شــيئاً ولا اســتنزافُ هــذي الشــؤون

هــاتوا بــما نبنــي دلــيلاً عــلى ... أنــا عــلى آثــاره مقتفــون

بغداد، عام ١٩٢٩

عنـــاد

عِنـادٌ مـن الأيّـامِ هـذا التعسّـفُ ... تحـاول منّـي أنْ أُضـامَ وآنـفُ
وتطلـبُ أن يُسـتلَّ في غـير طائـلٍ ... لسـانٌ فـراتيٌّ المضـاربِ مُرْهـف
وللـنفسِ مـنْ أنْ تـألفَ الـذلَّ خُطَّـة ... أجلُّ ومـن أن تُـرخِصَ القـولَ أشرف
فكـان جزائـي شرَّ مـا جُـوزيَ امـرؤ ... عـن العـيشِ ملتـاثَ المـواردِ يَعـزف

***

تعـرَّفْ إلى العـيشِ الـذي أنـا مُرهَـقٌ ... بـه وإلى الحـال التـي أتكلَّـف
تجِـد صـورةً لا يشـتهي الحـرُّ مثلَهـا ... يسـوءُ وقـوفٌ عنـدَها وتَعـرُّف
تجـد حَنِقـاً كـالأرقم الصـلِّ نافحـاً ... وذا لَبَـدٍ غضـبانَ في القيـد يرسـف
أنَغَّـصُ في الـزاد الـذي أنـا آكـلٌ ... وأشْرَق بالمـاء الـذي أترشَّـف
كـما قـذفَ المسـلولُ مـن لُبَّـةِ الحشـا ... دمـاً، أسـتثيرُ الشـعرَ جمـراً وأقـذف
وإنّي وإن مارسـتُ شـتَّى كـوارثٍ ... إذا راحَ منهـا مُتْلِـفٌ جـاء متلـف
فـما حـزَّ في نفسي كَغَـدرةِ غـادرٍ ... لـه ظـاهرٌ بالمُغريـات مُغلَّـف
وفرحـةِ أقـوام شـجاهم تفـوُّقي ... بـأني عـنهم في الغنـى متخلِّـف

بغداد، عام ١٩٢٩

سبيل الجماهير

لـــو انَّ مقاليـــدَ الجَماهـــير في يـــدي ... سَـلَكتُ بأوطـاني سـبيلَ التمـرُّدِ

إذن عَلِمَـــتْ أنْ لا حيـــاةَ لأمّـــةٍ ... تُحـاولُ أنْ تَحيـا بغـير التجـدُّد

لـــوِ الأمـــرُ في كَفِّـــي لجهَّـــزتُ قـــوَّةً ... تُعـوِّدُ هـذا الشـعبَ مـا لم يُعـوَّد

لـــوِ الأمـــرُ في كفِّـــي لأعلنـــتُ ثـــورةً ... عـلى كـلِّ هـدّام بـألفَي مشـيِّد

عـــلى كُـــلِّ رجعـــيٍّ بـــألفَي مُنـــاهضٍ ... يَرى اليوم مستاءً فيبكي عـلى الغـد

ولكنّنـــي أســـعَى بِرجـــل مَؤوفـــةٍ ... ويـا ربَّـما أسـطو ولكـنْ بـلا يَـد[1]

وحـــولي برّامـــونَ مَيْنـــاً وكِذبَـــةً ... متى تَختَبرهُم لا تَـرى غـيرَ قُعْـدُد[2]

لعمـرُك مـا التجديـدُ في أنْ يُـرى الفَتـى ... يَـروحُ كـما يَهـوَى خليعـاً ويغتَـدي

ولكنَّـــه بـــالفكر حُـــرّاً تَزينـــهُ ... تجاريـبُ مثـل الكوكـبِ المُتوَقِّـد

***

مشَـتْ إذ نَضَـتْ ثَـوبَ الجُمُـودِ مـواطنٌ ... رأتْ طَرْحَـهُ حَـتماً فلـم تَـتَردَّد

وقَـرَّتْ عـلى ضَـيْم بـلادي تسـومُها ... من الخَسف مـا شـاءتْ يـدُ المتعبِّـد

فيـا لـك مـن شـعبٍ بَطيئـاً لخـيرِهِ ... مَشـى وحثيثـاً للعَمَـى والتبلُّـد

متـى يُـدْعَ للإصـلاح يحْـرِنْ جِماحُـه ... وإن قيـدَ في حبـل الدَجالـةِ يَنْقَـد

***

---

[1] مؤوفة: أصابتها آفة.

[2] القعدد: الجبان اللئيم القاعد عن المكارم.

زُرِ الساحةَ الغَبراء من كل منزلٍ تجد ما يثير الهَمَّ من كلِّ مَرقد
تجد وَكرَ أوهامٍ، وملقى خُرافةٍ وشَتّى شُجونٍ تَنتهي حيثُ تَبتدي
هم استسلموا فاستعبَدتْهم عوائدٌ مَشَتَ بِهِمُ في الناس مشيَ المقيَّد

***

لعمرُكَ في الشعب افتقارٌ لنهضةٍ تُهيِّجُ منه كل أشأمَ أربد
فإمّا حياةٌ حرّةٌ مستقيمةٌ تَليقُ بشَعبٍ ذي كيانٍ وسؤدُد
وإما مماتٌ ينتَهي الجهدُ عِندَه فتُعذَرُ، فاختر أيَّ ثَوبَيك ترتدي
وإلا فلا يُرجى نهوضٌ لأمَّةٍ تقومُ على هذا الأساس المهدَّدِ
وماذا تُرَجِّي من بلاد بشعرة تُقاد وشَعب بالمضلِّين يَهتدي

***

أقولُ لقومٍ يجذِبون وراءَهُم مساكينَ أمثالَ البعيرِ المعبَّد
أقاموا على الأنفاس يَحتكرونها فأيَّ سبيل يَسلُكِ المرءُ يُطرَد
وما منهمُ إلا الذي إنْ صَفَتْ له لَياليه يَبْطَر، أو تُكَدِّرْ يُعربِد
دَعُوا الشعبَ للإصلاحِ يأخذْ طريقَه ولا تَقِفوا للمصلحينَ بمَرصَد
ولا ترزعوا أشواككم في طريقِهِ تَعوقونه.. مَن يزرعِ الشوك يَحصِد
أكلَّ الذي يشكُو النبيُّ محمدٌ تُحِلُّونَه باسم النبيِّ محمّد
وما هكذا كان الكتابُ منزَّلاً ولا هكذا قالت شريعةُ أحمد

إذا صِحتُ قلتُم لم يَحِن بعدُ مَوعدٌ ... تُريدون إشباعَ البُطُون لِموعد

هدايتَك اللهمَّ للشعب حائراً ... أعِنْ خُطُوات الناهضينَ وسدِّد

***

نبا بلساني أن يجاملَ أنني ... أراني وإنْ جاملتُ غير مُخَلَّد

وهب أنَّني أخنَتْ عليَّ صراحتي ... فهل عيشُ من داجَى يكون لسرمد

فلستُ ولو أنَّ النجومَ قلائدي ... أُطاوع كالأعمى يمينَ مُقلِّدي

ولا قائلٌ: أصبحتُ منكم، وقد أرى ... "غوايتكم أو أنني غير مهتدي"

ولكنني إن أبصِرِ الرشد أأتمِرْ ... به ومتى ما أحزِرِ الغيَّ أبعُد

وهل أنا إلا شاعر يرتجونَه ... لنصرة حقٍّ، أو للطمةِ معتدي

فما لي عمداً أستضيمُ مواهِبي ... وأوردُ نفساً حُرَّةً شرَّ مَورد

وعندي لسانٌ لم يُخنِّي بمحفلٍ ... "كما سيفُ "عمرو" لم يَخُنْه بمشهد"

بغداد، عام ١٩٣٠

سلم على المسرح

إلعبـــي فالـــهَوى لَعِـــبْ وابعثـــي هِـــزَّةَ الطَـــرَبْ

مـــــثِّلي دورَك الجميـــــلَ عـــــلى شرعـــــةِ الأدب

أحســـــني نُقلـــــةً وإن تَعِبَـــت هـــذه الرُكَـــب

فعـــلى وَقْـــع خَطوِهـــا يتنـــزّى حشـــا وَجَـــب

روِّحـــي هـــذه النفـــوسَ فقـــد شـــفَّها التَعَـــب

إجـــذبيها إلى الـــرِّضى إدفعيهـــا عـــن الغضَـــب

لا تغرَّنـــكِ أوجـــةٌ كطـــلاءٍ مـــن الـــذهَب

وثغـــورٌ تضـــاحَكَتْ كانعكاســـةِ اللَّهـــب

فتِّشـــي عـــن دخائـــلٍ غُيِّبـــت تشـــهدي العجـــب

***

كـــل هـــذا الهيـــاجُ مـــن أجـــل مـــرآكِ والصَـــخَب

ضـــاربُ العـــود مـــا درَى أيَّ أوتـــــــارِهِ ضَرَب

إعذِريـــــــهِ فإنـــــه بشَـــرٌ مثلُنـــا اضـــطرب

واقـــبَلي القلـــبَ إنـــه لـــك مـــن أضـــلُعي وَثَـــب

نَسَـــبٌ بينَنَـــا الهَـــوَى إحفظـــي حُرمـــةَ النَسَـــب

ربَّ يـــومٍ جـــذبت فيـــه لي الأنـــسَ فانجـــذب

ولمستُ الشبابَ في ريَعِه بعدما ذهَب

حبَّ "سَلمى" فتىً رأى كلَّ ما يُشتهى فحَبّ

شاعرٌ بالحياة لا يَزدَهيه سِوى الطَرَب

أنتِ "سلمى" إلى الحياةِ وأفراحها سَبَب

أنتِ "سلمى" أجَلُّ من ألفِ عبدٍ لألف رَبّ

تستخلّى الهموم إذ تتجلّين و الكُرَب

و هُمْ باسمِ أمّةٍ سُحِقَتْ غايةُ الأرب

أثقلوا ظهرَها كما عضَّ بالغارب القَتَب[1]

تركوا "الجذعَ" للبلادِ و للصفوة الرُطَب

***

إفتحي لي سَلْمى يديكِ يُقَبِّلْ يديكِ صَبّ

أبعديني عن "السياسة" والغشِّ والنَصَب

ولكي نُحرق الجميع هلُمّي إلى الحَطَب

وإذا لم يكن خذي بعضهم إنهم خشب

أإلى العيش كلُّهم أنا وحدي إلى العَطَب

أنا وحدي فيهم ترجّلتُ والكلُّ قد ركب

---

[1] الغارب: الكاهل أو ما بين السنام والعنق. والقتب: خشب الرحل.

نُهِـــبَ الشـــعبُ كلُّـــه فهنيئـــاً لمـــن نَهَـــب

و هنيئـــاً لمـــن غَـــزا و هنيئـــاً لمـــن سَـــلَب

وهنيئـــاً لِمـــن "تَنَمَّـــرَ" أو خـــانَ أو كَـــذَب

إن كـــلَّ الـــذي تـــرين مـــن "الجـــاه و"الرُّتَـــب"

ومـــن "الـــنفخ" بالزعامـــةِ والإســـم واللقَـــب

واصـــطيادٍ بحجّـــةِ "الـــوطن" الجـــائعِ الخَـــرِبِ

هـــو عُقبـــى تَقَلُّـــب القـــوم، عـــاشَ الـــذي انقلـــبَ

خَسِـــرَ "الـــدّرةَ" البطـــيءُ و فـــاز الـــذي حلـــب

بغداد، عام ١٩٣٠

تأبين الغراف الميت

عُمِـــرَتْ ديـــارُ شَراذمٍ دُخّـــال أسـفاً عليـك وأنـتَ قَفْـرٌ خـالِ

عُمِرَتْ ديـار "الطـارئين" ونُكِّسَـتْ دورٌ شَراهـــا أهلُهـــا بالغـــالي

بالروح يُزهقُهـا الغَيـورُ عـلى الحمـى والمـــالُ يبذُلـــه عـــدوُّ المـــال

بـدت البيـوتُ الخاويـاتُ حزينـةً محفوفـــةً بالشـــوكِ والأدغـــال

وكـــــأنما شُرُفاتُهـــــا مُغـــــبرَّةً أشـــباحُ آلامٍ وقَفْـــنَ حيـــالي

يـا عـابرينَ عـلى الطريـقِ تلفَّتـوا وتَبَصَّـروا بتقلُّـــبِ الأحـــوال

هـذي البيـوتُ الموحشـاتُ عِراصُـها كانـت تُحَـطُّ بهـا عصـا التَّرْحـال

نُحرَتْ هنـا كُـومُ النيـاق، وأوقـدَتْ نـارُ القِـرى للطـارق المحِـلال

هـذي الـديارُ ديـارُ كـلِّ سَـمَيدَعٍ حـامٍ لحـوزةِ غابـهِ رِئبـال[1]

هـذي الـديارُ ديـارُ كـل مُرَحّـب بالوافـــدين مُشَـــمِّر السـربال

ولقـــد يُـــرى في نعمـــةٍ محســـودةٍ هـذا الـذي ترثيـهِ في الأسـمال

هـذا المشـرَّدُ كـان مأمَـلَ طالـبٍ ومُنـاخَ أطـلاح، وخـدنَ عـوالي[2]

***

أسـفاً يهـدُّ الجـوع منـكَ بطولـةً يـا معـدِنَ الأشـبالِ والأبطـال

يـا معـدِن النفَـرِ الـذينَ تقسَّـموا لســماحةٍ، ورجاحـــةٍ، ونِـــزال

---

[1] السميدع: السيد الكريم. الرئبال: الأسد.

[2] اطلاح: جمع طليح وأطلح العير أعيا.

ذُخِـــرَتْ لأيـــام السـرورِ فلائـــلٌ ... نزلـتْ عـلى الأوطـانِ شرَّ عِيـال

وبنـوكَ قـد ذُخِـروا ليـومِ كريهـةٍ ... وضريبـــةٍ ومجاعـــةٍ وقِتـــال

تلـــك الســـواعدُ فعمـــةٌ مفتولـــةٌ ... أرخـتْ أشـاجعَها يـدُ الإقـلال

ولقـد وَقفـتُ عـلى مَصـبِّك وَقفـةً ... لا يَنمَحـي تـذكارُها مـن بـالي

أمـــا مســـيلُ المـــاءِ فيـــكَ فإنـــه ... يَـبَسٌ تعـاورَهُ مسـيلُ رِمـال

أعيـا لسـانَ القـولِ فـرطُ تَلَجْلُـجٍ ... فيـــه فســـاعدَهُ لســـانُ الحـــال

خالسـتُ موقـفَ صـاحبي فوجدتُـه ... وهـــو الـــرزينُ مهـــيَّج البِلبـــال

ولقـد يعـزُّ عـلى الشُّـعور وأهلِـهِ ... مرأى البـلادِ بمثـل هـذي الحـال

وفحصـــتُ أطـرافي فكانـت كلُّهـا ... تـــوحي إليَّ معـــرّة الإهمـــال

يا ساكني "الغـراف" مـا قـدرُ الـذي ... يـــأتيكمُ مـــن شـــاعرٍ قـــوّال

أوَ أبعـــثُ الأمـــلَ المـــريحَ إلـــيكُمُ ... أنـــا مـــثلُكمْ متصـــدِّعُ الآمـــال

أنـا مـثلُكم أسـلمتُ كـلَّ عـواطفي ... لليـأسِ يأخـذُها بكـلِّ مَجـال

في ذمـــة التـــاريخِ مـــا جُـــرِّعتُمُ ... مـــن غُصَّـــةٍ، في ذمَّـــةِ الأجيـــال

قـد قلـتُ للنَفَـرِ القليـلِ خِيـارُهم ... لـــو كـــانَ ثَمَّـــةَ ســـامعٌ لمقـــالي

هـاتوا مـن الأعـمال مـا يقـوى عـلى ... تصـديقِ بعـضِ خـوادِعِ الأقـوال

أو لا فـــإنَّ الشـــعبَ دوّى يأسُـــهُ ... إخشَـوا عواقـبَ يأسِـهِ القتّـال

مـــا يمنـــعُ الســـاداتِ أن يتفكَّـــروا ... بمصـــير أعبِـــدةٍ لهُـــمْ ومِـــوالي

شــعبٌ عــلى شــكلٍ تمشّــى حكمُــهُ ... أبــداً بــرغم تخــالُفِ الأشــكال

وأمــضُّ مــن قَحــط الســنين بأمــةٍ ... مشــلولةِ الأعــمالِ قحــطُ رجــال

شــعبٌ أراد بــه الوقيعــةَ خصــمُهُ ... وبنــوه فهــو ممــزَّقُ الأوصــال

شُغِلَ "الفراتُ" بضيمه عن"دجلة" ... ونســى جنــوبيَّ العــراق شــمالي

وإذا ســألتَ الرفــقَ كــان جــوابُهُم ... مــا للقلــوبِ الموجعــاتِ ومــالي

بغداد، عام ١٩٣٠

عتاب مع النفس

عتَبْتُ ومالِيَ مِن معتبِ ... على زَمَنٍ حُوَّلِ قُلَّبِ

أُنلصِقُ بالدهر ما نجتوي ... ونختصُّ نحن بما نجتبي؟![1]

كأنَّ الذي جاء بالمَخْبثاتِ ... غيرُ الذي جاء بالطَّيب!

وما الدهرُ إلا أخو حَيدةٍ ... مُطِلٌّ على شرفٍ يرتبي[2]

يُسجِّلُ معركةَ الكائناتِ ... مثلَ المُسجِّل في مَكتب

فما للزمانِ وكفّي إذا ... قَبضتُ على حُمَةِ العقرب؟![3]

وما للَّيالي ومغرورةٍ ... تُجَشِّمُني خَطَرَ المركب؟

بِنابيَ، مِن قبلِ نابِ الزمان ... ومن قبل مِخلبه مِخلبي

تَفَرّى أديمي، لم أحترِس ... عليه احتفاظاً ولم أحدَب!

بناءٌ أُقيمَ بجهد الجُهُود ... وسهرةِ أُمٍّ ورُعْيا أب

وأضْفَتْ عليه الدروسُ الثِقالُ ... لوناً من الأدب المُعْجِب

عَدوتُ عليه فهدَّمتُه ... كأنْ ليس لي فيه من مطلب!

***

يدايَ أعانت يدَ الحادثات ... فَرُنِّقَ طوعَ يَدي مشربي

أجدُّ وأعلمُ عِلمَ اليقين ... بأنّي من الدهر في ملعب!

وأنَّ الحياةَ حَصيدُ المنى ... وأنَّ الشروق أخو المغرب!

---

[1] نجتوي: نكره. ونجتبي: نحب ونختار.

[2] الشرف: جمع شرفة وهي الموضع العالي المشرف. ويرتبي: يطل ويقتعد ربوة الجبل.

[3] حمة العقرب: مغرز السم في ذنابها.

وأني عـــلى قـــدْر مـــا كـــان بالفُجـــاءاتِ مِـــن قَســـوةٍ كـــان بي

بَعـــثْنَ البَواعـــثَ يَصْـــطَدْنَني وأبصـــرتُ مَنجـىً فلـم أهـرب!

و ثـــارتْ مُخيّلتـــي تـــدَّعي بـــأنَّ التَنـــزُّلَ مَرعـــى وبي

وأنَّ الخيانـــةَ مـــا لا يجـــوزُ و أنَّ التقلُّـــبَ للثعلـــب

وأنْ لـيس في الشـرِّ مـن مَغـنمٍ يُعـادلُ مـا فيـه مـن مَثْلَـب

ولمـا أُخِـذْتُ بهـا وانثَنَيْـت نُـزولاً عـلى حُكمهـا المُرهِـب

ووطَّنـتُ نفسـي كـما تشـتهي عـلى مَطْعـمٍ خَشِـنٍ أجْشَـب

مشـى لِلمثالـبِ ذو فطنـةٍ بقـوَّةِ ذي لِبَـدٍ أغلـب[1]

جَسـورٍ رأى أنّ مَـن يَقـتحِمْ يُحكَّـمْ، ومـن يَـنكمشْ يُنْهَـب

وأفرغهـا مـن صُـنوفِ الخِـداعِ والغـشِّ في قالـبٍ مُـذْهَب

فَرَفَّـتْ عليـه رفيـفَ الأقـاح في مَنبـت نَضـرٍ مُعشِـب

تُسـمّى خَلائِـقَ محمـودةً ويُـدعى أبـا الخُلُـقِ الأطيـب!

وراحَ سـليماً مـن الموبقـات ورُحـتُ كـذي عاهـةٍ أجـرب!

ولم أدرِهـا عِظَـةً مُـرَّةً بـأني متـى أحـترِسْ أُغلَـب

ولكـنْ زَعمـتُ بـأنَّ الزمـان دانٍ يُسِـفٌّ مـع الهيـدَب[2]

***

---

[1] يراد بذي اللبد الأغلب الأسد، واللبد جمع "لبدة": الشعر المتجمع بين كتفي الأسد، والأغلب الغليظ الرقبة، وهي من أوصافه.

[2] الهيدب: السحاب المتدلي.

ويـــومٍ لَبســـتُ عليـــه الحيـــاةَ ... ســـوداءَ كاللَّيلـــة الغَيْهَـــب

أرى بَســمةَ الفجـرِ مثـلَ البُكـاء ... وشَـــدْوَ البَلابـــل كالمَنْعَـــب!

وبـــتُّ عكوفـــاً عـــلى غُمَّتـــي ... حريصـــاً عـــلى المنظـــر المُكـــرِب!

وبعثـــرتُ هاجعـــةَ الـــذكريات ... أُفـــتِّشُ عـــن شـــبحٍ مُرعِـــب!

حَملـــتُ همـــومي عـــلى مَنكِـــبٍ ... وهـــمَّ ســـوايَ عـــلى مَنكِـــب

ولا شـــيتُ نفســـيَ في الأبعـــدين ... أُفكّـــرُ فـــيهمْ وفي الأقـــرب!

ولّمـــا فَطِنـــتُ عـــلى حالـــة ... تليـــقُ بمنتحـــرٍ مُحـــرِب..

نســـيتُ بـــأني اقْتَرَفْـــتُ الـــذنوبَ ... وانصَـــعْتُ أبحـــثُ عـــن مُـــذنِب!

أخـــذتُ بمخنِـــق هـــذا الزمـــان ... لم يفتكِـــــرْ بي ولم يحسِـــــب!

***

ويـــومٍ تَنَعَّمْـــتُ مـــن لـــذَّةٍ ... متـــى لم أُنعَّـــم بهـــا تـــذهب

ولّمـــا انطـــوتْ مثـــل أشـــباهِها ... وكـــلُّ مَســـيلٍ إلى منضَـــب..

تَخيَّلـــتُ حِرصـــاً بـــأنَّ الزمـــان ... عـــدوُّ اللّبانـــةِ والمـــأرَب

وأنَّ الطبيعـــةَ والكائنـــاتِ ... مـــا يَســـتبينُ ومـــا يَختبـــي

تـــألبنَ يَسْـــلُبْنني فُرصـــةً ... مـــن العُمْـــرِ إنْ تنـــأ لا تَقْـــرُب!

وأنَّ الزمـــانَ مشـــى مســـرعاً ... يُـــزاحمُ مَوكبُـــهُ مَـــوكبي!

وأنَّ الكواكـــب طُـــرّاً سُـــعدْنَ ... ولم يَشْـــقَ منهـــا ســـوى كـــوكبي!

وأنّيَ لـــو كنـــتُ في غمـــرةٍ ... مِـــن الفكـــر أو خـــاطرٍ مُتعِـــب

لقَلَّـــلَ مـــن خَطـــوهِ جاهـــداً ... كمِشْـــيةِ مُثْقَلـــةٍ مُقـــرب![1]

ورُحـــت أُشـــبِّهُ مـــا فـــاتني ... مـــن العـــيش بالبـــارق الخُلَّـــب

مُغالَطَـــــةً إنَّ شرَّ العـــــزاءِ ... تعليـــلُ نفســـك بالمُكـــذَب!

***

وإني عـــلى أنَّ هـــذا المـــزاج ... رمـــانيَ بـــالمُرهِق المُنْصِـــب

ورَفَّـــتْ ظِـــلالٌ تُشـــيعُ القُنـــوط ... عـــلى صَـــفْحَتيْ وجهـــيَ المُتعـــب

وكنـــتُ عـــلى رُغـــم عُقـــمِ الخـــليِّ ... أهـــوى حيـــاةَ خَـــليٍّ غبـــي

لأحمِـــل، للفُـــرَص الســـانحاتِ ... وللأريحيَّـــة، نَفْـــسَ الصـــبي

طليقـــاً وأعـــرفُ عُقْبـــى الطمـــوح ... فـــلا بالـــدَّعِيِّ ولا المُعْجَـــب

تَـــمَتَّعْتُ في رَغَـــدٍ مُخصِـــب ... وهُـــذِّبتُ في يَـــبَسٍ مُجْـــدِب

وأفضـــلُ مـــن رَوَحـــاتِ النعـــيم ... عـــلى الـــنفس مســـغبةُ المُـــترِب[2]

فـــإنْ جِئـــتُ بـــالمُوجعِ المُشـــتكي ... فقـــد جئـــتُ بـــالمُرقِص المُطـــرِب!

***

دعِ الـــدهرَ يـــذهبْ عـــلى رِسْـــلِهِ ... وسِرْ أنـــتَ وحـــدَكَ في مَـــذهب[3]

ولا تَحتَفـــــل بكتاباتـــــهِ ... أرِدْ أنـــتَ مـــا تشـــتهي يُكتـــب!

فـــإنْ الحماقـــةَ أنْ تَنثَنـــي ... مـــع الـــواردينَ ولم تشـــرَب

---

[1] المثقلة المقرب: المرأة التي دنا وقت مخاضها.

[2] المُترب: "كالمدقع" اللاصق بالتراب لفقره.

[3] الرسل: الاتئاد في السير.

تَسَـلَّحْ بـما اسـطعتَ مـن حيلـةٍ إلى الـذئبِ تُعـزى، أو الأرنـب

وإنْ تَـرَ مَصـلحةً فاصـدقنَّ وإنْ لم تَجِـدْ طـائلاً فاكـذب!

ولا بـأسَ بالشـرِّ فـاضربْ بـه إذا كـان لا بـدَّ مـن مَضـرَب!

بغداد، عام ١٩٣٠

الشاعر ابن الطبيعة الشاذ

إذا خانتـــكَ مَوهبـــةٌ فحـــقٌّ ... ســـبيل العـــيشِ وَعْـــرٌ لا يُشَـــقُّ

ومـــا ســـهلٌ حيـــاةُ أخـــي شُـــعورٍ ... مـــن الوجـــدان ينـــبُضُ فيـــه عِـــرق

أحلَّتْـــــهُ وداعتُـــــه محيطـــــاً ... حَمَتْـــــه جـــــوارحٌ للصـــــيد زُرْق

تفـــيض وضـــاحةً والعـــيشُ غِـــشٌّ ... ســـلاحك فيـــه أن يعلـــوك رَنْـــق[1]

وتحمـــل مـــا يجـــلّ مـــن الرزايـــا ... قُـــواك وقـــد تخـــورُ لمـــا يَـــدِقُّ

وقـــد تقســـو ظـــروفٌ مُحوِجـــاتٌ ... عليـــك وأنـــتَ مـــن وَرَقٍ أرق

يظُـــنُّ النـــاسُ أنّـــك عنجهـــيٌّ ... وأنـــتَ وَهُـــم بـــما ظَنّـــوا مُحِـــقُّ

قليـــلٌ عـــاذروكَ عـــلى انقبـــاضٍ ... أحـــب النـــاسِ عنـــد النـــاسِ طَلْـــق

ووجـــهٍ تقطـــرُ الأحـــزانُ منـــه ... عـــلى الخُلطـــاءِ مَحمِلُـــه يشِـــقُّ

شريكُـــكَ في مِزاجـــك مـــن تُصـــافي ... لـــه شِـــقٌّ وطـــوعُ يـــديك شِـــقُّ

وقـــبلاً قـــال ذو أدَب ظريـــفٍ ... قِـــرى الأضـــياف قبـــلَ الـــزاد خُلْـــق

وعـــذرُك أنـــتَ آلامٌ ثِقـــالٌ ... لهـــنَّ بعيشـــةِ الأدبـــاءِ لَصـــق

أحـــقُّ النـــاس بـــالتلطيف يغـــدو ... وكـــل حياتِـــهِ عَنَـــتٌ وزَهْـــق

تســـير بـــك العواطـــفُ للمنايـــا ... وعاطفـــةٌ تســـوءُ الظُفـــرَ حُمـــق

وحتـــى في الســـكوت يُـــرادُ حـــزمٌ ... وحتـــى في الســـلامِ يُـــرادُ حِـــذق

يريـــد النـــاسُ أوضـــاعاً كثـــاراً ... وفيـــك لمـــا يُريـــدُ النـــاسُ خَـــرق

خضـــوعُ الفـــرد للطبقـــاتِ فَـــرضٌ ... وقاســـيةٌ عقوبـــةُ مـــن يَعِـــقُّ

---

[1] الرنق: صفة للماء الكدر.

نسيجٌ من روابطَ محكماتٍ شذوذُ العبقريةِ فيه فَتْق
وعندَكَ قوَّةُ التعبير عما تُحِسُّ، وميزةُ الشُعراء نُطْق
حياتُك أن تقولَ ولو لهاثاً وحُكمٌ بالسكوت عليك شَنْق
فما تدري أتُطلق من عِنان القريحةِ أم تُسِفُّ فتُسترَقّ
فإن لم تُرضِ أوساطاً وناساً ولم تكذبْ وحُسْنُ الشعرِ صدق
ولم تقلِ الشريفُ أبو المعالي وتعلَمُ أنه حَمقان مَذْق
ولم تمدحْ مؤامرةً وحُكماً بأنهما لميلِ الشَّعب وَفق
دُفِعتَ إلى الرعاع فكان شتمٌ ورحتَ إلى القضاء فكان خَنْق
بقاءُ النوع قال لكلِّ فرد "أحطُّ شمائلي عَدل ورِفق"
قلوب صِحابتي غُلْفٌ ووِرْدي لمن لم يعرف التهويش طَرْق[1]
وصارمةٌ نواميسي وعندي لمن لا يستحَقُ الوجدانَ سَحق
وإني لاحبٌّ بالظلم سهلٌ ومنحدِرٌ لصافي القلب زَلْق
غريبٌ عالم الشعراء تقسو ظروفهم وألسنُهم تَرِق
كبعض الناسِ هُمْ فإذا استُثيروا فبينهم وبين الناس فَرْق
شذوذُ الناس مُختَلَق ولكنْ شذوذُ الشاعر الفنّان خَلْق
وإن تعجَبْ فمن لَبقٍ أريبٍ عليه تساويا سَطْحٌ وعُمق
تضيق به المسالكُ وهو حُرٌّ ويُعوِزُهُ التقلُّب وهو ذَلْق

---

[1] الطرق: الماء الذي خوضته الإبل.

وسرُّ الشـــــاعرية في دمـــــاغٍ ... ذكـــيٍّ وهـــو في التـــدبير خَـــرْق

تَخـــبَّط في بســـائِطِه وحَلَّـــت ... عـــلى يـــدهِ مـــن الأفكـــار غُلْـــق

مشـــاهيرٌ ومـــاطَلَبوا اشـــتهاراً ... مَشَـــتْ بُـــرُدٌ بهـــم وأُثـــيرَ بَـــرْق

ومَرموقـــون مـــن بُعـــدٍ وقُـــربٍ ... لَهـــمْ أُفُـــقٌ وللقمـــرين أُفـــق

ومحســـودونَ إن نَطَقـــوا ووَدُّوا ... بشَـــدق مـــنهُمُ لـــو خـــيطَ شَـــدْق

يُعـــينُ علـــيهمُ رَشْـــقُ البلايـــا ... مـــن التنقيـــدِ والشَـــتَمات رَشـــق

فأمـــا جَنْبـــةُ التكـــريم مـــنهم ... فبـــابٌ بعـــضَ أحيـــان يُـــدَقّ

متـــى تُحسِـــنْ مـــدائحَهُمْ يَجِلّـــوا ... كـــما اشـــتُرِيت لحُســـن اللحـــن وُرْق

وإلاغُـــودِروا هَمَـــلاً ضَـــياعاً ... كـــما بَعـــدَ الشـــرابِ يُعـــاف زِقّ

ورب مُضـــيِّع مـــنهم هبـــاءً ... يَشـــيدُ بـــذكرِه غَـــرب وشَرق

تَـــزيَّنُ في النـــديِّ لـــه دَواةٌ ... ويُعـــرَضُ في المتـــاحف منـــه رَقّ

فيـــا عجبـــاً لمنبـــوذٍ كحَـــق ... يقـــدَّر مـــن بـــديع نَشـــاه عِلْـــق

وفي شـــتى الـــبلاد يُـــرى ضريـــحٌ ... عليـــه مـــن نِثـــارِ الـــوَرد وَســـق

يُجـــل رفـــات أحمـــدِه[1] فـــرات ... وتَمســـح قـــبرَ أحمـــدها دمشـــق[2]

ومفـــرق ذاك شُـــجَّ فلـــم يُعقِّـــب ... ورُوِّعَ ذا وســـد عليـــه رزق[3]

بغداد، عام ١٩٣١

---

[1] أبو الطيب أحمد المتنبي ومنشأه بالكوفة.

[2] أبو العلاء أحمد الشاعر المعري ومنشأه بالمعرّة.

[3] اشارة الى حادثة المتنبي مع ابن خالويه.

إلى البعثة المصرية

في تحية بعثة الجامعة المصرية إلى العراق

رُسُـلَ الثقافـةِ مـن مُضَرْ وَجْهُ العراق بكـم سَـفَرْ

حَـرَصَ القضـاء علـيكم وَرَعـتْكُمُ عـينُ القـدَر

جئـتُمْ وهاطلـةُ الغَـمام معـاً ورُحْـتُمْ والقَمـر

رشَّ السـماءُ طـريقَكم أيُحِبُّكم حتـى المطـر؟!

في القلـب منـزلُكم وبـين السـمع منـا والبَصـر

نحـن الحُجـولُ وأنـتم في كـل بـارزةٍ غُـرَر[1]

ليـل الجزيـرة لم يكـنْ لولاكمُـو فيـه سَـحَر

***

يـا سـادتي إنَّ العـراق جميعَـهُ بكُـمُ ازدَهَـر

والمحتفـونَ بكـم وإنْ كـانوا ذوي كَـرٍّ وفَـرّ

وجمـيعُهُم أهـلُ البلاد ولا يُقـاسُ بـما نَـدَر

فأجـلُّ مـن زُمَـرٍ تلقّـتكم قـد اختبـأتْ زمـر

وأجَـلُّ ممـن قـادَهُمْ حبُّ الظهورِ مَن استَتَر

خَفِيـتْ ذواتٌ جَمّـةٌ وَبَـدَتْ لكـم بعـضُ

وأُزيـحَ مـن ظَفِـروا بـه ومشى إليكم مـن ظَفِـر

مـلءَ النـوادي معجَبـون بفضـلِكم مـلءَ الحَجَـر

---

[1] الحجول: بياض في قوائم الفرس وهو من صفات كرمها واستعارتها لكرم الأصل.

لكـــنَّهُمْ لم يملِكـــوا حـــقَّ الجلـــوس عـــلى السُّـــرُر

غـــيرُ المناسِـــب أن يَمـــسّ حريـــرَ ســـادَتنا الـــوَبَر

فـــإذا أرَدْتُـــم أن يُتـــاح لهـــم بصُـــحْبتكم وَطَـــر

فضَـــعوا بقارعـــةِ الطريـــق لَهـــم بُيوتـــاً مـــن شَـــعَر

وسيُســـمعونَكُمُ مـــن الترحيـــب خاتمـــةَ السُّـــور

وَضعُ العراقِ خُـذوه مـن عَـذَبات أقـلامِ أُخـر[1]

و لحفـــظِ حُرِيّـــاتِهِمْ مـن أن تُـداسَ وتُحتقَـر

لـــتَرُحْ لمصـرَ سُـعاتُكم ليَجـئْكُمُ منهـا خَفَـر

هـــم مُرهقـــون لأنَّهُـــمْ لا يصـدَعون لمـن أَمَـر

عنـــدي مقـــالٌ يســـتَوي من لامَ فيـه ومـن عَـذَر

سَقَطَتْ على الأرض الثمار وجـاءَكم يمشـي شَـجَر

***

مـــاذا أحـــدثكم حـــديثَ القلـــب مـــن جَمْـــر أحَـــرّ

كـــلُّ المســـائل مُـــرَّةٌ وســـكوتُنا عنهـــا أمَـــر

أعلـــيكم يَخفَـــى وفي كـــلِّ الـــورى ذاعَ الخَـــبَر

لســـتُم مـــن القـــوم الـــذينَ يُخـــادعون بـــما ظَهَـــر

---

[1] العذبات: جمع عذبة والعذبة طرف كل شيء.

حتـــى نغـــالِطكم ونـــزعمُ أنَّنـــا فـــوقَ البَشَـر

رُســلَ الثقافــة مــن أجــلِّ صــفاتِكم بُعــدُ النَظــر

ولـــداتُنا في كـــلِّ نفـــعٍ للسياســـةِ أو ضَرر

غَطّــى علينــا ســادتي وعلـيكُمُ جِلـدُ النَمِـر

وعــلى السَّــواءِ لنــا كــما لكُــمُ يُكــادُ ويُــؤتَمَر

وعــلى قيــاسٍ واحــدٍ حُفِرَتْ لكم ولنا الحفـر

أنــتُمْ لنــا عِــبرٌ وفــيما نحــن فيــه لكُــمْ عــبر

عـــن أي شيءٍ تَســـألون فكـــل شيءٍ مُحتَـــكَر

لم يخـــلُ دَرْبٌ مـــن عراقيـــلٍ ولم يَســـلَم مَمَـــرّ

وسَــلوا الخبــيرَ فــإنني ممــن بواحــدةٍ عَثَــر

حتــى لقــد أشــفقت أنْ يعتــاقَ رحلـتكم حَجَـر

تهتاجُنـــا النعـــرات طائشـــةً ويـــنجَح مـــن نَعـــر

في كــلِّ حَلــق نغمــةٌ ولكــلِّ أنملــةٍ وَتَــر

ويعــاف مــن لم يُــرْض أصــحاب النفــوذِ ويُنْتَهَــر

تمشــي ســموم المُغرِضــين بسُــوحنا مشــيَ الخَــدَر

يتقـــاذفونَ عقولَنـــا وقلوبَنـــا لَعِـــبَ الأُكـــر

ولقــد نُصــفِّقُ للخطيــب ونحــن منــه عــلى حَــذَر

باسم البلاد يجل من جرَّ البلادَ إلى الخَطَر

يا سادتي: لا ينتهي فيضُ الشعور إذا انفَجَر

ولكي أريحَكُمُ أجيءُ لكم بشيءٍ مُختَصَر

إن السياسة لَم تبقِّ على البلادِ ولم تَذَر

وبرغم ما في الرافدينِ من المصائب والغِيَر

وبرغم أنا قد تزعَّمَ عندنا حتى البَقَر

فهنا شبابٌ ناهضونَ عقوقُهم إحدى الكُبر

كِتَلٌ تَحَفَّزُ للحياة يسوقُها حادٍ أغر

تمشي على نُور الثقافة مشيَ موثوقِ الظَفَر

فيها الشجاعةُ من عليٍّ والسياسةُ من عُمر

***

وإذا أمرتُم أن أسامرَكم فقد لذَّ السَّمَر

عن نهضةٍ أدَبيةٍ ما إن لها عنكُمْ مَفَر

لولاكُمُ ما كان للشعراء فينا من أثر

قبر الأديبِ الألمَعيِّ هنا وفي مصرَ انتشَر

الله يُجزي من أفاد ومن أعان ومن نَشَر

إني أسائلكم وأعلمُ بالجواب المُنتظَر

هـــل تَقبَلـــون بـــأن يقـــالَ أديـــبُ مصـــرَ قـــد افتَقَـــر

أو أنَّ "شـــوقي" مـــن حَراجـــة عيشـــهِ كالمُحتَضـــر

أو أن "حافظَ" قـد هَـوى فتجـاوبونَ: إلى سَـقَر

حاشـــا فتلَـــك خطيئـــةٌ و جريمـــةٌ لا تُغتفـــر

"شـــوقي" يعـــيشُ كـــما يليـــقُ بمـــن تفَكَّـــرَ أو شَـــعَر

وســـطَ القصـــورِ العـــامراتِ و بـــين فائحـــةِ الزَهَـــر

برعايـــةِ الـــوَطَن الأعَـــزِّ و غـــيرةِ المِلـــك الأبَـــرّ

و تحـــوطُ إبـــراهيمَ عاطفـــةُ الأمـــير مـــن الصِـــغَر

أمـــا هُنـــا فالشـــعر شيء للـــتملُّح يُـــدَّخَر

وعـــلى الســـواءِ أغـــابَ شـــاعرُنا المجـــوِّدُ أم حَضَـــر

سَـــقَطُ المتـــاع وجـــودهُ عنـــد الضـــرورة يُـــذَّكَر

في كـــل زاويـــةٍ أديـــبٌ بـــالخمولِ قـــد اســـتَتَر

وقريحـــة حَسَـــدوا عليهـــا مـــا تجـــودُ فلـــم تثـــر

وإلى اللقـــاءِ وهمُّنـــا أنَّ الضيوف عـلى سَـفَر

جَمَـــعَ الإلـــهُ مصـــيرَنا ومصيرَ مصرَ عـلى قَـدَر

بغداد، عام ١٩٣١

الأوبـــاش

إحدى روايات أميل زولا التي أثرت بالشاعر فحاول إيجازها شعراً لأخذ العبر منها.

جهِلنـــا مـــا يُـــرادُ بنـــا فقُلنـــا ... نـــواميسٌ يُـــدبِّرها الخفـــاءُ

فلـــما أيقَظَتْنـــا مـــن سُـــباتٍ ... مكائـــدُ دبَّرتهـــا الأقويـــاء

و لـــيس هنـــاكَ شـــكٌّ في حيـــاةٍ ... تـــدوسُ العـــاجزين ولا مِـــراء

لجأنـــــا للشـــرائعِ باليـــــاتٍ ... لتَحميَنـــا وقـــد عـــزَّ احـــتماء

فكانـــتْ قـــوَّةً أخـــرى وداءً ... رَجَونـــا أن يكـــونَ بـــه الـــدواء

حثيـــثٌ ســـيرُهنَّ إلى ضـــعيفٍ ... تلقَّفُـــه وعـــنْ أشِرٍ بِطـــاء

تســـيرُ وشـــأنَها حتـــى إذا مـــا ... تصـــدَّتْ قـــوَّةٌ فيهـــا التـــواء

وقـــامَ الســـيفُ يُرهـــب دفَّتيهـــا ... تؤيِّـــدُه ميـــولٌ وارتشـــاء

إذا لم تُرضِـــهِ منهـــا ســـطورٌ ... تولَّـــتْ محـــوَ مـــا فيهـــا الـــدِّماء

فيـــا أضـــحوكةَ الســـيفِ المُـــدمّى ... تفـــايضَ مـــن جوانبـــكِ الغبـــاء

***

أتصـــلِحُ مـــا الطبـــائعُ أفســـدته ... قـــوانينٌ مفسَّـــخةٌ هُـــراء

ومـــاذا غـــيَّرتْ نظـــمٌ وهـــذي ... حياتُـــكَ جُـــلُّ مـــا فيهـــا شـــقاء

ومـــا عُـــدِمَ الهنـــاءُ بهـــا ولكـــنْ ... تُنـــوزِعَ فيـــه فـــاحتُكِرَ الهنـــاء

ولم تتفـــــاوتِ الطبقـــــاتُ إلاّ ... لتنحصـــرَ الرَّفاهـــةُ والـــنَّماء

وما اختلفـت عصـورٌ عـن عصـورٍ ... نعـم غطّـى عـلى الصُـورِ الطِّـلاء

فســـوقُ الـــرِّقِّ لم يكسُـــد ولكـــن ... تبـــدَّلَ فيـــه بيـــعٌ أو شِراء

وقـد قامـتْ عـلى التشريعِ سـوقٌ ... بهـا احتشـدتْ عبيـدٌ أو إمـاء

ولكـنْ تحـت أغطيـةٍ ومـاذا ... ترى عـينٌ لـو انكشـفَ الغِطـاء؟

تـرى أبـداً رعايـا أذكيـاءً ... تسوسُـهُمُ رُعـاةٌ أغبيـاء

وأحـراراً رجـالاً أو نسـاءً ... تُسـخِّرهم رجـالٌ أو نسـاء

فتفتقـرُ المواهـبُ والمزايـا ... و تنـدَحرُ العزيمـةُ والفَتـاء

وتخمُـدُ جـذوةٌ لـولا تـردِّي ... نظامـاتٍ لأهلبهـا الرَّجـاء

يُزهِّـد في المحامِـدِ طالبيهـا ... يقـينٌ أنَّ عُقباهـا هبـاء

فقـد تـأتي الفظيـعَ ولا عقـابٌ ... وقـد تُسدي الجميـلَ ولا جـزاء

وتتَّفـقُ المجاعـةُ والمزايـا ... وتلتـئِم المحاسـنُ والعـراء

وفي التـاريخِ أتعـابٌ كِثـارٌ ... مضـتْ هَـدَراً وطـار بهـا الهـواء

وأعـمالٌ مشـرِّفةٌ ذويهـا ... تولاَّهـا فضـيَّعها الخفـاء

وأُخـرى جـرَّ مغنَمَهـا دنيٌّ ... فسـرَّته، وصـاحبُها يُسـاء

***

تكـون وقاحـةٌ فيـودّ مـرءٌ ... لـوَ انَّ مكانَهـا كـانَ الحيـاء

فـإن وُجـدَ الحيـاءُ سـطا عليـه ... فسـخَّرهُ أنـاسٌ أذكيـاء

مزاحمـةً كـأنَّ دهـاءَ مـرءٍ ... وطيبـةَ نفسـهِ ذئـبٌ وشـاء

وكـلُّ محسِّـنَينِ إذا اسـتتمّا ... فخيرُهمـا لشـرِّهما الفـداء

وإنَّ أشرَّ مـــا يلقـــى أريـــب ... وأوجـعَ مـا يَحـار بـه الـدَّهاء

نفـــوسٌ هـــدَّها شرفٌ ونبـــلٌ ... وأرهقهـــا التمنُّـــعُ والإبـــاء

وقـد عاشـت إلى الأوبـاشِ تُعـزى ... وماتـتْ وهـي مُعدمَـةٌ خَـلاء

وأُخـرى في المخـازي راكسـاتٌ ... كأصـدق مـا يكـونُ الأدنيـاء

مشـتْ في النـاسِ رافعـةً رؤوسـاً ... تنصِّـبُها كـما رُفـعَ اللـواء

فـلا الأرضـونَ قـد خُسِـفت بهـذي ... ولا هـــذي أغاثتهـــا الســـماء

***

أتعـرف مـن هـم الأوبـاشُ "زَولا" ... يُـريكهمُ كأحسـنِ مـا يُـراء

يُـــريكهمُ أُناســـاً لم يُلصَّـــقْ ... بهـم غـدرٌ ولم يُنكـر وفـاء

تطـيحُ بيـوتُهم حِفظـاً لبيـتٍ ... يضـمُّهم – وصـاحبَه – الإخـاء

***

أتعـرفُ "لانتيـهِ" ومـا أتـاهُ ... مـن الشـرفِ الـذي فيـه بـلاء[1]

وهـل شرفٌ بـلا نكـدٍ وضُرٍّ ... يُـتمِّمُ خِلقـةَ الشـرف العنـاء

تولَّـت "لانتيـهِ" يـدُ الرزايـا ... و أنشـبَ فيـه مخلَبـه "القضـاء"

قضـاءُ الله قلـتُ.. وإنْ تُـرِدْه ... قضـاء حكومـةٍ فهـما سـواء

ودَهـورَه الوفـاءُ ونعـمَ عقبـى الصـداقةِ أنْ يـدهورَكَ الوفـاء!

---

[1] "لانتيه" بطل رواية "أميل زولا" "الأوباش" الذي سبب له نبله وإخلاصه للصداقة، المهانة والمذلة والسجون.

و مـــنْ يـــذهبْ بثروتِـــهِ ضـــمانٌ ... لصـــاحبِهِ فقـــد حسُـــنَ الجـــزاء!

و قامـــتْ صـــيحةٌ مـــن كـــلِّ بـــابٍ ... تراجَـــعْ "لانتييـــهِ" فـــلا نجـــاء

ســـتعلمُ أيـــنَ أهـــلُ المـــرءِ عنـــه ... وإخوتُـــه، إذا ذهـــبَ الثـــراء

و قـــد صـــدَقوا فـــإنَّ يـــديكَ تهـــزا ... عـــلى رجليـــكَ إنْ نضـــبَ الرخـــاء

و قـــد كـــذِبوا فـــ "بايـــارٌ" لديـــه ... وكـــانَ لـــه بـــ "بايـــار" العـــزاء[1]

وكـــلُّ النـــاسِ مـــن قـــاصٍ ودانٍ ... لِمَـــن واســـاكَ في ضـــيقٍ فـــداء

فجـــاءَ يَـــزين موقفَـــه لســـانٌ ... كحـــدِّ الســـيفِ أرهفـــه المُضـــاء

محامـــــاةً مشـــرِّفةً وليســـــتْ ... محامـــاةً يُـــرادُ بهـــا الرِّيـــاء:

صـــديقٌ ضـــامنٌ نجَّـــتْ صـــديقاً ... ضـــمانتُه وقـــد عـــزَّ الأداء

ولـــيسَ بمُنكـــرٍ دفعـــاً ولكـــنْ ... مُقاســـطةً يحتِّمُهـــا اقتضـــاء

فـــ "لانتييـــه" لـــه شرفٌ وجـــاهٌ ... وأطفـــالٌ وأهـــلٌ أبريـــاء

و معملُـــه تعـــيشُ بـــه مئـــاتٌ ... ســـيُعْوِزُهُم – إذا سُـــدَّ – الغـــذاء

ولكـــنَّ "القضـــاء" أجـــلُّ مِـــن أنْ ... يُصـــدَّقَ مـــا يقـــولُ الأصـــدقاء

فأصـــبح "لانتييـــه" وكـــلُّ مـــا في ... يديـــهِ مـــن نثـــا الـــدُّنيا جُفـــاء

***

(١) "بايار": محامي الدفاع عن لانتييه والذي تذهب كل جهوده في تخليص موكله هباءً نتيجة تعسف القضاء.

وبينـــا "لانتييـــه" يفـــيضُ بؤســـاً ... و يطفـــحُ بالشـــقاءِ لـــه إنـــاء

إذا "بالعـــدل" يكبِســـهُ، لمـــاذا؟ ... لأنَّ العـدلَ يكـبس مـن يشـاء..!

لأن "العـــدل" يُشـــغِلُه أنـــاسٌ ... هـــمُ فـــوقَ "المنصَّـــةِ" أنبيـــاء..!

وهبْ ذهبت ضحايا "العدل" ظُلماً ... نفـــوسٌ مـــن تظنِّيـــه بُـــراء[1]

فـــلا لـــوم عليـــه وإن تلـــوّثْ ... ســـياطٌ فـــوقهم أو فـــار مـــاءُ

ســـــيجلِدُهم إلى أنْ يُقنعـــــوه ... بـــأنهم أُنـــاسٌ أبريـــاء..!

فـــإن هلكـــوا وخلْفَهُـــم بيـــوتٌ ... خـوتْ مـن بعـدهم فلـه البقـاء!

بغداد، عام ١٩٣١

---

[1] التظني: التظنن.

دمعـة على صـديق(*)

حَمَلَـتْ إليـك رسـالةَ المفجـوعِ ... عـينٌ مرقرقـةٌ بفـيضِ دمـوعي

لا تبخَسُـوا قَـدْرَ الـدموع فإنهـا ... دُفَـعُ الهمـومِ تَفـيضُ مـن يَنْبـوع

للـنفس حـالاتٌ يَلَـذُّ لهـا الأسـى ... وتـرى البُكـاءَ كواجـبٍ مشروع

و أمَضُّـها فقـدُ الشـبابِ مُضَـرَّجاً ... بدمائـه مـن كـفٍّ غـير قريـع

أأبـا فـلاحٍ هـل سـمعتَ مَنَاحـةً ... وَصـلَتْ إلى أسـماعِ كـلِّ سـميع

قـد كنـتَ في مندوحـةٍ عـن مثلِهـا ... لـولا قضـاءٌ لـيس بالمـدفوع

أبكيـكَ للطبـعِ الرقيـقِ وللحِجَـى ... أبكـي لحبـلِ شـبابِكَ المقطـوع

أبكيك لستُ أخصُّ خلقاً واحداً ... لكـنما أبكـي عـلى المجمـوع

***

جَزَعـاً شـقيقيه فهـذا موقـفٌ ... يَشْـقَى بـه مـن لم يكـنْ بجَـزوع

إنَّ التجلُّـدَ في المصـاب تطبُّـعٌ ... والحـزنُ شيءٌ في النفـوس طبيعـي

وإذا صـدقتُ فـإنَّ عـينَ أبـيكما ... قـد خَـبَّرَتْ عـن قلبِـهِ المصـدوع

(*) في تأبين صديقه الشاب حسن الظاهر، ألقاها في مجلس الفاتحة المقام له في بغداد.

شـيخوخةٌ مـا كـان أحوجَهـا إلى شـــملٍ تُسَـرُّ بقربِـــهِ مجمـــوع

وبحَسْـبِ "أحمـدَ" لوعـةٌ (أنَّ ابنـهُ) "لبس الغروبَ ولم يَعُدْ لطلـوع"[1]

لـو تـأذنون سـألتُهُ عـن خـاطرٍ مُبْـكٍ يَهُـزُّ فـؤادَ كـلِّ مَـروع

أعرفْـتَ في سـاعاتِ عُمْـركَ موقِفـاً بَعَـثَ الشُّـجونَ كسـاعةِ التوديـع؟

***

إني رأيـــت القـــولَ غـــيرَ مرفَّـــهٍ لكـن رأيـتُ الصـمتَ غـيرَ بـديع

فأتتك تُعـرِبُ عـن كـوامنِ لـوعتي مقطوعـــةٌ هـــي آهـــةُ الموجـــوع

١٩٣١/٦/٢٦

---

[1] هذا الشطر مضمن من بيت للشريف الرضي:

قمر اذا استخجلته بعتابه لبس الغروب ولم يعد لطلوع

إلى جنيـف

بمناسبة سفر الملك فيصل الأول إلى جنيف تمهيداً لدخول العراق عصبة الأمم المتحدة

لُقِّيتَ عُقْبى الجهدِ والأتعابِ ونزلت خيرَ مَحَلَّةٍ وجَنابِ

ورَحلْتَ خيرَ مُودَّع عن موطن حاميتَ عنه، وأُبتَ خيرَ إياب

ودفعتَ للدار الحصينةِ أمةً وَقَفتْ سياستُها على الأبواب

ولأنتَ خيرُ لسان صِدقٍ ناطقٍ عنها إذا صَمَتتْ، وخيرُ كتاب

غابَ الأسودِ جنيفُ سوفَ يَدوسُها أسدٌ تقدِّرُه أسودُ الغاب

رحْبُ الفؤادِ غداً تُجِلُّ مكانَهُ أربابُ أفئدةٍ هناك رِحاب

وهناك سوفَ تَرى النواظرُ مالئاً كرسيَّهُ قُطباً من الأقطاب

ملءَ العيونِ سِماتُ أصيدَ طافحٍ عزماً، وملءَ السمع فصلُ خِطاب

ومَلامحٌ مشبوبةٌ هي وحدَها وكفى، دليلُ نجابةِ الأعراب

لله درُّك من خبيرٍ بارع يَزِنُ الأمورَ بحكمةٍ وصَواب

يُعنى بما تَلِدُ الليالي حيطةً ويُعِدُّ للأيام ألف حساب

متمكِّنٌ مما يريد يَنالُهُ موفورَ جأشٍ هادئَ الأعصاب

يلتفُّ "كالدولاب" حول كوارثٍ حَشَدت عليه تدورُ كالدولاب

وإذا الشعوبُ تفاخرَت بدُهاتها في فضِّ مشكلةٍ وحَلِّ صِعاب

جاء العراقَ مباهياً بسَمَيذَعٍ بادي المَهابة رائعٍ جَذّاب

يُرضيك طولُ أناتِهِ فإذا التَوى فهو القديرُ الفذُّ في الإغضاب

***

أمُلاعـبَ الأرمـاحِ يـومَ كريهـةٍ ... في السلمِ أنـتَ ملاعـبُ الألبـاب

أعجِبـتُ منـكَ بهمـةٍ ورويَّـةٍ ... وأقـلُّ إعجـابِ امـرىءٍ إعجـابي

إن الـذي سـوّى دِمَاغَـك خصَّـه ... مـن كـل نـادرةٍ بخـير نِصـاب

لبّـاسُ أطـوار يُـرى لتقلُّـبِ الأيـام مُـدَّخراً سِـفاطَ ثيـاب

يمشـي إلى السرِّ العميـقِ بحيلـةٍ ... أخفى وألطفَ مـن مَـدَبِّ شراب

يبـدو بجِلبـابٍ فـإنْ لم يَرضَـه ... يَنْزِعْـه مُنسـلاً إلى جِلبـاب

قضتِ الظـروفُ بـما تُريـد وغُلِّبـتْ ... آراءُ مجتمـعِ القُـوى غـلاّب

وعرفتَ كيف تُـري السياسـةَ خطـةً ... عربيـةَ الأوصـاف والألقـاب

مشَّـيتَها عشـراً وئيـداً مشـيها ... بـاللطفِ آونـةً وبالإرهـاب

وكَشـفَت كـلَّ صـحيفةٍ مسـتورةٍ ... وتركتَهـا عُرْيـاً بغـير نِقـاب

وقَتلـتَ أصـناف الرجـال درايـةً ... مـن مسـتقيمٍ في خُطـاهُ وكـابي

ومُعـارِضٍ خَـدَمَ الـبلادَ لغايـةٍ ... شَرُفَـت وآخـرَ خـائنٍ كـذاب

وكـأنني بـك إذ تقابـلُ واحـداً ... مـنهم، تُريـه غفلـةَ المتغـابي

فـإذا ادَّعـى مـا لـيس فيـه أتيتَـه ... في مـا تُريـد، بمَحضَـرٍ وكِتـاب

***

لم تبـقَ لـولا فـرطُ عزمِـك ريبـةٌ ... أنَّ العـراق يسـير نحـو تَبـاب

حتـى وَقَفْـتَ بـه يمـدُّ لَهَاتَـهُ ... تَعبَـاً مـن الأثقـال والأوصـاب

لا أدَّعـــي أنْ قـــد أتـــمَّ نمـــوَّه ... من كان أمسِ بشكلِ طِفلٍ حـاب

فلَتِلـــك ليســـتْ بالبعيـــد منالُهـــا ... عـن كـلِّ شَـعب طـامحٍ وثّـاب

لكـــن أقـــولُ أريتَـــه مســـتقبَلاً ... لا بالعَـــديم سَـــناً ولا الخـــلاّب

كالشُّـــهد أوَلَ مـــا تذوَّقَـــه فـــمٌ ... مـازالَ بـين لَهَـاهُ طعـمَ الصـاب[1]

فـاليومَ هـا هـو ذا بظلِّـك يحتَمـي ... مثـلَ احـتماءِ العَـين بالأهـداب

إن تشـكُ مـا قاسـيتَ مـن إجهـادةٍ ... أو تلـقَ مـا لاقيـت مـن أتعـاب

فَلقـد طَلَبـتَ منـالَ أمـرٍ لم يكُـنْ ... ليُنـالَ إلا مـن رؤوس حِـراب

***

اليـومَ يـومُ تَفـاهم بـالرَغم مِـن ... أني أحِـبُّ تَطـاحُنَ الأحـزاب

وسياســـةٌ ســـلبيةٌ لـــو أثمـــرَتْ ... فيهـا نجـاحُ رغائـبٍ وطِـلاب

وخيانـــةٌ أن لا يقـــدِّرَ مخلِـــصٌ ... تـــدعو سياســـتُهُ إلى الإضراب

لكـــن إذا لم تَبـــقَ إلا مِيتـــةٌ ... أو أختُهـا فسياسـةُ الإيجـاب

مـا يصـنعُ المـأخوذُ حبـلُ وريـده ... مـا بـينَ ظُفـرِ عـدوِّهِ والنـاب

إني هززتُـــكَ بـــالقوافي قاصـــداً ... بـكَ خدمـةَ التـاريخِ والآداب

***

لـــولا محـــيطٌ بِـــتُّ مـــن نَزَعاتـــه ... وتضـــارب الآراءِ كالمرتـــاب

---

[1] الصاب: عصارة شجر مر.

أطنبَـتُ في غُصَـصٍ لـديَّ كثـيرةٍ ... تِبيانُهـا يـدعو إلى الإطنـاب

لي حـقُّ تمحـيص الأمـورِ كواحـدٍ ... مـن سـائر الشـعراء والكُتّـاب

فـإذا أصَـبتُ فحَصْـلةٌ محمـودةٌ ... وإذا زَللتُ فلسـتُ فاقـدَ عـاب[1]

فلطالمـا حابَيـتُ غـيرَ مصـارحٍ ... ولطالمـا صـارحتُ غـير مُحـابي

ولكـم سَـكَتُّ فـلا مصـارحةٌ، ولا ... إغماضـةٌ، وقَبعْـتُ في أثـوابي

أبغـي المسـائَل محضـةً ويعـوقُني ... عن ذلكـم سببٌ مـن الأسـباب

وبـلاءُ كـلِّ مفكِّـرٍ حزبيـةٌ ... تُلقـي عـلى الآراءِ ألـفَ حِجـاب

بغداد، عام ١٩٣١

---

[1] العاب: العيب.

الحزبـان المتآخيـان

(الحزب الوطني وحزب الإخاء يتوحدان)

عليكم وإن طال الرجاءُ المُعوَّلُ ... وفي يَدكُمْ تحقيقُ ما يُتَأمَّلُ

وأنتم أخيرٌ في ادعاءٍ ومَطْمَعٍ ... وأنتم إذا عُدَّ الميامينُ أوّل

وماذا ترجّي أنفسٌ لا يَسُرُّها ... سوى الشعب مسروراً وماذا تؤمّل

نفوسٌ قويماتُ المبادىءِ حرّةٌ ... على رَغمِ ما تلقاه لا تتحول

وألسنَةٌ لُدٌّ عن الحقّ ذُوَّدٌ ... كأحسنِ ما حامى الحقيقةَ مِقْوَل

وأقلامُ كتابٍ يُريد انتقاصَها ... من النَّفَرِ المأجورِ للسبّ مِغْزَل

وهل يستوي شاكي السلاح مؤيَّدٌ ... بحقٍّ ومهتوكُ الضريبة أعزل

وأدمغةٌ جبارةٌ يُلتجى لها ... إذا انتاب محذورٌ أو اعتاص مُشْكل

ذخيرةُ شعبٍ مستضام تَحوطُهُ ... وإن لم يكنْ حِصْنٌ لديه ومَعْقل

أهابتْ ملايينٌ تَشُدُّ أكفَّها ... بأفئدةٍ من قرحةٍ تتأكل

تُناشِدُكُمْ أن تأخذُوا ثأرَ أُمَّةٍ ... أُصيبَ لها في حية القلبِ مَقْتل

وعندكُمُ تفويضةٌ تعرفونها ... وفي يدكُمْ منها كتابٌ مُسَجَّل

تآخى الفراتيون فيه وصافحت ... يدَ الحلَّةِ الفيحاءِ بالعهدِ مَوْصل

وإنّا وإنْ جارت علينا كوارثٌ ... يَقِلُّ التَّعَزِّي عندها والتّعلُّل

مضى العامُ والثاني بويلٍ وربما ... أتى ثالثٌ بالويل والموتُ مقبل

لَراجُونَ أن تَصحو سماءٌ مَغيمةٌ ... وينزاحَ عن أرض الفراتين قسطل

ولا بد أن ينجابَ ليلٌ وينجلي ... بأوضاحه يومٌ أغَرُّ مُحَجَّل

فـإن تسـألِ الأقـوامَ عنـا فإننـا ... عـلى حالـةٍ خرقـاءَ لا تُتَحمَّـل

بـلادٌ تُسـامُ الجـورَ حُكـماً، وأمـةٌ ... تُضـام، ودُسْـتورٌ مُهـانٌ مُعَطَّـل

***

أعيـذكُمُ أن يَسْـتَثيرَ اهـتمامَكُمُ ... دنيٌّ يُـداري لقمـةً أو مُغَفَّـل

وهل يَرتضي إغضابَ شَعب بأسره ... وإشـماتَهُ إلا غـويٌّ مُضَـلِّل

مسـاكينُ جرَّتهـا البطـون لهـوَّةٍ ... بها كلُّ ما يُصمي الغَيارى ويُخجل

يـدٌ رَكَسَـتْ للزّنـدِ في كـلِّ حِطّـةٍ ... وأخرى من السُـحت المُحرَّم تأكل

فـلا تعـذلوهم في اختـلاقٍ فـإنهُمْ ... مفـاليسُ مـن كـذْبٍ ودسَّ تَموَّلُـوا

أرادوا لكـم عيبـاً فـرُدُّوا وخُيِّبُـوا ... ولم يجـدوا قـولاً بكـم فتقوَّلـوا

حـرامٌ عليهم أن يقولـوا فيصـدقوا ... وعـارٌ عليـهم أنْ يقولـوا فيفعلـوا

إذا مـا انـبرى مـنكم أديـبٌ مُخَنَّـكٌ ... تصدَّى له مستسخَفُ الرأي أخطل

وأُقسِمُ لو قـالوا خـذوا ألـفَ واحـدٍ ... مقابـلَ فـردٍ مـنكُمُ لم تُبـدّلُوا

فما اسطعتُمُ فاسترجعوا الحكمَ منهم ... فـإنهُمُ صَـيْدٌ علـيكُمْ مُحَلَّـل

ومـرُّوا علـيهم واحـداً بعـد واحـدٍ ... كـما مـرَّ يصـطادُ العصـافير أجْـدل

رَأوا شَرّهـا غُـنْماً فلـم يَتعفَّفـوا ... ولـذَّ لهـم خـزْيٌ فلـم يتسـربلوا

وقـد هـان شرٌّ لـو أطـاقوا تحمُّـلاً ... ولكنّـه لم يَبْـقَ حتـى التحمّـل

وظنـوا بـأنّ اللهَ والشـعبَ غافـلٌ ... وهيهـاتَ لا هـذا ولا ذاك يغفـل

سيعرفُ قَدْرَ النّاسِ من يَستَخِفُّهُ ... ويلمَسُ عُقبى الشرِّ مَنْ يتوغّل

فقولوا لهم تعساً فقد سُدَّ مَخرَجٌ ... تَفرُّونَ منه مثلما سُدَّ مَدْخَل

وقد جاشَ صدرُ الشعبِ يَغلي حفيظةً ... عليكم كما يغلي على النارِ مِرجل

***

أروني جديداً يَفْضح الشعرُ أمرَه ... ففضحُ مساوي القوم شيءٌ مُحصَّل

فقد بدتِ النيّاتُ لا سَتْرَ دونَها ... ولا حاجبٌ إلا الكلامُ المرعبل

زخاريفُ قولٍ تعتليها ركاكةٌ ... ويبدو عليهنّ الخنا والتبذّل

إذا مسّها القولُ الصحيحُ تطايَحَتْ ... كما مرَّ يمشي في السنابلِ مِنْجَل

وألعاب صبيان تمرّ بمسرحٍ ... يقوم عليه كلَّ يومٍ مُمثِّل

على أن مَرضاةَ القوافي بذمِّهم ... وأخذَهُمُ حتى بهجوٍ تَنَزُّل

فان كان لا بد الهجاءُ وسبةٌ ... يحُطُّ بها قدْرَ الفرزدقِ جَرْوَل

فبين يديكُمْ شاعرٌ تعرِفونه ... بأشعاره أعداؤهُ تَتَمثَّل

تُعاصيه أطرافُ الكلامِ لغيركم ... وتنصبُّ مثْلَ السيل فيكم وتَسْهُل

يَرى حِطَّةً أن يَحْتمي بسوَاكُمُ ... شعورٌ وشِعرٌ ذو رُواءٍ وتَسْهُل

يَرى حِطَّةٌ أن يَحْتمي بسواكُمُ ... شعورٌ وشِعرٌ ذو رُواءٍ مُسلْسل

تَتيه بكم رَغْمَ الأنوفِ وتَزْدهي ... حسانُ القوافي لا النسيجُ المهلهل

معارضةٌ تُزهى البلادُ وتحفِلُ ... بها ويُخلّى مَنْ سواها ويُخذَل

تُنَظِّمُهـا صِـيدٌ كُـماةٌ أشـاوسٌ ... يقـودُهُمُ شَـهْمٌ يقـول ويفعـل

تـراهم مُطـاطينَ الـرؤوسَ بمحفِـل ... تَصَـدَّرَ فيـه "الهاشـميُّ" المبجـل

إذا مـا مشـى بـزّ المفـارقَ مَفْـرِقٌ ... بتـاجٍ مـن النصرِ المبـين مُكلَّـل

تَـرِنُّ النـوادي مـن مقـالِ يَقولـه ... كـما رنَّ في بيـتٍ يُهَـدَّمُ مِعْـوَل

وينقُلُـهُ بعـضٌ لـبعضٍ تَمَـثُّلاً ... إذا انفـضَّ عنـه مَحفِـلٌ عـادَ مَحفِـل

وسـيانَ قـالوا خطبـةً مضـرِيةً ... "لياسـينَ" أو قـالوا تقـدَّمَ جَحْفَـل

لـه فكـرةٌ أنكـى مـن السيف وقعـةً ... وتـدبيرةٌ مـن فَتْكـةِ المـوتِ أقْتَـل

ورابـطُ جـأشٍ كالحديـد وفوقَـه ... مـن الهـمّ والفكْـرِ المـبرّحِ كلْكَـل

وإنـك مـن أن تقبـلَ القـومَ أفضـلُ ... وإنَّهـمُ مـن أن يُـدانوك أنـزل

تقـدَّمْ لهـا "ياسـينُ" فالوضـعُ مُحـرجٌ ... إذا لم تخفِّـفْ منـه والـداءُ مُعْضِـل

وإنـك لـو قابلـتَ مـا مُتِّعَـتْ بـه ... مـن الحكـم بـالهُونِ الـذي تتحمـل

ومـا قدَّمتَـهُ مـن ضـحايا عزيـزةٍ ... نتائجُهـا هـذا الـبلاءُ الموكـل

أسـالت دمـاً عينيـك عُقْبـى كهـذه ... وهـيّج منـك الـداءَ هـذا المعـدَّل

بغداد، عام ١٩٣١

بشرى جنيف

عودة الملك فيصل الأول من سفرته إلى جنيف.

مرحبـــاً بـــالمتوَّج الغِطريـــفِ حـــاملاً للعـــراق بُشرى جنيـــفِ[1]

ناهضـــاً بالثقيـــلِ مـــن عِـــبء هـــذا الـــوطن النكـــدِ عابِئـــاً بـــالخفيف

رجـــلُ الأمَّـــة التـــي أنجبـــت ألـــف شريـــفٍ مـــن بيـــت هـــذا الشـريف

وأخـــو الوقفـــة الرهيبـــةِ والخُطبـــة تـــدوي في المحفِـــل المرصـــوف

بلطيـــفٍ مـــن التعـــابير يجـــري في مَـــدَبَّ مـــن الكـــلام لطيـــف

لغـــةُ الضـــاد في فـــم الملِـــك الفـــذِّ تُبـــاهي بحســـنِها الموصـــوف

وإذا مـــا تفاضـــلوا فَضَـــلَ الجمـــع بـــأنقى مخـــارجٍ للحـــروف

وربـــيطُ الجنَـــانِ والميتـــةُ الحمـــراءُ ترمـــي بهـــا أكـــفُّ الحتُـــوف

ينقـل الخطـوَ فـوقَ شِـلوِ صـديقٍ أو عـلى مُـخ صـاحبٍ مقـذوف

عالِمـــاً أنَّ خـــيرَ مـــا ركـــب المـــرءُ إلى غايـــةٍ متـــونَ الســـيوف

وطريـــقٍ مشـــى بهـــا في ســـبيل المـــرءَ في مثلهـــا مـــن التّعنيـــف

داخـــلاً في مـــآزق لـــيس يخلـــو المـــرء في مثلهـــا مـــن التعنيـــف

***

بهـــرَ الساســـةَ الـــدهاةَ حصـــيفٌ ذائـــعُ الصـــيتِ بـــين كـــلِّ حصـــيف

لامـــعٌ في صـــفوفهمْ تقـــع العَـــينُ عليـــه مـــن دونِ مَـــن في الصـــفوف

لَمســـوا منـــه في التصـــافُحِ كفّـــاً لم يَـــرَوا مثـــلَ وقعِهـــا في الكفـــوف

خَـــبَّرتْ فوقَهـــا خطـــوطُ السُّـــلامياتِ عـــن أيِّ مـــاهرٍ عِرّيـــف

---

[1] الغطريف: السيد.

عــن لطيــفِ في ســاعَتَيه مَهيــبٍ وأديـــبٍ في موقفَيـــه ظريـــف
وجَمـــوعٍ للحـــالتين نســـيمٍ في ظــروفٍ وعاصــفٍ في ظُــروف
وأرتْهـــم ملامـــحَ العَـــرب الماضـــينَ سِـــيما هـــذا الطُّـــوالِ النحيـــف
وجنـــةٌ تَنطـــف الســـرورَ عليهـــا مســـحةُ الهـــادئ الغيـــورِ الأسـيف[1]
وجبـــينٌ كغُـــرَّة البـــدرِ فيـــه أثـــرٌ للهمـــومِ مثـــلُ الكُســـوف
لـو أطاقـتْ فيـه الغضـونُ لقصَّـتْ عـــن عِـــراكٍ مـــع الليـــالي عنيـــف
فهُـــمُ واثقـــونَ كـــلَّ وثـــوقٍ أنهـــم واجـــدونَ خـــيرَ حَليـــف

***

لم يعُقْـــهُ أمـــرُ العـــراق وبُغيـــا ثمـــرٍ للنهـــوض داني القُطـــوف
والرزايـــا تعِـــنُّ بـــين تليـــد مُعجِـــزٍ حلُّـــه وبـــينَ طَريـــف
عـــن أمـــاني ســـوريّةٍ وقلـــوبٍ مـــن بنيهـــا تـــرفٌّ أيَّ رَفيـــف
إن في عيبـــة الملـــوك عهـــوداً هـــو في رعـــيهنَّ جـــدُّ عفيـــف[2]
عَبِقـــاتٍ بـــذكر فيصـــلَ أيـــامَ "دمَشـــقٍ" وعهـــدِهِ المعـــروف
ويكـــاد اللبيـــبُ يلمُـــسُ حبـــاتِ قلـــوبٍ عـــلى نِقـــاط الحُـــروف
لا تلُـــمْ "ســـوريا" إذا بكـــت العهـــدَ بجَفـــن المولَّـــهِ الملهـــوف

---

[1] ينطف: يسيل.

[2] العيبة: الحقيبة.

إنهـــا ذكريـــاتُ أمٍّ رؤوفٍ فَجعوهـــا بواحـــدٍ مخطـــوف

***

مُتعَـــب الـــذهنِ بالسياســـةِ لا يُنســـيه أثقالَهَـــا جمـــالُ المصـــيف

عكفـتْ أنفسٌ هنـاك عـلى الأفـراحِ والأُنـسِ بـين خَمـرٍ وهيـف

تاركاتٍ عبءَ البـلادِ ثقـيلاً لغَيـــور عـــلى الـــبلاد عَطـــوف

من دُعاة المألوفِ ما دام فيـه مظهـــرٌ لائـــقٌ بشَـــعبٍ أنـــوف

فـإذا كـــانَ حِطـــةً وجمـــوداً فالعـــدوُّ اللـــدودُ للمـــألوف

وهو ما بـين ذيـن لا بِعَنـودٍ في الـــذي يَبتغـــي ولا بعَســـوف

حـافِظٌ حُرمـةَ الأُنـوف فـإنْ هـيجَ تَوَلَّـتْ يـداهُ رغـمَ الأنـوف

لا برِخـوِ اليـدَين في نهـزه الفُرصـةَ إنْ سـاعَدَتْ ولا المكتـوف

آخَـــذٌ بالـــذي يعِـــنُّ مـــن الأمـــرِ، ويخشـــى مَغَبَّـــةَ التســـويف

يترُك العُنفَ ما استطاعَ قديرٌ أنْ يَـروضَ النفـوس بـالتلطيف

***

لا أُحابيـــكَ ســـيدي وأراني لســـتُ في حاجـــةٍ إلى التعريـــف

أنتَ قَبلَ الجميعِ تَعْـرِفُ أني في شعوري أجري على المكشوف

سـيدي لـيس يُنكِـرُ الشـعبُ مـا قمـتَ بـهِ نحـوَهُ مـن المعـروف

والمساعي التي تَجَشَّمْتَ فيها ألـفَ هـولٍ وألـفَ أمـرٍ مُخيـف

إن مـا بـين حالَتَيْـهِ لَفَرقـاً مثلَ ما بـينَ مِشـيةٍ وَ وُقـوف

وهـو يَجْزيـك بالجميـلِ مـن الفعْـلِ جمـيلاً مـن الثنـاء المنيـف

***

قـدرت سَـعْيَك الـبلادُ فجاءتـكَ أُلوفـاً متلُـوَّة بـألوف

***

ولأمـرٍ يَـدوي الفضـاءُ من مُحيِّيك فوقَ كـلِّ رَصـيف

حيث غصَّت بفُرجة الناسِ بغدادُ، وغصَّت بيوتُهـا بالضُّـيوف

وتبارَى الوفود من كل فَجٍّ كـلُّ فـرد مُشـفَّعٌ برديـف

حـاملاتٍ إليـك تسـليمةَ الأهلـينَ مـن كـلّ قريـةٍ أو ريـف

غيرَ أنّ البلادَ مـا زال فيهـا أثَـرٌ للشَّـقاءِ غـيرُ طفيـف

زُمْرَةٌ ضِـدُّ زمـرةٍ ولفيـفٌ تَعِبُ النفسِ في انتقاصِ لفيف

وقويٌّ باسم الضعافِ مُجيلٌ ظُفْـرَهُ في محـزِّ ألـفِ ضـعيف

وأكـفٌّ شـتّى تـدبّرُ شـتّى لُعبةٍ من وراءِ شَـتّى سُـجوف

ولأنْتَ القديرُ بـالرغم ممـا عِشْتَ من جَمْعِنا على التـأليف

ليس هذا المريضُ أوَّلَ مـن عُـولِجَ مـن دائِـهِ العُضـالِ فعُـوفي

بغداد، عام ١٩٣١

الباجه جي في نظر الخصوم

كـــيفما صـــوَّرْتَها فلـــتكُنِ أنـا عـن تصـويرةِ النـاسِ غنـي

لا أُبـالي قـادِحي مِـن مـادِحي ليَ في الوجـدان مـا يُقنِعُنـي

لسـتُ بالجامـدِ: إني شـاعرٌ هِـزَّةُ الـروح تُـرى في بَـدَني

ديـدني تصـويرُ مـا في خـاطري وأنـا مُغـرًى بهـذا الديـدنِ

أنـا مـن أجـل لِسـاني مُبـتَلى -رغـمَ إحساسي- بعـيشٍ خَشِـن

إنـما يرفَـعُ مـن مقطـوعتي كونُهـا مـن خَصـمِك المضـطَغِن

مـن فتـى عَرَّضَـه موقفـهُ منـك بـالأمس لشـتّى المِحـن

كونُهـا مـن شـاعر مُطَّـرَح و فكـورٍ مُنصِـفٍ مُمـتَحَن

تاركـاً عـما قريـب أهلَـهُ مسـتجيراً بإمـام الـيَمَن!

فـإذا لم يهـوني كنـت أمـرأً عـاملاً في مـنجمٍ في عَـدَن

إنهـا أروحُ لي مـن مـوطنٍ أنـا منـه في عُضـال مُـزْمِن

أنـا أستحسِـن مـا لـيس أرى وأرى مـا لـيسَ بالمستحسَـن

***

يـا أبـا "عـدنانَ" هـذي فُرصـةٌ لفـؤادِ بـالأذّى محـتقِن

لا أُحابيـكَ: ولكنّـي فتـىً أطلُـبُ الحـقَّ ولـو في كفَنـي

يشـهدُ التـأريخُ واللهُ معـاً أنَّـك الـذُخرُ لهـذا الـوطن

عـارفٌ أدواءَه مطَّلـعٌ بالخفايـا: قـاطعٌ للفـتَن

فيــك - لــولا أمــةٌ جاهلــةٌ- شَـبَهٌ يـدنيكَ مـن "موسـولني"

بَطَــلٌ إنْ مجَــنٌ جــارتْ ومــا أعــوز الأبطــالَ عنــدَ المحــن

وصريــحٌ لَسِــنٌ في مــأزِقٍ ذي احتيــاجٍ لصــريحٍ لَسِــن

لُحْــتَ وضــاحاً عــلى حــينَ مَشَــى كلُّهــم تحــتَ قِنــاعٍ أدكــن

بخُطــىً جبّــارةٍ واســعةٍ وبعقــلٍ راجــحٍ متَّــزن

يــومَ كــلُّ النــاسِ في تمــويهِم مثــلُ ضــبٍّ جــاحرٍ في مَكمــن

***

فَــرَعَ الدســتُ الــذي كنــتَ بــه مــلءَ عــينِ المــرءِ مــلءَ الأُذن

سَــحَقَ الهــوجَ المهازيــلَ فتــىً لم يكــن في سَــحقِهم بــالمَرِن[1]

وعــلى الحمقــى ثقيــلٌ وقعُــه مَــن بغِــرٍّ أحمــقٍ لا يعتنــي

وأراهــم قــوة لم يجــدوا مثلَهــا في هيكــل أو وَثَــن

لم يــروا فيــه -كــما في غــيره- خِــدْنَهم مــن مــاجنٍ أو مُــدمن

لم يكــن بــالرخوِ في أخــذِهُمُ أخــذَ جبــارٍ ولا بــالمنثني

أتُراهــا أمِنَــت جرثومــةٌ لم تكــنْ مــن بطشــه في مــأمَن

نَقَــم الحسّــادُ إن لم يَلحقــوا شــأو مَــاشٍ خَبَبــاً في سَــنَن[2]

قــائمٍ بــالأمرِ معتــزٍّ بــه وعــلى تــدبيرِهِ مُــؤتَمَن

---

[1] الهوج: جمع أهوج وهو الأحمق الذي لا يستقيم في سلوكه.

[2] الخبب: ضرب من السير غير سريع. السنن: الطريق.

ولـــو اســـطاعَتَ مجـــالاً كفُّـــه ... قـــادَهُم كلَّهُـــمُ في عَطَـــن[1]

اشـــهدي يـــا ربـــةَ الشـــعر ويـــا ... دولـــةَ الحـــقِّ عليـــه أمّنـــي

إن عُقبـــى ظَفَـــرٍ تَلحَقُنـــي ... مـــن طريـــق الـــدسِّ لا تُعجبنـــي

ودنيٌّ مـــن يُعـــادي خصـــمَه ... مِـــن طريـــقٍ بـــالحزازات دَني

أشـــتَهي أنّي ولـــو في حُلُـــمٍ ... أمســـكُ الأمـــرَ لأدنـــى زَمَـــن

ولقـــد يُلهـــبُ مـــن عـــاطفتي ... أنَّ هـــذا زمـــنٌ لم يـــئِن

أودِعـــوني دَفَّـــةَ الحكـــم ولـــو ... ســـاعةً آتي بـــما لم يَكُـــن

أُرِكُـــم أيـــنَ يكـــونُ المُرتشـي ... أُرِكُـــم كيـــفَ مصـــيرُ الأرعـــن

أُرِكُـــم قيمـــةَ ألفـــاظٍ بهـــا ... يَلـبس الكـذّابُ ثـوبَ الـوطني

آتيـــاً في السرِّ مـــا لا يَســـتوي ... والـــذي يـــأتي بـــه في العَلَـــن

أُرِكُـــم أنْ لـــيسَ لي مـــن قيمـــةٍ ... غـــيرُ مـــا يُوجِبُـــه لي مَعـــدني

أُرِكُـــم أنَّ الـــذي تخشَـــونه ... لـيسَ مـن يُبكـى عليـه لـو فَنـي

***

يـــا أبـــا عـــدنانَ: هـــذا واجـــب الأدَبِ المحـــضِ الصـــريح المُـــتقَن

إننـــي ألغيـــتُ في تســـجيله ... كـــلَّ مـــا في خـــاطري مـــن دَرَن

ولقـــد تَعلَـــمُ مـــا يَلحَقُنـــي ... مـــن أذىً مـــن بَـــثِّ هـــذا الشَـــجَن

غـــيرَ أني واجـــدٌ في مِثلـــهِ ... لـــذَّةَ العاشـــق والمفتَـــتن

ومـــن العـــارِ عـــلى الشـــاعر أنْ ... يحتَمـــي في شـــعرِه بـــالإحَن

بغداد، عام ١٩٣١

---

[1] عطن: وطن الإبل ومبركها حول الحوض. والمراد به هنا المكان على التوسع والمجاز.

يدي هذه رهن

يـدي هـذه رهـنٌ بـما يـدَّعي فمـي ... لـئن لم يحكِّـمْ عقلَـه الشـعبُ ينـدمِ

هتفـتُ ومـا أنفـك أهتـفُ صـارخاً ... ولو حرّموا مسّي، ولو حلَّلـوا دمـي

ولـو فتّشـوا قلبـي رأوا في صـميمه ... خلاصـــةَ هـــذا العـــالم المتـــألِّم

إذا تُـرِكَ الجُمهُـورُ يَمضـي لشـأنه ... ويسـلُك مـن أهوائـه كـلَّ مَخـرِم[1]

وتنتابُـهُ الأهـواء مـن كـلِّ جانـبٍ ... وترمـي بـه شـتى المهـاوي فيرتمـي

وتُنْشَـر فيـــه كـــلَّ يـــوم دِعايـــةٌ ... ويـنـدسُّ فيهـا كـلُّ فكـر مسـمَّم

وتقضـي عليـه فُرقـة مـن مسـدَّر ... وتُنْهكُـه رجعيـةٌ مـن معمَّـم[2]

ولم تلـدِ الـدنيا لَـهُ مـن مـؤدِّبٍ ... يُهـذِّبُ مـن عاداتـه ومقـوِّم

فلا بد من عُقبى تسوء ذوي النهى ... وتَـدمي بهـا سـبّابةُ المتنـدِّم

ولا بـد أن يمشـي العـراقُ لعيشـة ... يشـرَّفُ فيهـا، أو لمـوتٍ محـتَّم

***

أقـولُ لأوطـانٍ تمشـت جريئـةً ... يَمـدُّ خطاهـا كـلُّ أصـيدَ ضـيغم

وقرَّبهـا ممـا تحـاول أنهـا ... رأت في اكتساب العـزِّ أكـبرَ مغـنم

ألا شـعلةٌ مـن هـذه الـروحِ تـنجلي ... عـلى وطـنٍ ريـانَ بالـذُّل مُفْعَـم

خـذي كـلَّ كـذّاب فَسُـلِّي لسـانه ... ومُـرّي عـلى ظُفـر الـدنيِّ فَقَلِّمـي

ومُـرِّي عـلى هـذي الهياكـل أقبلـت ... عليهـا الجماهـيرُ الرُّعـاعُ فحطِّمـي

وإن كـان لا يبقـى عـلى الحـال هـذه ... سوى واحـد مـن كـل ألـف فـأنعم

---

[1] المخرم: الطريق.

[2] المسدر: لابس السدارة.

فأحسنُ من هذه التماثيل ثُلَّةٌ ... تقوم على هذا البناء المرمَّم

فقد لعِبَت كفُّ التذبذب دورَها ... به، واستباحت منه كلَّ مُحرَّم

وقد ظهرت فيه المخازي جليةً ... يَضيق بها حتى مجالُ التكلُّم

وقد صيحَ نهباً بالبلادِ ومُزِّقت ... بظُفرٍ، وداسوها بخُفٍّ ومَنْسِم[1]

وإني وإن لم يبق قول لقائل ... ولم يتركِ الأقوامُ من متردِّم[2]

فلا بدَّ أن أبكيكَ فيما أقصُّه ... عليك من الوضع الغريب المذمَّم

ألا إن هذا الشعبَ شَعبٌ توائَبَتْ ... عليه صُروفُ الدهر من كل مَجْثم

مقيمٌ على البلوى لِزاماً إذا انبرت ... له نكبةٌ عظمى تَهون بأعظم

يجور عليه الحكمُ من متآمرٍ ... وتمشي به الأهواءُ من متزعِّم

مساكينُ أمثالُ المطايا تسخَّرتْ ... على غيرِ هدْيٍ منهمُ وتَفهُّم

فلا الحكمُ بالحكم الصحيح المتمِّمِ ... ولا الشعبُ بالشعبِ الرزين المعلِّم

تَحدَّتْهُ أصنافُ الرزايا فضيَّقت ... عليه ولا تضييقَ فقر مخيِّم

فقد أتخمت شمُّ "البنُوك" وأشرقت ... بأموال نُهاب فصيحٍ وأعجم

تُنُوهِبْنَ من أقوات طاوٍ ضُلوعَه ... على الجوع، أو من دمع ثكلى وأيِّم

يُباع لتسديد الضرائب مِلْحَفٌ ... وباقي رِتاج أو حصيرٍ مثلَّم[3]

وما دَفَعَ الدُّستورُ حيفاً وإنما ... أتونا به للنَّهْبِ ألطفَ سُلَّم

---

[1] المنسم: خف البعير.

[2] ينظر الى مطلع معلقة عنترة: هل غادر الشعراء من متردم.

[3] الرتاج: الباب.

ستارٌ بديعُ النسج حيكَ ليختفي ... به الشعبُ مقتولاً تضرَّجَ بالدم
به وَجدتْ كفُّ المظالم مَكْمَناً ... تحوم عليه أنَّةُ المتظلِّم
نلوذ به من صَوْلَة الظلم كالذي ... يفِرّ من الرَّمضاءِ بالنار يحتمي
بضوء الدساتير استنارت ممالكٌ ... تخبَّطُ في ليل من الجهْل مظلم
وها نحنُ في عصرٍ من النور نشتكي ... غوايةَ دُستور من الغِش مُبهم
هنالك في قَصْرٍ أعدَّتْ قِبابُه ... لتدخينَ بطّالين هُوجٍ ونُوَّم
تُصَبُّ على الشعب الرزايا وإنما ... يصبُّونها فيه بشكل منظَّم

***

مضت هَدَراً تلك الدماءُ ونُصِّبَتْ ... ضخامُ الكراسي فوق هامٍ محطَّم[1]
ولما استتمَّ الأمرُ، وارتدَّ معشرٌ ... خلاءَ أكفٍّ من نِهاب مقسَّم
ورُدَّت على الأعقاب زَحفاً معاشرٌ ... تُحاولُ عَوْداً من حُطامٍ مركَّم
بدا الشرّ مخلوعَ القِناع وكُشِّفَت ... نوايا صدورٍ قُنِّعَت بالتكتُّم
وبان لنا الوضعُ الذي ينعَتُونَه ... مُضيئاً بشكل العابس المتجهِّم

بغداد، عام ١٩٣١

[1] يشير إلى دماء شهداء الثورة العراقية (عام ١٩٢٠).

المحَرقـة

أُحـاولُ خرقـاً في الحيـاة فـما أجـرا ... وآسَـفُ أن أمضـي ولم أُبـقِ لي ذكـرا

ويُـؤلمني فـرطُ افتكـاري بـأنني ... سـأذهبُ لا نفعـاً جلبـتُ ولا ضُرّا

مضـتْ حِجـجٌ عَشْرٌ ونفسي كأنهـا ... من الغيظ سيلٌ سُدَّ في وجهه المجرى

خـبَرْتُ بهـا مـا لـو تخلَّـدتُ بعـده ... لَمـا ازدَدْتُ عِلـماً بالحيـاةِ ولا خُـبرا

وأبصرتُ ما أهوى عـلى مثلِهِ العمـى ... وأُسمعتُ مـا أهـوى عـلى مثلِه الـوَقْرا

وقد أبقتِ البلوى عـلى الوجـهِ طابَعـاً ... وخلَّفـتِ الشـحناءُ في كبِـدي نَغـرا[1]

تأمَّـلْ إلى عينـي تجـدْ خَـزَراً بهـا ... ووجهـي تُشـاهِدْه عـن النـاس مُـزوَرًّا

ألم تَـرَني مـن فـرطِ شـكٍّ ورِيبـةٍ ... أُري الناسَ -حتى صاحبي- نظراً شزرا

***

لبسـتُ لبـاسَ الثعلبيِّـينَ مُكرهـاً ... وغطَّيـتُ نفسـاً إنَّـما خُلقـت نَسـراً

ومسَّـحتُ مـن ذيـلِ الحَـمام تملُّقـاً ... وأنزلـتُ مـن عَليـا مكانِتِـه صـقرا

وعُدتُ مـليء الصَّـدرِ حِقـداً وقُرحـةً ... وعادت يدي من كـلِّ مـا أمَّلَـتْ صِـفْرا

أقولُ اضطراراً قد صَبرتُ عـلى الأذى ... عـلى أننـي لا أعـرِفُ الحُـرَّ مُضـطرّا

ولـيس بحُـرٍّ مَـن إذا رامَ غايـةً ... تخـوَّفَ أن ترمـي بـه مَسـلكاً وعْـرا

ومـا أنـت بـالمُعطي التمـرُّدَ حقَّـه ... إذا كنـت تخشـى أن تجـوعَ وأن تَعـرى

وهـل غـيرَ هـذا ترتجـي مـن مَـواطنٍ ... تُريـد عـلى أوضـاعها ثـورةً كـبرى

***

[1] النغر هنا الغليان والفوران.

مشى الدهرُ نحوي مستثيراً خطوبَه ... كأني بعينِ الدهر قيصرُ أو كسرى

وقد كانَ يكفي واحدٌ من صروفِه ... لقد أسرفتْ إذ أقبلتْ زُمراً تترى

مشى لي كعاداتِ المخانيثِ دارعاً ... يُنازِل قِرْناً مُتْخَناً حاسِراً صدرا

خليّاً من الأعوانِ لا ذُخرَ عندَه ... سوى الصبرِ، أوحشْ بالذي صحبَ الصَّبرا

وما كانَ ذنبي عندَه غيرَ أنني ... إذا مسَّني بالخيرِ لم أُطِلِ الشكرا

ولِم أتكفَّفْ باليسيرِ ولم أكنْ ... كمستأنسٍ بالقُلِّ مستكثِرِ نَزْرا

طُموحٌ يُريني كلَّ شيءٍ أناله ... وإنْ جلَّ قَدْراً دونَ ما أبتغي قدرا

حلَبتُ كِلا شطرَيْ زماني تمعُّناً ... فلم أحمَدِ الشطرَ الذي فَضِلَ الشطرا

شربتُ على الحالينِ بؤساً ونعمةً ... وكابدتُ في الحالينِ ما نغَّصَ السكرا

حُبيتُ بنَدمانٍ وخمرٍ فغاظني ... بأنيَ لا مُلكاً حُبيتُ ولا قصرا

ولو بهما مُتّعتُ مازلتُ ساخطاً ... على الدهر إذ لم يَحْبُني حاجةً أُخرى

فما انفكَّ حتّى استرجعَ الدهرُ حُلوَه ... وحتّى أراني أنني لم أذُق مرّا

وجوزِيتُ شرّاً عن طُموحي فها أنا ... برغميَ لا خِلاً تخِذتُ ولا خمرا

فإنْ يُشمِتِ الأقوامَ أخذي فلم أكن ... بأوَّلِ مأخوذٍ على غِرَّةٍ غدرا

وإنْ تفترِسْني الآكلاتُ فبعدَما ... وثِقْتُ بها فاستلَّتِ النابَ والظُّفرا

وإنْ تُلهِبِ الشكوى قوافيَّ حُرقةً ... وغيظاً فإني قادحٌ كِبداً حرّى

وكنتُ متى أغضبْ على الدَّهر أرتجِلْ ... مُحرَّقةَ الأبياتِ قاذفةً جَمرا

كشأنِ "زيادٍ" حين أحرِجَ صدرُهُ ... وضُويقَ حتى قال خُطبتَه البترا

أو "المتنبّـي" حـينَ قـالَ تـذمُّراً "أفيقـا خُمـارُ الهـمِّ بغَّضـني الخمـرا"
ومـا زلـتُ ذاكَ المـرءَ يوسِـعُ دهـرَه وأوضـاعَه، والنـاسَ كلَّهـمُ كفـرا

***

تحولـتُ مـن طبـعٍ لآخـرَ ضـدّه مـن الشـيمةِ الحسـناءِ للشـيمةِ النكـرا
وكنـتُ وديعـاً طيـب الـنفسِ هادئـاً فأصـبحتُ وحشـاً والِغـاً في دم نَمـرا
فلَـو دَبَّـرَ البـاغونَ للكيـدِ خطـةً رأوا أنَّنـي مـنهُمْ بتَـدبيرِها أحـرى
ولَـو ملـكَ "قـارونٍ" ملكـتُ دَفعتُـه على كـرهِ بعـض النـاسِ بعضَـهم أجـرا
وشـجَّعتُ مـا أقـوى يَراعـةَ كاتـبٍ يُـزيحُ بهـا عـن كـلِّ ذي عـورةٍ سِـترا
ومَجَّـدتُ مـن بَـثَّ الدعايـةَ ضـدَّهم ومَـن قـالَ في تَسـخيفِ آرائهـم شـعرا
ولَو حُـمَّ لي أنْ أحكـمَ النـاسَ ساعةً وأن أتـولّى فـيهُمُ النهـيَ والأمـرا
لمزَّقـتُ وجهـاً بالخديعـةِ باسِـماً ولاشـيتُ ثَغـراً بالضَـغينةِ مُفـترَّا
وقطَّعـتُ كفَّـيْ مـن يمـدُّ يمينَـهُ يُصـافحني في حـين تَطعنُنـي اليُسرى
وعاتَبـتُ سرّاً مـن يضِـلُّ لنفسِـهِ ومَـن ضـلَّلَ الجمهـورَ أخزيتُـه جَهْـرا

***

رأيـتُ مـن الإنسـان يُطغيـه عُجْبُـه مـن الخـزي مـا تأبـاهُ وحشـيَّةٌ تَضرى
إذا أُغرِيـتْ هـذي بأكـل فريسـةٍ فهـذا بـأنْ يلهـو بتعـذيبها مُغـرى
أتعـرفُ كـم مـن أصـيَدٍ مُمتـلٍ قهـرا وكم حُـرَّةٍ تشكو ومَـن حولَهـا، الفقـرا
ليـنعُمَ مَـن إنْ عـاشَ لم يُـدرَ نفعُـه وإنْ مـاتَ لم يعـرِف لـه أحـدٌ قـبرا

أتعـرفُ مـا يأتيـه في السرِّ ناصـبٌ ... عـلى العـينِ منظـاراً عـلى النـاسِ مغـترّا

يُقلِّبـــهُ بـــينَ الجمـــوعِ دلالـــةً ... عـلى انـه أذكـى مـن النـاس أو أثـرى

ومـا ميَّزَتْـهُ عـن سـواه فـوارِقٌ ... سـوى أنـه قـد أتقـنَ الـرَّقصَ والزمـرا

وهـذا الـذي إحـدى يديـهِ بجيبِـهِ ... وأُخراهمـــا تلهـــو بشـــاربه كِـــبرا

ولـو فتَّشـوا منـه السِّـبالينِ شـاهدوا ... خلالَهَـــما العاهـــاتِ محشـــورةً حشـرا[1]

وهـذا الـذي رغـمَ النعـيم وشرخِـهِ ... يُرى حـاملاً وجهـاً مـن الحقـدِ مُصـفرّا

وهذا الـذي إنْ أعجـبَ النـاسَ قولُـه ... مشـــى لـــيُريهِمْ أنـــه فـــاتحٌ مِصـرا..

وهـذا الـذي قـد فخَّمتْـه شـهادةٌ ... خلاصـــتُها أنَّ الفتـــى قـــارئٌ ســـطرا

ويكفيـكَ منـه سـاعةٌ لاختبـاره ... لـــتعلمَ منهـــا أنـــه لم يـــزل غِـــرَّا

وهَـبْ أنـه قـد أُلهِـمَ العلـمَ كلَّـه ... وحلَّـلَ حتـى الجـوهرَ الفـردَ والـذرّا

وكـانَ "شكسـبيرٌ" خويـدَم شـعره ... وكانـت لُغـى الأكـوان تخدمـهُ نثـرا

فهـل كـانَ حـتماً أننـي أنحنـي لـه ... وتصـطكُّ منـي الركبتـانِ إذا مـرّا..!

ألمْ يـدرِ هـذا "الكوكـب!" الفـذ أنـه ... كـما كـان حُـرّاً كـان كـلُّ امـرىءٍ حـرّا

ذممـتُ مُقـامي في العـراقِ وعلَّنـي ... متـى أعتـزِمْ مسـرايَ أن أحمَـدَ المسرى

لَعـلي أرى شِـبْراً مـن الغَـدرِ خاليـاً ... كفـاني اضـطهاداً أننـي طالـبٌ شِـبْرا

بغداد، عام ١٩٣١

---

[1] السبالان: الشاربان.

شبـــاب يذوي

ذوى شـــبابيَ لم يَـــنْعَم بسـرّاءِ كـما ذوى الغصـنُ ممنوعـاً عـن المـاء

سَـدَّتْ عـليَّ مجـاري العـيشِ صـافيةً كـــفُّ الليـــالي وأجرَتهـــا بأقـــذاء

فمِـــنْ عنـــاءٍ بَليَّـــاتٍ أُخِـــذْتُ بهـــا إلى عنـــــاءٍ ومـــــن داءٍ إلى داء

ستٌّ وعشرونَ مـا كانـت خُلاصـتُها - وهـي الشـبابُ طريـاً- غـيرَ غـمّاء

ومـا الحيـاةُ سـوى حسـناءَ فارِكـةٍ مخطوبـــةٍ مـــن أحبَّـــاءٍ وأعـــداء[1]

قد تمنـعُ الـنفسَ أكفـاءً ذوي شـغفٍ وربَّـــما وهبَتهـــا غـــيرَ أكفـــاء

ولا يـزالُ عـلى الحـالينِ صـاحبُها معـذَّبَ الـنفسِ فيهـا بـيِّنَ الـداء

فإنْ عجِبـتَ لشـكوى شـاعرٍ طـرِبٍ طـولَ الليـالي يُـرى في زِيِّ بكّـاء

فلستُ أجهلُ ما في العـيش مـن نِعَـمٍ أنـــا الخبـــيرُ بأشـــياءٍ وأشـــياء

ولا أُحـبُّ ظـلامَ القـبر يغمُـرني أنـــا المُشِـــعُّ بآمـــالٍ وأهـــواء

وإنَّـــما أنـــا والـــدُّنيا ومحنتُهـــا كطالـــبِ المـــاء لمّـــا غَـــصَّ بالمـــاء

أُريـــدُها لمسـرّاتٍ، فتعكِسُـــها وللهنـــــاءِ، فَتثنيـــــهِ لإيـــــذاء

وقـد تتبَّعـتُ أسـلافي فـما وقعـتْ عينـي عـلى غـير مشـغوفٍ بـدُنياء

***

فـــانْ أتتـــكَ أحاديـــثٌ مُزخرَفـــةٌ عـــن الـــذينَ رَوَوْهـــا أو عـــن اللائـــي

يُشـــوِّهونَ بهـــا إبـــداعَ غانيـــةٍ فتّانـــةٍ لم تكـــنْ يومـــاً بشـــوهاء

---

[1] المرأة الفارك: المبغضة لزوجها. والمعنى أن الحياة بالرغم من منغصاتها وعدم استقامة أحوالها مع الإنسان فهي محبوبة ومخطوبة من الجميع. ويفسر ذلك البيت التالي.

طــوراً تُصــوَّرُ حِربــاء وآونــةً كــالأفعوان، وأُخــرى كــالرُّتَيلاء[1]

فـلا تصـدّقْ فـما في العـيشِ منقصـةٌ لــولا أضــاليلُ غوغــاءٍ.. ودهمــاء

ذمَّ الحيــاةَ أُنــاسٌ لم تُــواتِهُمُ ولا دَرَوا غــيرَ دَرِّ الإبْــل والشــاء

وقلَّــدَتْهُمْ عــلى العميــاء جَمهــرةٌ تمشي عـلى غـير قصـدٍ خـبطَ عشـواء

ولــو بَــدَتْ لهــمُ الــدُّنيا بزِينتهــا لقابلوهــا بتبجيــلٍ وإطــراء

***

لم تكفِنـي نكبـاتٌ قـد أُخـذتُ بهـا حتّــى نُكبــتُ بأفكــاري وآرائــي

لي في الحيـاة أمـانٍ لـو جَهـرتُ بهـا قُوبلــتُ مــن سَفسـطيّاتٍ بضوضــاء

ولــو أتــاني ببُرهــانٍ يجــادلُني لقلــتُ: أهــلاً عــلى العينــينِ مــولائي

***

شِيدتْ قصورٌ على الأجرافِ صارخةٌ بكــلِّ مــا تشــتهيهِ أعــينُ الرائــي[2]

فـيهنَّ مـن شـهواتِ الـنفس أفظعُهـا فيهــا غرائــبُ أخبــارٍ وأنبــاء

فيهــا اللــذاذاتُ والأفــراحُ عاصــفةٌ بــنفسِ ذاكَ المُرائــي عَصــفَ نكبــاء

حتــى إذا قلــتَ قــولاً تستبينُ بــه لُطــفَ الحيــاةِ بتصـريح وإيــماء

هــاجوا عليــكَ بإقــذاعٍ ومفحشــةٍ وآذنــوكَ بحــربٍ جِــدٍّ شــعواء

حُرِّيــةُ الفكــر مــا زالــتْ مهــدَّدةً في "الرافــدين" بهــمّازٍ ومشّــاء

وبــالنواميسِ مــا كانــتْ مُفسَّــرةً إلا لصــالحِ هيئــاتٍ وأســماء

بغداد، عام ١٩٣١

---

[1] الرتيلاء: من الهوام (الحشرات) لسعها مؤلم مورم – وتلفظ في العامية العراقية: رتيلة.

[2] الأجراف: جمع جرف وهو الشاطئ.

الدم يتكلم بعد عشر

عشر سنوات مرت على ثورة العشرين والعراق مازال دون إصلاح يذكر

قبـــل أن تبكـــيَ النُّبـــوغَ المُضـــاعا سُـــبَّ مَـــن جـــرَّ هـــذهِ الأوضـــاعا

سُـــبَّ مـــن شـــاء أن تمـــوت وأمثالُـــك همّـــاً وأن تروحـــوا ضَـــياعا

سُـــبَّ مـــن شـــاء أن تعـــيشَ فلـــولٌ حيـــثُ أهـــلُ الـــبلاد تقضـي جياعـــا

داوِني إن بـــين جنبـــيَّ قلبـــاً يشـــتكي طـــولَ دهـــره أوجاعـــا

ليـــت أني مـــع الســـوائم في الأرض شَرودٌ يرعـــى القَتـــاد انتجاعـــا

لا تـــرى عينـــيَ الـــديارَ ولا تســـمعُ أُذنيَ مـــا لا تُطيـــقُ اســـتماعا

جُـــلْ معـــي جَولـــةً تُريـــك احتقـــارَ الشـــعب والجهـــلَ والشـــقاءَ جِماعـــا

تجـــدِ الكـــوخَ خاليـــاً مـــن حُطـــامِ الـــدهر والبيـــتَ خاويـــاً يتـــداعى

واســـتمع لا تجـــدْ ســـوى نَبضـــاتِ القلـــب دقَّـــت خـــوفَ الحســـاب ارتياعـــا

فلقـــد أقبلـــت جُبـــاةٌ تســـومُ الحـــيَّ عنفـــاً ومهنـــةً واتضـــاعا

إنَّ هـــذا الفـــلاَّحَ لم يبـــقَ إلاّ العِـــرضُ منـــه، يُجِلّـــه أن يباعـــا

***

بعـــد "عشـــر" مشـــت بِطـــاءً ثقـــالاً مـــثلما عاكســـت ريـــاحٌ شراعـــا

عرّفتنـــا الآلامَ لونـــاً فلونـــاً وأرتنـــا المـــماتَ ســـاعاً فســـاعا

اختبرنـــا، إنّـــا أســـأنا اختبـــاراً واقتنعنـــا، إنـــا أســـأنا اقتناعـــا[1]

ونـــدِمنا فهـــل نكفّـــرُ عـــمّا قـــد جنينـــا اجتراحـــةً وابتـــداعا

لـــو ســـألنا تلـــك الـــدماءَ لقالـــتْ وهـــي تغـــلي حماســـةً واندفاعا

مـــلأَ الله دورَكُـــمْ مـــن خيـــالي شـــبحاً مرعبـــاً يَهُـــزُّ النخاعـــا

---

[1] اقتنعنا: يقصد أقنعنا.

وغـــدوتمْ لهـــول مـــا يعـــتريكمْ تُنكـــرون الأبصـــارَ والأســـماعا
تحســبون الــورى عقــاربَ خضراً وتَــرَوْنَ الــدُّروبِ مــلأى ضِــباعا
والليــالي كلحــاءِ لا نجــمَ فيهــا وتمــرُّ الأيّــامُ سُــوداً سِراعــاً
ليــتكمْ طِــرْتُمُ شَــعاعاً جــزاءً عــن نُفــوسٍ أطرتموهــا شَــعاعا
بالأمــاني جذّابــةً قُــدتمُوها للمنيّــات فانجــذبن انصــياعا
وادَّعيــتم مســتقبلاً لــو رأتــه هكــذا لم تُضــع عليــه صُــواعاً[1]
ألهــذا هَرقْتمــوني وأضــحى ألــفُ عِــرْضٍ وألــفُ مُلــك مُشــاعا[2]
أفوحــدي كنــتُ الشَّــجاعةَ فــيكمْ أو لا تملكــونَ بعــدُ شُــجاعاً
كــلُّ هــذا ولم تصــونوا رُبوعــاً سِــلْتُ فيهــا ولم تُجيــدوا الــدفاعا
إنَّ هــذا المتــاعَ بخســاً ليــأبى الله أن تَفصِــدوا عليــه ذراعــا
قــلْ لمــن سِــلتُ قانيــاً تحــت رجليــهِ وأقطعتــه القُــرى والضِّــياعا
خَــبِّروني بــأنَّ عيشــة قــومي لا تســاوي حــذاءك اللماعــا

***

مشــت النــاس للأمــام ارتكاضــاً ومَشَــيْنا إلى الــوراء ارتجاعــا
في ســبيل الأفــراد هُوجــاً رِكاكــاً ذهــب الشــعبُ كلُّــه إقطاعــا
طعنــوا في الصــميم مــن يــركُن الشــعبُ إليــه ونصَّــبوا القُطّاعــا
شــحنوهم مــن خــائن وبــذيءٍ ومُريــبٍ شــحنَ القِطــارِ المتاعــا

---

[1] الصواع: لغة في الصاع الذي يكال به، وقيل هو إناء يشرب فيه. يريد: لما أبهت له واهتممت به.

[2] هرقتموني: أرقتموني، أسلمتموني، والدم هو الذي يتكلم.

ثـــم صـــبّوهُمُ عـــلى الـــوطن المنكـــوب سَـــوطاً يلتـــاع منـــه التياعـــا
خَمَـــدت عبقريـــةٌ طالمـــا احتيجـــتْ لتُلقـــي عـــلى الخطـــوب شُـــعاعا
وانـــــزوت في بُيوتهـــــا أُدبـــــاءٌ حَطَّمـــت خِيفـــةَ الهـــوان اليراعـــا
مـــلءُ دور العـــراق أفئـــدةٌ حَـــرّى تَشـــكّى مـــن الأذى أنواعـــا
وجهـــودٌ سُـــحِقْنَ في حـــينَ ترجَّـــتْ منهـــا الـــبلادُ انتفاعـــا
فكـــأنَّ الأحـــرار طُـــرّاً عـــلى هـــذي النكايـــات أجمعـــوا إجماعـــا

***

إثـــأري أنفســـاً حُبســـنَ عـــلى الضـــيم وكـــيلي للشـــرِّ بالصـــاع صـــاعا
واســـتعيني بشـــاعرٍ وأديـــبٍ وأزيحـــي عـــمّا تـــرين القِناعـــا
لا يُـــراد الشـــعورُ والقلـــمُ الحـــرّ إذا كـــان خائفـــاً مُرتاعـــا
هيِّجـــوا النـــار إنهـــا أهـــونُ الشـــرّين وقعـــاً ولا تَهيجـــوا الطباعـــا
إنَّ هـــذي القـــوى هُـــنَّ اجـــتماعٌ عـــن قريـــب يهـــدّد الاجتماعـــا
عصـــفت قـــوَّة الشـــعوب بأرســـى أمـــم الأرض فـــاقتُلِعنَ اقتلاعـــا[1]
أنـــهِ هـــذا الصـــراعَ يـــا دمُ بـــين الشـــعب والظلـــم قـــد أطلـــت الصـــراعا

بغداد، عام ١٩٣١

---

[1] يقصد بأمم الأرض: حكوماتها المستبدة.

سلم (وردة بين أشواك)

إسلَمي لي سَلمى وحسبي بقاكِ إنَّ فيه بقاءَ من يَهواكِ

يستجدُّ الحياةَ للمرء مرآكِ ويُحيي ذكرى الشباب غِناك

جذبتني عيناكِ حتى إذا ما أهَبَتْني تحرَّكت شفتاك

ولقد هانت الصبابُة لو انّي أتثنّي تَعِلَّةٌ من لُماك

وأرتْني يداكِ يبتدرانِ الرَّقص أضعافَ ما أرت قدَماك

تلتوي هذه كما التَبَسَ الخَيْطُ وتلتفُّ تلكَ كالشُّبّاك

تعترينـي خواطرٌ فيكِ أحياناً فأرتدُّ باديَ الارتباك

تتحرّى كفّاي تقليدَ كفَّيكِ وتحكي خُطايَ وقعَ خُطاك

فأنا في انقِباضةٍ وانبساطٍ تارةً وانفراجةٍ واصطكاك

وانتفاضٍ طوراً كما انتفضَ الطائرُ من وَقفةٍ على الأسلاك

ويَراني من ليس يدري كأنّي بِيَ مسٌّ وقد أكونُ كذاك

***

أنا أهواكِ لا أريدُ جزاءً غيرَ علمٍ بأنني أهواك

اطلُبيني بين الجموعِ على حينِ احتشادٍ ما بينهم واشتباك

تعرفيني من دونهم بسِماتي والتِفاتي، وحيرتي، وانهماكي

رُبَّ يومٍ فيه تصيَّدني الهمُّ كما صِيد طائرٌ بشِراك

وكأني أرى الحياةَ بمسودٍّ زُجاج فكلُّ شيءٍ باكي

ملءَ نفسي وغرفتي يتراءى شَبَحُ الهمِّ لي وملءَ السِّكاك

لم تكن سلوةٌ لقلبي عمّا أنا فيه إلا بأنّي أراك

قـــد شـــكوناكِ لا لـــذمٍ ولكـــن لـــيس يحلـــو الغـــرامُ إلا لشـــاكي

لي قلـــبٌ لـــو جـــاز نســـيانُه صـــدريَ يومـــاً لجـــازَ أنْ ينســـاك

يتنـــزّى طـــولَ الليـــالي ولا مِثـــلَ تَنَزِّيـــه إن جـــرت ذكـــراك

ويَـــرَى تـــارةً مـــن اليـــأس مـــن لُقيـــاكِ مستســـلماً بغَـــير حَـــراك

أنـــتِ ســـلمى، وُلِّيـــتِ مُلكـــاً فسوســـيه برفـــقٍ بحّـــق مـــن وَلاّك

وهَبيـــه عهـــدَ اقتِطـــاعٍ وكانـــت لـــك في الحكـــم أُســـوةٌ بسِـــواك

فـــارعي للقلـــبِ حرمـــةً مـــثلما تَـــرعَيْن مُلكـــاً، يُجنـــى مـــن المـــلاك

افتَحـــي لي بـــابَ الســـرور فقـــد سُـــدَّ وبـــابُ الســـرور لي شـــفتاك

واطـــرُدي هـــذه الهمـــومَ وسَـــلّي حـــزن وجهـــي بوجهـــك الضـــحّاك

في يـــديك الجميلتَـــينِ إذا شـــئتِ ارتهـــاني ومـــن يَـــديك فكـــاكي

إن رأيـــتِ الحـــديثَ يمتـــازُ بالرقـــةِ والُّلطـــفِ فيـــكِ عمَّـــن عَـــداك

والقـــوافي يَلَـــذُّها السَّـــمْعُ مـــن دونِ قـــوافٍ تشـــدو بحســـن ســـواك

فـــلأني أجِـــلُّ حبَّـــك عـــن أنْ يُتَلَقّـــى إلا بقَلـــب ذاكـــي

ولأن الشـــعورَ يُوريـــه إبـــداعُكِ وَزْيَ الزِنـــادِ بالاحتكـــاك

إن هـــذا الجـــمالَ سَـــلمى غـــذاءُ الـــروحِ لـــولاهُ آذَنَـــتْ بهـــلاك

وأرى مَـــن يلـــومُ فيـــه كمـــن يرشِـــدُ ذا بلُغـــةٍ إلى الإمســـاك

أو كســـاعٍ يَســـعى لتجفيـــف مـــاءِ النَّهـــر إشـــفاقةً عـــلى الأســـماك

***

الرَّعـــاعُ، الرَّعـــاعُ، والجَـــدَلُ الفـــارغُ إني مـــن شَرّهـــم في حِمـــاك

ضـــايقْتني حتـــى بـــإدراكيَ الحســـنَ نفـــوسٌ ضـــعيفةُ الإدراك
تقتضـي النـاس أنْ يكونـوا صـدى الأهـواءِ منهـا كـما تكـونُ الحـواكي
قـــال لي صـــاحبي يزهِّـــدُني فيـــكِ بهـــذه المُغالَطـــاتِ الرَّكـــاك
لـــكَ فيهـــا مُزاحِمـــونَ ومـــا خـــيرُ غَـــرامٍ يكـــونُ بالاشـــتراك
قُلـت: أخطـأتَ لا أبـالي وهَبْهـا وردةً في منابِـــتِ الأشـــواك
أتُـــراني أعافُهـــا، ثـــم هَبْنـــي أنَّنـــي في عـــواطفي إشـــتراكي
أنـــا هـــذا أنـــا، ومـــا كنـــتُ يومـــاً في شُـــعوري ونَزعتـــي بمَـــلاك
ثـــم إني أجَـــلُّ مـــن أن أُمـــاشي في مـــذاقي جماعـــةً وأُحـــاكي
أنـا أهـوى مـا أشـتهيه ومـن لا يرتضـيني قامَـتْ عليـه البَـواكي
أنـا مـذ كنـتُ مـا بـين نفسـي والســـخافاتِ هـــذهِ في عِـــراك

بغداد، عام ١٩٣٢

لستُ مِمَّن [illegible] وَمَحْسُوبٌ أَتَانِي لَحْنُ شِعْرِي

وَتَعَاطَاهُ مَعَاشِي وَمَآمِي لَا يُجِيدُونَ لِغَيْرِ اللَّامِ وَحْدَهْ

أَنْتَ مِنْ شَمْسِ قَوَافِي جِرْمَانُ سَوْفَ تَنْسَى أَنَّنِي الشَّمْسُ بَعْدِي

حَنَّتِ الْمُقْلَةُ وَارْحَمْتُ عَرَبًا سَهِمُ مُسْتَمْلِحًا هَمْسِي وَهَمْسِي

أَفَرَشُونِي شَعْرَهُ الْفَاحِمَ وَاعْتَلُوا بِالرَّبَاحِينِ كُلِّ بَيْتٍ وَرَمْلَهْ

وَرَوَوْا كُلَّ مَا أَرَادَ اخْتِكَارًا وَاتَّسَوْنِي بِكُلِّ مَا لَمْ أَوَدَّهْ

وَأَعَانُوا أَمْرَاتَهُمْ فِي مِلَاهُ صَرَّحُوا بِهَا وَبِيَ شَدَّهْ

ثُمَّ قَالُوا صَعْبُ الْحَيَاةِ بِلَعْلَمِهِ وَغَمَّ أَنَّ الْحَيَاةَ لَحْنِي بَعْدِي

كَيْفَ يَسْتَطِيعُ رَسْمَ شَكْلِ السَّرَابِ مَنْ يَسِلُّ فِي غُرْفَةٍ مِثْلِ لَحْدَهْ

نَاسِجُ فِي حَيَاتِهِ لَيْسَ يَدْرِي. أَنَّ بَعْضَ الْقُبُورِ نَسْوَجُ خَدَّهْ

قَدْ وَصَفْتُ الشَّتَاءَ أَرْوَعَ وَصْفٍ مِنْ سَلَامٍ وَحُمَيْرَةَ مُسْتَمَدَّهْ

وَأَزَيْتُ النَّاسَ الْحَيَاةَ حَجَمًا فَادْفَأَ أَنْفَاسًا لِعَاصِفَةٍ بَرْقَدَهْ

فَأَرُونِي رَفَاهَةً وَنَعِيمًا لَأُرِيكُمْ تَصْوِيرَ حَيَّةِ خُلْدَهْ

صَدَمَاتُ الزَّمَانِ تُبْقِي خُدُوشًا لِي أَشَمُّ مِنَ الْخَلَامِدِ فَلَدَهْ

أَضْحُو مِنْ هَذِهِ الْفَتِيَّ السَّرِيَّ حَلَامًا مِمَّ وَفَلَمْ [illegible]

أَكَلَتْ قَلْبِيَ الْهُمُومُ وَمِلْتُ ثُمَّ [illegible]

لَيْسَ لِي وَلَيْسَ غَيْرُ الْمَلَابِ لَكِنَّ تَائِهٌ فِي حَيَاتِهِ

سَلَامٌ مِنْ تَمَلَّى لِي نَعِيمٍ [illegible]

هَذِهِ الْمِيطَسَةُ الْفَهِيمَةُ لَا [illegible]

قــلَّ صــبري عــلى زمــانٍ ألــدٍّ وخُطــوبٍ ألبَسـتْني غــيرَ بُــردي
وتقاليــــدَ لا تطــــاقُ ونــــاسٍ لا يُجيــدونَ غــيرَ لُــؤمٍ وحِقْــد
أنســت مَــنْ معــي قــوافٍ حِســانٌ ســوف تبقــى أُنْسَ الشــجيَّين بعــدي
حَمَلَــت همَّهُــمْ ورُحــتُ غريبــاً عــنهمُ حــاملاً همــومي وحــدي
أفرشــوني شــوكَ القتــاد وخصُّــوا بالريــاحين كــلَّ جِــبْسٍ وَ وَغْــد
وزَوَوْا كــلَّ مــا أوَدُّ احتكــاراً وأتــوني بكــل مــا لم أودّ
وأجــالوا أفراسَــهُمْ في مــلاءٍ ضربــوا بينهــا وبينــي بِسُــدّ
ثــم قــالوا صــفِ الحيــاةَ بلطــفٍ رغــمَ أنَّ الحيــاةَ تجــري بضــدي
كيــف يســطيعُ رســمَ شــكلِ المسرّاتِ نزيــلٌ في غرفــةٍ مثــلِ لَحْــد
تائــهٍ في حياتــه لــيس يــدري: أيُّ بــابٍ إلى السُّــرورِ يُــؤدّي
قــد وصــفتُ الشَّــقاءَ أروع وصــفٍ مــن بــلاءٍ وخــبرةٍ مســتَمَدّ
وأرَيْــتُ النــاسَ الحيــاةَ جحــيماً قاذفــاً أنفســاً لطافــاً بوقــدْ
فــأرُوني رفاهــةً ونعــيماً لأُريكــم تصــوير جنــةِ خُلْــد
صــدماتُ الزمــانِ تُبْقــي خدوشــاً في أصَــمٍّ مــن الجلاميــدِ صَــلْد
أفتنجــو مــن هــذه الغِــيَرِ الســودِ خلايــا دمٍ وقطعــةُ جِلْــد
أكلــتْ قلبــيَ الهمــومُ وهــدّت كُــلَّ حَــولي واستنزفتْ كــلَّ جهــدي
فــتراني ولــيس غــيرُ اطِّــلابٍ لكفــافٍ مــن المطاليــبِ عنــدي
بــدلاً مــن تقلُّبــي في نعــيم ســابغِ الظــلِّ ذي أفــانينَ رَغْــد
هــذه العيشــةُ الرفيهــةُ لا عــرك زمــانٍ مــلآنَ بــالنجس نكــدْ

مـــا عَسَـــى تبلُـــغُ القناعـــةُ مـــن نفـــسٍ طـــروبٍ لغيرِهـــا مســـتعِد

أيـــن مـــن تســـتثيرُ طبعـــي بهـــز ةِ التصـــابي منهـــا وتقـــدَحُ زنـــدي

مَـــن تَشـــكّى الغـــرامَ والوجـــدَ إني ذو احتيـــاجٍ إلى غـــرامٍ ووجـــد

قـــد ســـئمتُ الجفـــافَ في العـــيش لا رشـــفةُ ثغـــرٍ ولا نعومـــةُ خـــدّ

وردةٌ مـــن حديقـــة الشـــعرِ أهـــديها إلى مُطمعـــي بقطفـــةِ ورد

لـــيس عنـــدي أعـــزُّ منهـــا وحســـبي أننـــي خـــيرُ مـــا تملكـــتُ أهـــدي

أشـــتهي عُلْقـــةً بحبـــلِ غـــرامٍ أوْجِـــدِيها ولـــو بكـــاذبِ وعـــد

***

لســـت أدري فـــربَّما كـــان نحسي في غرامـــي وربَّـــما كـــان سَـــعْدي

غـــيرَ أنّي أُحـــسُّ أنَّ شـــعوراً تســـتفزّينه بقُـــربٍ وبُعـــد

لا تَشِـــحّي، ولا تجـــودي، ولكـــنْ أُتركينـــي مـــا بـــين جَـــزْرٍ ومَـــدّ

ثـــم قـــولي هـــاكَ الـــذي تبتغيـــه ثـــمَّ لـــمّا أقـــولُ هاتيـــه رُدّي

لوحـــةٌ مـــا لهـــا نظـــيرٌ وقـــوفُ العاشـــقِ الصـــبِّ بـــينَ أخـــذٍ وردّ

لا لأجـــلي لكـــنْ لأجـــلِ التّلهّـــي بقـــوافيَّ حرّكـــي بعـــضَ وَجْـــدي

أوَ لا تـــــرغبين أن يَتَغَنّـــــى بمعانيـــكِ مُعْجَبـــاً كـــلُّ فـــرد

***

رُبَّ جســـمٍ يُـــبْلي بـــه عبقـــريٌّ لا يَـــرَى عـــن تَصْـــويرِهِ مـــن مَـــردّ

حاشـــدُ الـــذهن بالصـــبابةِ يـــأتي مـــن ضُروب البيـــانِ فيهـــا بحشْـــد

وتـــــراه عَفْـــــوَ القريحـــــةِ يَختـــــارُ أناشـــــيدَ تُعجِـــــزُ المتصـــــدّي

سَهُلَتْ فهو مثلُ سيلٍ تَجارى في مسيلٍ دَمْثٍ يُعيدُ ويُبدي
يَلمِسُ الشيخُ في قوافيه بُقيا أثرٍ من شبابِهِ المستَرَدِّ
ويُعيدُ الصِّبا إليه ويلقي في مريرِ الذكرى حلاوةَ شُهْد
فهو يُسدي إلى الوجودِ جميلاً وهو لولا الغرامُ ما كان يُسدي
ولقد تَضمنُ البداعةَ في الفنِّ وتخليدِهِ بضاضةُ زند
ما عرفنا "دعديّةً" تتصبّى كلَّ نَفسٍ لولا تحكُّمُ "دَعْد"
لا جفافُ الحجاز أضرمَ تلك الروحَ فيها ولا خشونةُ نجد
هي إلهامةٌ يُنزِّلُها الحبُّ على الشاعرينَ من غيرِ قَصْد

بغداد، عام ١٩٣٢

عريانة

أنـــتِ تـــدرين أننـــي ذو لُبانَـــه الهـــوى يســـتثيرُ فيَّ المَجانَـــهْ

وقـــوافيَّ مثـــلُ حُســـنك لمـــا تَتَعَـــرَّينَ حـــرّةٌ عُريانـــه

وإذا الحـــبُّ ثـــارَ فيَّ فـــلا تَمْنَـــعُ أيُّ احتشـــامةٍ ثورانـــه

فلـــماذا تُحـــاولين بـــأنْ أعلـــنَ مـــا يُنكِـــرُ الـــورى إعلانـــه

ولمـــاذا تُهيِّجـــينَ مـــن الشـــاعرِ أغفـــى إحساسُـــهُ، بركانـــه

لا تقـــولي تجهُّـــمٌ وانقبـــاضٌ بغَّضـــا منـــه وجهَـــهُ ولســـانه

فهـــما ثـــورةٌ عـــلى الـــدهرِ منّـــي كجَـــواد لا يرتضـــي مَيدانـــه

أنـــا في مجلـــسٍ يضـــمُّكِ نشـــوانُ سروراً كـــأنني في حانـــه

لـــو تُحسِّـــينَ مـــا أُحِـــسُّ إذا رجَّفـــتِ في الـــرَّقص بطنَـــك الخمصـــانه[1]

رجفـــةً لا تمـــسُّ مـــا بـــين رفغَيْـــكِ، وتُبقـــي الصَـــدر الجميـــلَ مكانـــه

والـــذراعينِ كـــلُّ ريانـــةٍ فعـــماءَ تُلْقـــي في فَعمـــةٍ ريّانـــه

والثُـــدِيَّينِ كـــلُّ رُمّانـــة فرعـــاءَ تَهـــزا بأُختِهـــا الرُّمّانـــة

عاريـــاً ظهـــرُك الرشـــيقُ تُحـــبُّ العـــينُ منـــه اتســـاقَهُ واتزانـــه

مـــا بـــه مـــن نحافـــةٍ يُستشَـــفُّ العظـــمُ منهـــا ولا بـــه مـــن سَـــمانه

خُـــصَّ بـــالمحض مـــن بُلهَنيـــةِ العَـــيشِ وأُعطـــي مـــن الصـــبا عنفوانـــه[2]

وتـــراه يجـــيء بـــين ظُهـــور الخُـــرَّدِ الغيـــدِ ســـابقاً أقرانـــه

---

[1] البطن: مما يجوز فيه التذكير والتأنيث ويؤنثها الشاعر حسب ما هو شائع (حدثت مساجلة طريفة بين الشاعر وأحد أعضاء اللجنة المشرفة على طبعة وزارة الإعلام العراقية الذي يصر على أن البطن مذكر فقط وأخذ يمازحه كلما رآه بعد هذه المساجلة.. "يا فلان"... اليوم بطني يوجعني). - الخمصانة: الضامرة.

[2] البلهنية: الرخاء وسعة العيش.

إذ تميلـــين يَمنـــةً ويَســـاراً مـــثلَما لاعبـــت صَـــباً خيزُرانـــه

عنـــدما تبسِـــمين فينـــا فتفـــترُّ الشـــفاهُ اللطـــافُ عـــن أُقحوانـــه

إذ يحـــارُ الـــراؤون في حُســـنك الفتّـــانِ بـــل في ثيابـــك الفَتّانـــه

رُبَّ جســـم تُطـــري الملاحـــةُ فيـــه ثـــم تَعـــدوه مُطريـــاً فُســـتانه

مـــا بـــه مـــن نقيصـــةٍ وكـــأنَّ الثـــوب أضـــحى مُـــتمِّماً نُقصـــانه

إنَّ كفّـــاً قاســـت عليـــك لباســـاً مثـــلَ هـــذا مهّـــارةٌ شـــيطانه

عَرَفَـــتْ كيـــف تَـــبرُزين إلى الجمهـــورِ فيـــه لتَخلِبـــي أذهانـــه

وأشـــارت إلى اللعـــوبَيْن بالألبـــاب منـــا بـــوردةٍ مُزادنـــه

ليـــت شـــعري مـــا السرُّ في إن بـــدت للعـــين جَهـــراً أعضـــاؤُكِ الحُسَّـــانه

واختفـــى عضـــوُك الـــذي مـــازَه اللهُ عـــلى كـــل مـــا لـــديك وزانـــه

الـــذي نـــال حُظـــوةَ حُـــرِم الإنســـان منهـــا وخُصَّـــت الإنســـانه

وتمنّـــى عـــلى الطبيعـــة شـــكلاً هـــو مـــن خـــير مـــا يكـــونُ فكانـــه

ومَحَـــلاً خِصـــباً فحـــلَّ بـــوادٍ أنبـــتَ اللهُ حولَـــهُ ريحانـــه

لم يُـــرد مـــن بَـــراه مُتعـــةَ نَفَـــسٍ أن يُغَطّـــى ولم يُـــرِدْ كِتمانـــه

ككتـــابٍ كشَّـــفت عـــن صـــفحتيهِ ثـــم غطِّيـــت عَنـــوةً عُنوانـــه

أو غـــديرٍ جـــمِّ المســـاربِ عـــذبٍ حَرَّمـــوه وحلَّلـــوا شُـــطآنه

هيكـــلٌ مـــن هياكـــلِ اللهِ سُـــدَّ البـــابُ منـــه وكفَّنـــوا صُـــلبانه

***

جســـمُك الغـــضُّ مَنطـــقٌ يـــدحَض الحجّـــةَ لـــو لم تُسَـــتِّري بُرهانـــه

مـــلءَ عينـــي رأيـــت منـــكِ مـــع الأخـــرى غـــرامَ البَنـــاتِ يـــا فتّانـــه
رشـــفةٌ قـــد حُرمْتُهـــا منـــك باتـــت عنـــد غـــيري رخيصـــةً مُســـتهانه
إذ تلهَّـــتْ بمَحـــزِمٍ منـــك بُغيـــا الـــنفس منِّـــي أن تســـتطيعَ احتضـــانه
وثَنَـــتْ كفَّهـــا إلى مهـــبط الأشـــواقِ منّـــي فمسَّـــحت أركانـــه
معهـــا "بعـــتِ" خفـــةً ومُجونـــاً ومعـــي "بِعـــتِ" عفّـــةً ورَزَانـــه
لـــو كإتيـــان هـــذه لـــك آتي رجُـــلاً لم تحبِّـــذي إتيانـــه
أتُريـــدين أن أقـــولَ لِمَـــنْ لم يـــدر مـــا بيـــنكنَّ مـــن إدمانـــه
فتيـــاتُ الهـــوى اســـتبحنَ مـــن اللـــذاتِ مـــا لم يُبِحنَـــه فتيانـــه
أعروســـان في مكـــان وعِرِّيســـانِ كـــلٌّ مـــنهم يـــخَلّي وشـــانه!!

بغداد، عام ١٩٣٢

[illegible] إلى الشعر حُرّاً كان يرعاه ... وقد يُلقى على الأحرار قنعاه

أحنى الزمانُ على ناءٍ "زهاء" زماً ... بحائطٍ واكتسى ما حزّ في مغناه

واستفرج العوقبُ الوضّاءُ عن أفقٍ ... عالي السنا يحسر الأبصار مرقاه

أعزز بأنّا اعتقدناه لأعوزنا ... وجهٌ طلقٌ وطبعٌ شفّ شعراه

وأنّ ذاك الحنيف الروح يوحشه ... بيتٌ تنهلّ عن الأحلام مثواه

ضيفٌ على رغمٍ شتّى طائعها ... ما كان يصفها حالٌ وبلاه

إنّ الذي هزّ كلّ الناس محضره ... لم يبقَ في الناس منه غير ذكراه

لسانُ رعايتنا عنه وفارقنا ... فراقَ مجتمعٍ أذاعه الله

****

حوى التراب لسانًا كلّه ملحٌ ... ما كلّ محترفٍ للشعر مُعطاه

للأرضيّة منشاه ومصدره ... وللشجاعة والإيناس حذّاه

حمّ الرهانة مثل القول ريّضه ... وطالما أعوز المطلق إبداه

حلا الفراغ نشا منه ولطّفه ... طول التجارب في الحيا وضّاه

لخيّر الكلم المعالي فسلّطه ... على القوافي لحلاها وحلاه

حافظ إبراهيم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نَعَـوا إلى الشِـعرِ حُـرّاً كـان يَرعـاهُ ومَـنْ يَشُـقُّ عـلى الأحـرارِ مَنعـاهُ

أخنـى الزَّمـانُ عـلى نـادٍ "زهـا" زَمنـاً بحـافِظٍ واكتسـى بـالحُزنِ مغنـاه

واستُدْرِجَ الكوكَبُ الوضّـاءُ عـن أُفـقٍ عـالي السَّـنا يَحْسُرُ الأبصـارَ مَرقـاه[1]

أعْـزِزْ بأنّـا افتَقـدناهُ فأعوزنـا وجـهٌ طليـقٌ وطَبـعٌ شَـفَّ مجـراه

وأنَّ ذاكَ الخفيـفَ الـروحِ يُوحشُـهُ بيـتٌ ثقيـلٌ عـلى الأحيـاءِ مَثـواه

ضـيفٌ عـلى رِمَـمٍ شـتّى طبائعُهـا مـا كـانَ يجمعُهـا حـالٌ وإيّـاه[2]

إنَّ الـذي هـزَّ كـلَّ النـاسِ مَحضَـرُهُ لم يبـقَ في النـاس منـه غـيرُ ذكـراه

نـأتْ رعايَتُنـا عَنـهُ وَ فارَقَنـا فِـراقَ مُحتَشَـمٍ فلْيَرْعَـهُ الله

***

حـوى الـتُرابُ لِسـاناً كُلُّـهُ مُلَـحٌ مـا كـلُّ مُحـتَرِفٍ للشِّـعرِ يُعطـاه

للأريحيَّـةِ مَنْشـاهُ ومَصْـدَرُهُ وللشَّـجاوةِ والإينـاسِ حَـدّاه

جـمُّ البَدَائـهِ، سَـهْلُ القـولِ، ريِّضُـه وطالمـا أعـوزَ المِنطيـقَ إبـداه[3]

جَـلا القِـراعُ الشـبا منـهُ ولطَّفـهُ طـولُ التَّجـارِبِ في الـدُّنيا ونقَّـاه[4]

تخـيَّرَ الكَلِـمَ العـالي فسَـلَّطهُ عـلى القـوافي فحلاّهـا وحـلاّه

---

[1] استدرج: زحزح وأنزل.

[2] الرمم: جمع رمة وهو ما يلي من العظام.

[3] البدائه هنا ما بيده من القول عفواً ومطاوعة وبديهة، وكان الفقيد معروفاً بذلك.

[4] شبا السيف: حده، واستعير هنا للسان الشاعر ومقوله.

ومَـــدَّها ببَنـــاتِ الفِكـــرِ مُرسَـــلَةً ... تَرَسُّـــلَ السَّـــيلِ أدنـــاهُ كأقصـــاه[1]

مِـــن كـــلِّ مَعنـــىً لطيـــفٍ زاد رونَقَـــهُ ... إبـــداعُ "حـــافِظَ" فيـــهِ فهـــو تيّـــاه

فلـــو يُطيـــق القـــريضُ النُّطـــقَ قابلَـــهُ ... بالشُكرِ عن حُسـن مـا أسـدى فـأطراه

***

عـــرائسٌ مـــن بنـــاتِ الفكـــر حاملـــةٌ ... مِـــن حـــافظٍ أثَـــراً حُلـــواً كسِـــياه

ومـــا الشُـــعُورُ خيـــالَ المـــرءِ يَنْظِمُـــه ... لكنَّـــهُ قِطعـــاتٌ مِـــن ســـجاياه

أخـــو الحـــماسِ رقيقـــاً في مقاطعِـــهِ ... تكـــادُ تُلْمـــسُ نِـــيرانٌ وأمـــواه

وذو القـــوافي لِطافـــاً في تَسَلسُـــلها ... مـــا شـــانَها عَنـــتٌ يومـــاً وإكـــراه[2]

وابـــنُ السِـــنينَ نَقيّـــاتٍ صـــحائفُها ... أولاه فائضـــةٌ حُســـناً وأُخـــراه

فـإنْ يكُـنْ خُضِـدت بـالموتِ شَـوكتُهُ ... أو نـــال وقْـــعُ الـــبِلى منـــهُ فعـــرّاه[3]

فـــما تـــزالُ مَـــدَى الأيـــامِ تؤنسُـــنا ... نظـــائرٌ مِـــن قوافيـــهِ وأشـــباه

شِـــعرٌ تُحِـــسُّ كـــأنَّ الـــنفسَ تَعشَـــقُهُ ... أو أنَّهـــا اجْتُـــذِبتْ بالسِّـــحر جـــرّاه

زانَـــتْ مواقِفَـــهُ جُنديَّـــةٌ كُســـيَت ... مـــن الرزانـــةِ مـــا لمْ تُكْـــسَ لـــولاه[4]

مشـــى بمصـــرَ فلـــم يَعثُـــر بهـــا ورمـــى ... مُحتـــلَّ مِصـــرَ فلـــم يُخطِئْـــهُ مَرمـــاه

---

[1] الترسل: التمهل والترفق وهو من مميزات البيان.

[2] العنت: الشدة والإرهاق.

[3] خضدت: كسرت.

[4] جندية: إشارة إلى ماضي حافظ إبراهيم في الخدمة العسكرية.

رِيـعَ القـريضُ بفـذٍّ كـانَ يملـؤهُ ... مـن الجميلـينِ مَبنـاهُ وَ مَعنـاه

يُعطـي لكـلِّ مَقـامٍ حقَّـهُ، وَيَـرَى ... حقّـاً لسـامعِهِ لا بُـدَّ يَرعـاه

قـد يُوسِـعُ الأمـرَ تفصـيلاً يُحتِّمـهُ ... حـالٌ، وقـد يَكتفـي عنـهُ بفَحـواه

وقـد يجـيءُ بـما لم يَجـرِ في خَلَـدٍ ... وقـد يقـولُ الـذي لم تهـوَ إلاّه

فـمٌ مـن الـذهب الإبريـزِ مَنطِقُـهُ ... جـاءتْ تُعـزّي بـه الأشـعارَ أفـواه

اليـومَ يبكيـهِ دامـي القلـبِ طارَحَـهُ ... بِـداملياتِ قوافيـهِ فواسـاه

وضـيِّق الصـدرِ بالأيـام غالطَـهُ ... عـنِ الحيـاةِ ومـا فيهـا فعـزّاه

حَسْبُ الزمانِ و حَسْبُ الناسِ مَنقصةٌ ... أن طالَ مـن حـافظٍ في الشِـعر شَـكْواه

مـا للزمـانِ ونفـسٍ ريـعَ طائرُهـا ... ألمْ تكـنْ في غِنـىً عنهـا رزايـاه

***

ضَـحيَّةَ المـوتِ هـل تهـوى مَعـاودَةً ... لِعَـالَمٍ كنـتَ قَـبلاً مِـن ضَـحاياه

يـا ابـنَ الكِنانـةِ والأيـامُ جـائرةٌ ... والـدهرُ مُغرَمـةٌ بالحُـرِّ بَلـواه

لُقِّيـتَ مِـن نَكَـدِ الـدُّنيا ومحنتهـا ... مـا كنـتَ لـولا إبـاءٌ فيـكَ تُكفـاه

مـا لـذَّةُ العـيشِ جَهـلُ العَـيشِ مبدأه ... والهـمُّ واسِـطةٌ، والمـوتُ عُقبـاه

يـا ابـنَ الكِنانـةِ مـاذا أنـتَ مُشـتَمِلٌ ... عليـه ممّـا سَـطَا مَـوتٌ فَغَطّـاه[1]

سِـتّونَ عامـاً أرتْـكَ النـاسَ كُـنههَمْ ... والـدهرَ جـوهرَةٌ والعُمْـرَ مَغـزاه

---

[1] البيت يتضمن تساؤل الشاعر عما يحمل معه إلى القبر من آلام وإحساسات لم يكتب له التعبير عنها في شعره.

وبَصَّرتكَ بأطباعٍ يَضيقُ بها ... صَدرُ الحليم وتأباه مَزاياه

بَدَا على نَفَثاتٍ منكَ خالدةٍ ... عيشُ الأباة ونُعماهُ وغُمّاه

وخَبّرتنا القوافي عن أخي جَلَدٍ ... صُلب الإرادةِ يُعْيي الدهرَ مأتاه

خاضَ الزمانَ وأبلاهُ مُمارسةً ... لم يَخْفَ عنه خبيٌّ مِن ثنایاه

وعَنْ مُصارَعَةِ الدُّنيا على نَشَبٍ ... الحالُ تُوجبهُ والنفسُ تأباه

وعن مواقفَ تُدمي القلبَ غُصَّتُها ... لا المالُ يَدفعُ ذِكراها ولا الجاه

وعن أذايا يَهدُّ النفسَ مَحمِلُها ... ويَستَثيرُك جانيها ومرآه

***

إنّا فَقَدناهُ فقْدَ العَينِ مُقلتَها ... أو فَقْدَ ساعٍ إلى الهيجاءِ يُمناه

ما انفَكَّ ذِكرُ الرَّدى يجري على فمه ... وما أمرَّ الرَّدى، بل ما أُحيلاه

ومَنْ تُبَرِّحْ تكاليفُ الحياةِ به ... ويَلْمِسِ الرُّوْحَ في مَوتٍ تمنّاه

إني تعشَّقتُ مِن قَبلِ المُصابِ به ... بيتاً له جاء قبلَ الموتِ يَنعاه:

"لبسته ودُموعُ العينِ فائضةٌ ... والنَّفسُ جيّاشةٌ والقَلبُ أوّاه"

بغداد، عام ١٩٣٢

[illegible] لأمـر [illegible] وفي [illegible] أشـد [illegible]

[illegible] وشعـ [illegible] الدان

[illegible] في [illegible] النـ [illegible] المعـاني

لأمـر [illegible] من [illegible] [illegible]

تأمّـل في [illegible] وفي [illegible] [illegible] الأ [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible]

وذاك لأنّ كـلّ بنـي شـعوب [illegible]

وأتهـمُ الملاجـئَ في الرزايـا [illegible]

وآلـك والـذي أرفـد [illegible]

[illegible] الرحيـبة [illegible]

[illegible] الخنـساء [illegible] ولا [illegible]

* * *

[illegible] [illegible] وأكـ [illegible]

[illegible] المـفاخر [illegible]

[illegible] شـماما

فيصل السعود

[illegible]

[illegible]

نظمت هذه القصيدة في ظروف شرحها الشاعر بصورة مفصلة في كتابه "ذكرياتي" ج١، الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ٢٠٢١.

عـــلى سَـــعةٍ وفي طُنـــفِ الأمـــانِ ... وفي حَبَّـــات أفئـــدةٍ حـــواني[1]

بقـــرب أخـــيهما كرمـــاً ولطفـــاً ... وثـــــائرة يُسَـــرُّ الرافـــــدانِ[2]

فتـــى عبـــد العزيـــز وفيـــكَ مـــا في ... أبيـــك الشـــهْمِ مـــن غُـــررِ المعـــاني

لأمـــرٍ مـــا تُحـــس مـــن انعطـــافٍ ... عليـــك ومـــا تـــرى مـــن مهرجـــان

تأمَّـــلْ في السُّـــهول وفي الـــروابي ... ومختلِـــف الأبـــاطحِ والمغـــاني

ألســـتَ تـــرى ارتياحـــاً وانطلاقـــاً ... يلـــوح عـــلى خمائلهـــا الحســـان

وفي شـــتى الوجُـــوه تـــرى انبســـاطاً ... ولـــو في وجـــه مكتئـــبٍ وعـــاني

وذاك لأن كـــلَّ بنـــي سُـــعودٍ ... لهـــم فضـــلٌ عـــلى قـــاصٍ وداني

وأنَّهُـــمُ الملاجـــئُ في الرزايـــا ... وأنَّهُـــمُ المطـــامحُ والأمـــاني

وأنـــك والـــذي أُوفِـــدْتَ عنـــه ... أبـــاك مـــلاذةُ الحـــرِّ المُهـــان

تسوسُـــون الرعيـــة بالتســـاوي ... بفـــرط العـــدْل أو فـــرط الحنـــان

فـــلا مثـــلَ الجنـــاة يُـــرى بـــريء ... ولا بَـــدَل الـــبريء يُعـــافُ جـــاني

***

لكـــم في ذمـــة الأحـــرار دَيْـــنٌ ... وأكـــرِمْ بِالمُـــدين وبالمُـــدان

أبـــوكَ ابـــنُ السـعود أبـــو القضـــايا ... مشـــرفةً عـــلى مـــرّ الزمـــان

ولمـــحُ الكوكـــب المُلقـــي شُـــعاعاً ... عـــلى شُـــعَب الجزيـــرة والـــمَحاني

---

[1] الطنف: السقيفة تشرع فوق باب الدار، وهو أيضاً ما يحيد من قمم الجبل فيكون جناحاً يتظلل به.

[2] أخيهما: الضمير على متأخر هو "الرافدان".

ورمـــزُ العبقريـــةِ في زمـــانِ ... بـــه للعبقريـــة كـــلُّ شـــان

لهـا كُتِـبَ الخلـودُ، ومـا سـواها ... بـرغم دعايـة الـداعين، فـاني

ولم أر مثلَـــه إلا قلـــيلاً ... مهيبـــاً في الســـماع وفي العِيـــان

كـأني منـه بـين يَـدَي هِزَبـرٍ ... أخـي لِبَـدٍ عـلى بُعـدِ المكـان

أقـول الشـعر محتفظـاً وئيـداً ... كـأني خـائفٌ مـن أن يـراني

***

وقـى الله الحجـازَ ومـا يليـهِ ... بفضـل أبيـك مـن غُصَـصِ الهـوان

ومتَّـع ذلـك الشـعبَ المـوقّى ... بسـبع سـنينَ شـيقةٍ سِـمان

عـلى حـينَ اصـطلى جـيرانُ نجـد ... بجمـر لظـىً وسـمّ الأفعـوان

وقـد رقَّـت لهـا حتـى عِـداها ... لكـابوس بهـا مُلقـي الجـرِان

أرادَتْـه اضـطراراً لا اختيـاراً ... ولـيس لهـا بدَفْعتِـه يـدان

فليـت السـاهرين عـلى دَمـارٍ ... فـداءُ السـاهرين عـلى الكِيـان

ومـا سِـيانِ مشـتملون حَزْمـاً ... ومشـتملون أحزمـةَ الغـواني

تُحـاك لـه الدسـائسُ تحـت ليـل ... مـن الشـحناء داجـي الطَّيْلسـان[1]

عـلى يـد مصـطلينَ بـه غِضـابٍ ... عـلى عليائـهِ حَـرِدي اللسـان[2]

وحُسّـاد لـذي شرف مَهيـب ... رُمـوا منـه بسُـلٍّ واحتقـان

---

[1] الطيلسان: الحبة السوداء.

[2] على حردي اللسان: على غضاب اللسان.

مـــن القـــوم الـــذين إذا استُجيشـــوا ذكـــا لأُنـــوفهمْ أرَجُ الجِنـــان

***

مشـــى للنـــاس وضّـــاحا وجـــاؤوا إلـــيهم تحـــت أقنعـــة القِيـــان

فقـــل لهُـــمُ رويـــداً لا يَطيشـــوا ولا يَغـــرُرْهُمُ فـــرطُ التـــواني

فبالمرصـــادِ صِـــلٌّ أرقمـــيٌّ شـــديدُ الـــبطش، مرهـــوبُ الجنَـــان

يُـــريهِمْ غفلـــةً حتـــى إذا مـــا تمـــادَوْا في اللّجاجـــة والجِـــران

مشـــى لهـــمُ كـــأروعِ مـــا تـــراه حديـــدَ النـــاب محتشـــدَ الـــدُّخان

وقـــال لشـــيخهم إن شـــئتَ ألاّ أراك ترفعـــاً أفـــلا تـــراني؟

إذا لم تَقْـــوَ أن تبنـــي فحابِـــدْ وكـــن شَـــهْماً يقـــدِّر صـــنعَ بـــاني

***

مَشَـــيْتُمْ والملـــوكُ إلى مجـــالٍ بـــه أحـــرزتُمُ قَصَـــبَ الرِّهـــان

فجـــاء مقـــامُهُمْ عـــنكم وضـــيعاً مقـــام الـــزُّجِّ زلَّ عـــن السِّـــنان[1]

فـــلا تحسَـــبْ بـــأن دعـــاةَ سُـــوءٍ تحـــرَّكُ مـــن فـــلانٍ أو فـــلان

ولا شـــتى زخـــاريفِ ركـــاكٍ و لاشـــتى أســـاليبِ هِجـــان

تُحَـــوِّلُ عَـــنكُمُ مجـــرى قُلـــوبٍ مُوجَّهـــةٍ إلـــيكم بـــاتزان

يسُـــرُّ النـــاسَ أنَّ فتـــىً كـــريماً يُسَـــرُّ، كـــما تُعـــاني مـــا يعـــاني

***

[1] الزج: الحديدة في طرف الرمح.

ترفّــع يــا سرُورُ عــن القــوافي فإنــكَ لَلغنــيُّ عــنِ البيــان
وَهَبنــي كنــتُ ذا حَصَــرٍ عييّــاً وهبنــي كنــتُ مُنحــبِسَ اللســان
فــما قــدْرُ العواطــف والنوايــا إذا احتاجــت لنَقْلــةِ تُرجُمــان

بغداد، عام ١٩٣٢

[illegible]

الأنانية

[illegible]

أرى الـدهرَ مغلوبـاً ضـعيفاً وغالبـا ... فـلا تَعْتِـبَنْ، لا يسـمعُ الـدهرُ عاتبـا

ولا تكـذبَنْ، مـا في البريـة راحـمٌ ... ولا أنـتَ فـاترُكْ رحمـةً عنـك جانبـا

تمكّـنَ ذو طَـوْلٍ فأصـبح حـاكماً ... وجُنِّـبَ مـدحورٌ فأصـبح راهبـا

وفاتـت أناسـاً قـدرةٌ فتمَسـكَنوا ... ولم يُخلَقُـوا أسـداً فعاشـوا ثعالبـا

إلى روح "مَكْيافيـلَ" نفـحُ تحيـة ... وصـوبُ غـمامٍ يـترك القـبرَ عاشـبا[1]

أبـان لنـا وجـهَ الحقيقـةِ بعـد مـا ... أقـام الـورى سـتراً عليهـا وحاجبـا

ولـو رُمـتُ للعَـوْرات كشـفاً أريـتُكُمْ ... مـن النـاس حتـى الأنبيـاءِ عجائبـا

أريـتُكمُ أنّ المنـافعَ صُـوِّرَتْ ... محامـدَ والحرمـانَ منهـا معايبـا

أريـتكم أنَّ ابـنَ آدمَ ثعلـبٌ ... يُماشـيك منهوبـاً، ويغـزوك ناهبـا

لحفـظ "الأنانيـاتِ" سُـنَّتْ منـاهجٌ ... عـلى الخلـق صُـبَّتْ محنـةً ومصـائبا

يجـرُّ سـياسيٌّ عليهـا خصـومَه ... ويُـدرِكُ دينـيٌّ بهـنَّ المطالبـا

فـإن تـرني مستصـرخاً مـن مُلِمَّـة ... عن الناس إذ لم أخـدعِ النـاسِ صـاخبا

فلـيس لأني ذو شـعور وإنّـما ... أردتُ عـلى الأيـام عَونـاً وصـاحبا

***

هي النفس نفسي يسقط الكـلُّ عنـدها ... إذا سَـلِمتْ فليـذهبِ الكـونُ عاطبـا

---

[1] هو صاحب (كتاب الأمير) في السياسة والقائل بوجوب استعمال الشدة والعنف في الحكم ونبذ الرحمة.

بـــلى ربـــما أهـــوى ســـواها لأنـــه ... يَجُـــرُّ إليهـــا شـــهوةً ومآربـــا

ولو مُكِّنَتْ نفسي لأرسلتُ عاصفاً ... على الناس يَذروهم وفجَّرتُ حاصبا

فلـو كنـت دينّيـاً تخـذت "محمـداً" ... و"عيسى" و"موسى" حجـة ومراكبـا

تناهبـتُ أمـوالَ اليتـامى أحوزُهـا ... وأجمعُهـا باسـم الديانـة غاصـبا

ومهّـدتُ لي عيشـاً أنيقـاً بظلِّهـا ... ومتّعـتُ نفسـي منـه ثـم الأقاربـا

ولـو كنـتُ مـن أهـل السياسـة لم أدَعْ ... سـناماً لمـن أرتـابُ فـيهم وغاربـا

تَخذتُ الورى بـالظن أُحصي خطـاهُمُ ... ورُحْـتُ لـدقاتِ القلـوب محاسـبا

ولم أرَ في الإثـم الفظيـع اقترفتُـه ... سـوى أنني أدّيـتُ للحكـم واجبـا

فـإن لم أطِـقْ تهـديم بيـتٍ مصـارحاً ... أتيـتُ فهـدَّمتُ البيـوتَ مُواربـاً

لجـأتُ إلى الدّسْـتُور في كـل شـدَّةٍ ... أرى فيـه لي "نابـاً حديـداً، ومخلبـا"

وجرَّدتُـهُ سـيفاً أمـضَّ وقيعـةً ... مـن السـيف هنـدياً وأمضى مضـاربا

أكُـمُّ بـه الأفـواهَ حقـاً وبـاطلاً ... وأخْنُـقُ أنفاسـاً بـه ومواهبـا

أهـدِّمُ فيـه مجلسـاً لا أريـدُهُ ... وإن ضـمَّ أحـراراً غَيـارى أطايبـا

وأبنـي عليـه مجلسـاً ليَ ثانيـاً ... يُشـيعُ لمـن فيـه "الرُّشـى" والرواتبـا

أحشِّـدُ فيـه أصـدقائي وأسرتي ... كـما ضـمَّ بيـتٌ أُسرةً وصـواحبا

فـإن لم تكـن هـذي لجـأتُ لغيرهـا ... أخـفَّ أذىً منهـا وألـين جانبـا

أُرشِّحُ من لم يعرفِ الشعبُ باسمه ... أباعِدَ عنه لُفِّقوا وأجانبا

أُسخّرُهم طوراً لنفسي وتارةً ... أصُبّ على الأوطان منهم مصائبا

وأغريت بالتلطيف أسْحَرُ شاعراً ... وأغدقت بالأموال أخْدَعُ كاتبا

فهذا يسمّي الجورَ حزماً وحكمةً ... وذلك يعتدُّ المخازي مناقبا

***

ولو كنتُ فناناً ولو كنتُ عاملاً ... ولو كنتُ أمياً ولو كنتُ كاسبا

ولو كنتُ مهما كنتُ فرداً فإنني ... لأجهَدُ في تحطيم غيريَ دائبا

ولا أعرف التاريخَ يهتاج ساخطاً ... عليّ ولا الوجدانَ يرتدُّ غاضبا

فما كانت الأعذارُ إلا لخاملٍ ... وما كنت إلا طامحَ النفسِ واثبا

دعوني دعوني لا تهيجوا لواعجي ... ولا تبعثوا مني شجوناً لواهبا

بغداد، عام ١٩٣٢

طوى الموت رب الفوز في الغرر ... وأصبح "شوقي" رهين الحفر

وألقى فلا الدماغ العظيم ... لثقل التراب وضغط الحجر

وحسنا نعزي به الحاضرين ... كأن لم يكن أمس فيمن حضر

ولم تفتح الشرر الخالدات ... من اللحظات سأم الشرور

من الأم يلتذ منها الصبي ... ويضرب إيقاعهن الشعر

برغم الشعور يشل الشلل ... لسانك أو يعز بك الكفر

وأن يفضح الموت ذاك النشيد ... وأن يأكل الدود ذاك الوتر

وأنا أعود بعض الأكف ... عنك وأنت العظيم الخطر

فما لك من ضرة تستر ... مهما هل تثرى في الغير!

***

زمان وفي سعاده ... ظلما وفاق لنا في صغر

كما أفرغ "الحرص" للناشدين ... لتأتي إلى الغاص معه الذر

ولكن يريد القلب أن يدوم ... ولو داء [illegible]

ويأبى النازح طول البقاء ... أحمد شوقي أنعم

وقد يملك الناس فرد يعيش ... [illegible]

[illegible]

طوى الموتُ ربَّ القوافي الغُرَرْ وأصبحَ "شوقي" رهينَ الحُفَرْ

وأُلقِيَ ذاكَ الدماغُ العظيمُ لِثقلِ التّرابِ وضغطِ الحَجر

وجئنا نُعزّي به الحاضرين كأنْ لم يكنْ أمس فيمن حضر

ولم يُنتجِ السُّوَرَ الخالداتِ من المُلْحَقاتِ بأمِّ السُّور

من الأَءِ يهتزُّ منها الندِيُّ ويُطربُ إيقاعُهُنَّ السَّمر

برغم الشُّعورِ يشُلُّ البِلى لسانَكَ أو يعتريكَ الكَدَر

وأنْ يقطعَ الموتُ ذاك النشيدَ وأن يأكلَ الدودُ ذاكَ الوَتَر

وأنّا نعودُ بنفضِ الأكفِّ عنكَ وأنت العظيمُ الخَطَر[1]

فيا لكِ من عِبرةٍ يُستفزُّ منها على كثرةٍ في العِبَر..!

***

زمانٌ وفيٌّ بميعادِهِ فظُلماً يقالُ ليالٍ غُدُر

كما يُقْرَعُ "الجَرْسُ" للناشئينَ تأتي إلى الناس منه النُّذُر

ولكن يُريدُ الفتى أنْ يدوم ولو دامَ سادَ عليه الضجر

ويأبى التنازعُ طولَ البقاء وتأباهُ بُقيا نفوسٍ أُخَر

وقد يُهلكُ الناسَ فردٌ يعيشُ حيناً فكيف إذا ما استمر!

---

[1] العظيم الخطر: الكبير المنزلة والمكانة.

فللّـــهِ مـــن شـــارعٍ لم يَعُقْـــهُ حكـــمُ الضـرورةِ أو مـــا نـــدَر[1]

ســـواءٌ صـــليبُ الصـــفا والزجـــاجِ كَسْـراً بكـــفٍّ القضـــا والقـــدَر[2]

وبالـدهرِ في النـاسِ مثـلُ الجنُـون فلـــيس يُبـــالي بمـــنْ ذا عثـــر

وحـــتمٌ عـــلى الخَفَـــرِ الآنســـات والـــوحش حشـرجةُ المحتَضَـر[3]

تجـيءُ إلى الصـدرِ تحـتَ الحريـر كجيئتهـا الصـدرَ تحـتَ الـوَبَر

وكـــلُّ الفـــوارقِ بـــينَ اللغـــاتِ وبـــينَ الطبـــاعِ وبـــينَ الأُسَر

ســـيُوقِفها للـــردى زائـــرٌ ثقيـلُ الـورودِ بغـيضُ الصَّـدَر

فيـا صُـفرةَ المـوتِ إنَّ الوجـوهَ تسـاوى بهـا صَـلَفٌ أو خَفَـر

***

تَحـــيَّرْتُ في عيشـــةِ الشـــاعرين أتَحْلـــو خُلاصـــتُها أم تَمَـــر

فقـد جـارَ "شـوقي" عـلى نفسِـهِ وقـد يقتـلُ المـرءَ جَـورُ الفِكَـر

عـــلى أنَّـــه لم يعِـــشْ خالـــداً خلـودَ الجديـدَينِ لـو لم يَجُـر..[4]

تتبعـــتُ آثـــارَ "شـــوقي" وقـــد وقفـتمْ عـلى مـن يقـصُّ الأثـر

---

[1] الشارع: الذي يشرع القوانين ويسنها.

[2] الصفا: الحجر الصلد.

[3] الخفر: الأنسات الرقيقات الكثيرات الحياء. والحشرجة: غرغرة الموت.

[4] الجديدان: الليل والنهار.

لقـد فـاتَ بالسـبقِ كـلَّ الجيـادِ في الشـعر هـذا الجـوادُ الأغـرّ

ترسَّـل لم يَرْتَبِـكْ خَطْـوُهُ عنـاءً ولا نـال منـه البَهَـر[1]

"شَكسِـبيرُ" أُمتِـهِ لم يُصِـبْهُ بـالعِيِّ داءٌ ولا بالحَصَـر[2]

كـأنَّ عيـونَ القـوافي الحسـانِ مـن قبـلُ كانـت لـه تُـدَّخر

وإن أصـدُقَنَّ "فشـوقي" لـهُ عيـونٌ مـن الشـعرِ فيهـا حَـوَر

***

تعرَّضـه مـن طـلاءِ البيـانِ ومن زِبْـرِج اللفـظ دربٌ خطِـر[3]

ولـو خـافَ مثـلَ سِـواه العُبُـور لخـابَ وزلَّ.. ولكـنْ عَـبَر

تمشّـى لمصـطلحاتِ البـديع مُندسَّـةً في البيـان النَّخِـر[4]

فأفرغهـا مـن قوافيـهِ في قوالـبَ مرصوصـةٍ كـالزُّبُر[5]

ولاءَمَ بـينَ أفانينِهـا وبـينَ أفـانينِ مـا يَبتكـر[6]

فجـاءَتْ كـأنْ لم تَنَلْهـا يـدٌ خـلافَ يـدِ المـاهرِ المقتـدِر

يُـذلِّلُ مـن شـاراتِ القـريضِ مـا لـو سِـواهُ ابتغـاهُ لَفَـر

ويسـتنزلُ الشِـعرَ عـذبَ الـرُّواءِ كصـوبِ الغمامـةِ إذْ ينحـدِر

يُمَيِّـزهُ عـن سِـواه الـذَّكاءُ وطـولُ الأنـاةِ، وبعـدُ النَّظـر

---

[1] الترسل: اجراء الطبيعة على رسلها. والبهر: التعب والمشقة جراء التصنع والتكلف.

[2] الحصر: الانحباس.

[3] اشارة الى أسلوب القرن البائد في مصر وسائر البلاد العربية الذي تعلوه الزخرفة وتثقله التكلفات البديعية.

[4] النخر: المندرس المتخلخل.

[5] الزبر: الضخم من قطع الحديد.

[6] الأفانين: الأصناف والأنواع.

وتبـــدو الرجولـــةُ في شِـــعره منزَّهـــةً مـــن صـــعىً أو صَـــعر[1]

وفي كِـــبَرِ الـــنَّفْسِ مندوحـــةٌ عن الكبرِ، شأنُ الضـعاف الكـبر

ولم يتخبَّـــثْ بهُجْـــر الكـــلام ولم يتصـــيَّدْ بـــماءٍ عكـــر

وديـوانُ "شـوقي" بـما فيـه مـن صـنوفِ البداعـةِ روضٌ نضـر

فبيـــتٌ يكـــاد مـــن الارتيـــاح واللطـــف مـــن رقّـــة يُعتصـر

وبيـــتٌ يكـــادُ مـــن الانـــدفاعِ يقـــدحُ مـــن جانبيـــهِ الشَّـرَر

وبيـــتٌ كـــأنَّ "رُوفائيـــلَ" قـــد كَســـاهُ بكفَّيـهِ إحـدى الصُـوَر[2]

تُحِـــسُّ الطبيعـــةَ في طيِّـــهِ تكشَّـفُ عـن حُسـنها المسـتتر

كأنَّـــك تســـمعُ وقـــعَ النَّـــدى بتصـــويرهِ أو حفيـــفَ الشَّـــجر

وبيـــتٌ تـــرى "مصـرَ" أسـيانةً تُنـاغي بـه مجـدَها المنـدثر[3]

ففـــي مصـــرعٍ يومُهـــا المبـــتلى وفي مصـــرعٍ أمسُـــها المزدهـــر

و"فرعـــونُ" إذ ينطـــوي مُلْكُـــهُ و"فرعـونُ" في القـبرِ إذ يَنْتَشِـر[4]

وديـــوانُ "شـــوقي" يُجِـــدُّ الشـــبابَ لتـــأريخِ أمتِّـــهِ المُحتَضَـر

ولـــولا المغـــالاةُ قلـــتُ: انطـوى بمنعـــاهُ عُنوانهـــا المُفتَخَـــر

---

[1] الصعى: الاستدقاق والتصاغر. والصعر ضده: الكبر والعجب.

[2] المصور الإيطالي العظيم المشهور بصوره الخالدة.

[3] أسيانة: حزينة.

[4] إشارة إلى اكتشاف "مرقد توت عنخ أمون" الذي كان لاكتشافه ضجة ودوي في أقطار العالم ولشوقي فيه قصيدة خالدة مطلعها:

قفي ياأخت يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا

***

فيـا نجـلَ مصـرَ وفـتْ بـرَّةً ... بـذكراكَ "مصرُ" وأنـتَ الأبـرّ

مئـاتُ الصـحائفُ مسـودةً ... مجلَّلـةً بمئـاتِ الصُّـور

ظهـرتَ بهـا وجنـاحُ البيـانِ ... مهـيضٌ، وأسـلوبُهُ مُحتقـرْ

بقايـا مـن الكِلَـمِ الباقيـاتِ ... تناقلَهـا نفـرٌ عـن نفـر

ولفـظٌ هجـينٌ ثـوتْ تحتـهُ ... معـانٍ لِقلَّتِهـا تُحتكـر[1]

وحسـبُكَ مـن حالـةٍ رثَّـةٍ ... بفـرطِ الجمـودِ لهـا يُعتـذر..!

فكنـتَ وعِلَّتهـا كالطبيـبِ ... يُـنعشُ جسـماً عـراهُ الخَـور[2]

تُعلِّمُهـا أنَّ للعبقـريِّ ... حُكـماً مُطاعـاً إذا مـا أمـر

وأنَّ القـوافي عِبِـدّى لـه ... يُفـرِّقُ أشـتاتها أو يَـذَر[3]

يصـوغُ المعـاني كـما يشـتهي ... ويلعـبُ بـاللفظِ لعـب الأكـر

"عكـاظُ" مـن الشـعر تحتلّـهُ ... ويرعـاهُ "حـافظُ" حتـى ازدهـر

تلـوذُ الوفـودُ بسـاحَيكما ... وتأتيـه مـن كـلِّ فـجٍّ زُمـر

تُبجِّـلُ فيـه مزايـا الشُّـعور ... عـلى حـينَ في غـيرهِ تُحتقـر

---

[1] الهجين: الساقط المرذول.

[2] الخور: الضعف والانحطاط.

[3] إشارة إلى حفلة تكريم شوقي التي أقيمت له في مصر ووصلتها الوفود من كافة البلدان وبايعه فيها حافظ بإمارة الشعر بقوله من قصيدة كبيرة:

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً ... وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وتُنسى الضغائنُ في ساحةٍ بها كلُّ مكرُمةٍ تُذكَر

وأنتَ كصمصامةٍ مُنتضىً و "حافظُ" كالأبلقِ المشتَهَر[1]

تمشَّى بإثركَ في شعرهِ وماتَ.. وأعقبتَهُ بالأثر

بقدرِ اختلافكما في النُبوغِ كان اختلافكما في العُمُر

فلا تبعُدا إنَّ شأنَ الزمانِ أنْ يُعقِبَ الصفوُ منهُ الكَدَر

عزاءُ الكِنانةِ أنَّ القريضَ تأمَّرَ دهراً بها ثمَّ فَر

بنجمينِ كانت تباهي السما وما في السما من نجومٍ كُثُر

بشوقي وحافظَ كانت متى تُنازل بمعركةٍ تنتصر

فها هي قد عَربت منهما وها هي من وحشةٍ تَقْشَعِر

فلا تحسبنْ أنَّ طولَ البكا يذودُ الأسى أو نِثارَ الزَّهَر

***

خسرناكَ كنزاً إلى مثلِهِ إذا أخْوَجَتْ أزمةٌ يُفْتَقَر

وما كنتَ من زمنٍ واحدٍ ولكنْ نِتاجَ قُرونٍ عُقُر

مضى بالعروبةِ دهرٌ ولمْ يَلُحْ ألمعِيٌّ ومرَّتْ عُصُر

وإنَّ النُبوغَ على ما يُحيطُ بعيشِ النوابغِ أمرٌ عَسِر

---

[1] الصمصامة: السيف وسمي به سيف عمرو بن معد يكرب أحد شجعان العرب. والأبلق الفرد: اسم لحصن السموأل بن عاديا الذي يضرب المثل بوفائه.

يُثيـــرُ اهتمامـــا أديـــبٌ يجـــد كـــما قيـــلَ نجـــمٌ جديـــدٌ ظهـــر

قـرونٌ مضـتْ لـم يَسُـدَّ العـراقُ مـــن "المتنبـــي" مكانـــاً شَـــعَر

ولم تتبـــــدلْ ســـــماءُ الـــــبلادِ ولا حـــالَ منهـــا الثَّـــرى والنَّهـــر

ولـــم يتغيَّـــرْ عَـــروضُ الخليـــل ولا العُـــرب قـــد بُـــدِّلوا بـــالتَّتَر

ولكنَّمـــــا تُنـــــتِج النـــــابهينَ مـــــن الشـــــاعرين دواعٍ أُخَـــــر

فـــإنْ فُقـــدَتْ لم يشـــعَّ الأريـــبُ إلا ليخبـــو كلمـــحِ البَصَـــر

بغداد، عام ١٩٣٢

القرية العراقية

نظمها الشاعر أثناء قيامه بجولة في قرى الفرات وعشائرها

رونـقٌ شـاعَ في الثّـرى وعـلى الروضـةِ لطـفٌ مـن السّـما مسـكوبُ

مـا أرقَّ الأصـيلَ سـال بشـفّافِ شُـعاعٍ منـه الفضـاءُ الرحيـب

كـلُّ شيءٍ تحـت السَّـماء بلـونٍ شـفقيٍّ مُـورَّدٍ مخضـوب

وكـأنَّ الآفـاقَ تَحْتَضِـنُ الأرضَ بآصـالها إطـارٌ ذهيـب

مَتِّـعِ العـينَ إنَّ حُسـناً تـراهُ الآنَ مـن بعـدِ سـاعةٍ منهـوب

والـذي يخلَـعُ الأصـيلُ عـلى الأرض بكـف الـدُّجى أخيـذٌ سـليبُ

منظـرٌ للحقـولِ إذ تشـرقُ الشـمسُ جميـلٌ وإذ يَحِـينُ الغـروب

ولقـد هـزَّني مسـيلُ غـديرٍ مِـنْ عـلى جانبيـهِ روضٌ عشـيب

يُظهـر الشـيءَ ضـدُّه وتجـارى بسـواها محاسـنٌ وعيـوب

وكـذاكَ المرعـى الخصـيبُ يُحلّيـه إلى النـاظرينَ مرعـىً جـديب

***

ثـمّ دبَّ المَسـاءُ تَقْدمُـه الأطيـارُ مرعوبـةً وريـحٌ جَنـوب

وغنـاءٌ يتلـو غنـاءً ورُعيـانٌ بقُطْعـانِهم تَضـيقُ الـدروب

يَحْـبِسُ العـينَ لانتشـار الـدياجي في السَّـما منظـرٌ لطيـفٌ مَهيـب

شـفقٌ رائـعٌ رويـداً رويـداً تحتَ جُنحٍ مـن الظلام يـذوب

وترى السُّحبَ طيَّةً تِلوَ أُخرى قد أُجيد التنسيقُ والترتيب

وتراها وشعلةُ الشفقِ الأحمرِ تبدو أثناءَها وتغيب

كرَمادٍ خلاَّهُ وانزاحَ عنه قبسٌ وَسْطَ غابةٍ مشبوب

***

ثمَّ سدَّ الأفقَ الدُّخانُ تَعالى من بيوتٍ للنارِ فيها شُبوب

منظرٌ يبعثُ الفراهة والأنسَ لقلبِ الفلاّح حين يؤوب

يعرفُ اللقمةَ الهنيئةَ في البيتِ مُجِدٌّ طولَ النهار دَؤوب

بُرهةً ريثما انقضى سَمَرٌ تقطُرُ لطفاً أطرافُهُ وتَطيب

واستقلَّ السريرَ أو حزمةَ القَشِّ أريبٌ، نِضْوٌ، حريبٌ، تَريب

سكَنَتْ كلُّ نأمةٍ واستقرَّتْ واستفزَّ الأسماعَ حتَّى الدَّبيب

واحتواهمْ كالموتِ نومٌ عميقٌ وتغشَّاهُمُ سكونٌ رهيب

ولقد تَخرِقُ الهدوءَ شُويهاتٌ وديكٌ يدعو وديكٌ يُجيب

أو نداءاتُ حارسٍ وهو في الأشباح لاحتْ لعينه مستريب

أو صدَى "طَلقةٍ" يبيتُ عليها أحدُ الجانبينِ وهو حريب

***

تركَ الزارعُ المزَارعَ للكلب فأضحى خلاهُنَّ يجوب

شـــامخٌ كالـــذي يُنـــاطُ بـــه الحكـــمُ لـــه جَيئـــةٌ بهـــا وذُهـــوب

كـان جُهـدُ الفـلاّح خفَّـفَ عنـه جَهـدهُ فهـو مُسـتكِنٌّ أديـب

وهو في الليلِ غيرُه الصبحَ وحشٌ هـائجٌ ضـيِّق الفـؤادِ غَضـوب

فـاحصٌ ظُفْـرَهُ ونابيـهِ، أحـلى مـا لديـهِ أظفـاره والنُيـوب

إنَّـه عـن رِعايـة الحَقـلِ مسـؤول وفي تـركِ أمـرِهِ معتـوب

وكثـيراً مـا سرَّه أنَّـه بـات جريحـاً.. ورأسُـهُ مشـجوب

لـيرى السـيّدُ الـذي نـاب عنـه أنَّ حيوانـهُ شُـجاعٌ أريـب

ولكـيلا يـرى مُسـامحةً يَعـدلُ منهـا لغـيره ويُنيـب

***

للقُريَـات عـالَمٌ مُسـتقلٌّ هـو عـن عـالَمٍ سـواه غريـب

يتسـاوى غـروبُهم وركـودُ الـنفس مـنهم وفجـرُهم والهُبـوب

كطيـور السـماءِ همّهُـمُ الأوحـدُ زرعٌ يرعَونـه وحبـوب

يلحظـون السـماءَ آنـاً فآنـاً ضحكهُمُ طوعُ أمرها والقُطوب

أتُـرى الجـوَّ هادئـاً أمْ عصـوفاً أتصـوبُ السـماء أمْ لا تصـوب

إنَّ يـومَ الفَـلاَّحِ مهـما اكتسـى حُسـناً بغـير الغيـومِ يـومٌ عصـيب

وهـو بـالغيمِ يخنـقُ القلـبَ والأفـق جميـلٌ في عينـه محبـوب

***

للقُـــرى روعـــةٌ وللقـــرويِّين إذا صَـــابَ أرضَـــهم شُـــؤبوب

تُبْصِرُ الكـلَّ ثَـمَّ حتـى الصَّـبايا فـوقَ سـيمائهم هنـاءٌ وطِيـب

يُفـرِح البيـتَ أنَّـه سـوف تُمسي بقـراتٌ فيـه وعنـزٌ حَلـوب

ويـــرى الطفـــلُ أنَّ حصَّـــته إذْ يُحصـبُ الوالـدان ثـوبٌ قشيب

أذكيـــاءٌ.. عيـــونُهم تســـبقُ الألسُـــنَ عـــمّا ترومـــه وتنـــوب

والـــذي يَســـتمدُّ مـــن عـــالم القريـــةِ وَحيـــاً وعيشـــةً للَبيـــب

مطمئنـــونَ يحلُمـــونَ بـــأنَّ الخـــيرَ والشـــرَّ كلَّـــهُ مكتـــوب

لا يطـــيرونَ مـــن سرورٍ ولا حُـــزنٍ شَـــعاعاً، لأنَّـــه محســـوب

ولقـد يغضَـبون إذ ينـزلُ الغيـثُ شـحيحاً.. والأرضُ عطشـى تلـوب

أتُـــرى كـــانَ يُعـــوِز اللهَ مـــاءٌ لـو أتـتْ دِيمـةٌ علـين سَكوب

ثـــمَّ يســـتفظعون إثـــمَ الـــذي قـــالوا فينـــوونَ عنـــدَه أنْ يتوبـــوا

فـــإذا الشـــمسُ فـــوقهم فيقولـــون: أعُقبـــى إنابـــةٍ تعـــذيب؟

أفإيمانُنـــا بعيـــدٌ عـــنِ الخـــيرِ.. و كُفراننـــا إليـــهِ قريـــب..!

هكـــذا يَرجِـــعُ التقـــيّ أمـــامَ العقـــلِ وهـــو المشـــكّكُ المغلـــوب

***

قلتُ إذ رِيعَ خاطري من مُحيطِ كلُّ ما فيه موحشٌ وكئيب

ليس عدلاً تشاؤمُ المرءِ في الدُّنيا وفيها هذا المحيط الطَّروب

مِلْءُ عينيكَ خضرة تُستسرُّ النفسُ منها وتُستطار القلوب

عندَهم مثلَ غيرِهم رغباتٌ وعليهمْ كما عليه خطوب

غيرَ أنَّ الحياةَ حيثُ تكونُ المدنيَّاتُ جُلُّها تعذيب

كلَّما استُحدثتْ ضروبُ أمانٍ أعقبتها من البلايا ضروب

وكأنَّ السرورَ يُومِض برقاً من خِلال الغيومِ ثُمَّ يَغيب

***

لا ترى ثَمَّ – غيرَ أن يتركَ الحبُّ شحوباً – وجهاً علاهُ الشحوب

ثمَّ لا شيء عن سنا الشمس ممنوعٌ ولا عن طلاقةٍ محجوب

الهواءُ الهبّابُ والنورُ والخضرةُ تأتي ما ليس يأتي الطبيب

ثَمَّ باسمِ الحصادِ في كلِّ حقل تتناجى حبيبةٌ وحبيب

قال فردٌ منهمْ لأخرى وقد هَيَّجَ نفسيهما ربيعٌ خصيب

طابَ مَنشا زروعِنا فأجابت: إنَّ نشءاً يرعاهُ كُفْءٌ يطيب!!

قال ما أصبرَ الحقولَ على الناسِ فقالتْ ومثلُهنَّ القلوب!

إنّ ما تفعلُ المناجلُ فيها دونَ ما يفعلُ الشجا والوجيب!

يـنهضُ الـزرعُ بعـدَ حصـدٍ وقـد يُجتـثُّ مـن أصـله فـؤادٌ كئيـب!

يـا فـؤادي المكـروبَ بعثَـرَكَ الهـمُّ كـما بُعثِـرَ الثـرى المكـروب

وعيـوني هـلاّ نَضبتِ.. وقـد ينضُـبُ مـن فـرطِ مـا يسـيل القليـب!

***

عنـدَهم منطـقٌ هنالـكَ للحـبِّ جميـلٌ وعنـدَهم أُسـلوب

ولهـم في الغـرامِ أكثَـرُ ممّـا لسـواهمْ مضـايقٌ ودروب

مُلَـحٌ خُصِّصَـتْ لهـم ونِكـاتٌ ملـؤهنَّ الإبـداعُ والتهـذيب

ثَـمَّ تحـتَ السـتارِ ممتَلـكٌ بالحـبِّ عفـواً.. ومثلُـه مغصـوب

إنهـمْ يُـذنبونَ، ثـم يقولـون: محـالٌ أنْ لا تكـونَ ذُنـوب

نحـنُ نبـتُ الطبيعـةِ البِكـرِ فينـا حسـناتٌ منهـا.. وفينـا عيـوب

بنتُنـا وابنُنـا معـاً يرقُبـانِ الـزرعَ والضـرعَ.. والضـمير رقيـب

لـيس نـدري مـا يفعـلانِ ولا نعلـمُ عـمَّا زُرَّتْ عليـه الجيـوب

مـا علينـا مـا غـابَ عنّـا فعنـدَ الله تُحصـى مظـاهرٌ وغيـوب

غـيرَ أنّـا نـدري – وكنّـا شـباباً نتصـابى – أنَّ الجـمالَ جَـذوب

والفتـى مـا اسـتطاعَ مُنـدَفِعٌ نحـو الصـباباتِ.. والفتـاةُ لَعـوب

بالتصـابي يُـذكى الشـبابُ ويغـترُّ كـما بالرِّيـاح يُـذكى اللهيـب

ثَـمَّ عنـدَ اللِّقـاء يُعـرفُ إن كـان هنـاكم "نجيبـةٌ..!" أو نجيـب

إنّ بعـض الرجـال يبـدو أمـامَ الحـبِّ صُـلباً والأكثـرون يـذوب

والتجاريـبُ علَّمتنـا بـأنَّ المـرءَ غِـرٌّ يُقيمـه التجريـب

لـيس بِـدعاً أن نستريبَ ولكـن نتمنّـى ألاّ نـرى مـا يُريـب

لـيس فينـا والحمـدُ لله حتـى الآنَ بيـتٌ "إنـاؤهُ مقلـوب"[1]

فـإذا كـانَ مـا نخـافُ فهـرقُ الـدَّمِ سـهلٌ كـما تُـراق ذَنـوب[2]

منطـقٌ للعُقـولِ أقـربُ ممّـا يدَّعيـه أخـو عَفـافٍ مُريـب

***

ولقـد يرمـزونَ "عنّـا" بأنّـا كـلُّ مـا في محيطنـا مَثلـوب

فيقولـون: قـد تطـيحُ مـن العـارِ بيـوتٌ.. وقـد تثـورُ حـروب

والخَنـا سُـبَّةٌ علينـا ولكـن في القُـرى كـلُّ نـاقصٍ مسبوب

عنـدنا كـالفتى "الخفيـفِ" لئـيمٌ وجبـانٌ، وغـادرٌ، وكـذوب

يُخجـلُ النـاسَ في القُـرى أنَّ فـرداً مـن أُولاءِ علـيهمُ محسـوب

إنَّـه مـن خصـائصِ المـدنيّاتِ إليهـا شـنارُهم منسـوب!

---

[1] الإناء المقلوب، في بيت العربي في العراق يرمز إلى عار لحق به.

[2] الذنوب: الدلو العظيمة.

***

في القُـرى يوسـعوننا وصـماتِ مُخجِـل أمرُهـا "البـداةَ" مَعيـب

فيقولـونَ: كـلُّ شيءٍ صريـحٍ عنـدنا، عنـدكم خلـيطٌ مَشـوب

شُوِّشَـتْ منكم وسيطتْ سِماتٌ ولُغـاتٌ، ولهجـةٌ، وحليـب

إنَّكـم مـن نـماذجِ العَـرَب السـاطينَ ظُلـماً عليـهمُ تعريـب..!

كجليـبٍ مـن البضـائعِ يـأتيكم مـن العـالمينَ وجـهٌ جليـب

هـو منكمْ كالأهـلِ في كـلِّ شيءٍ وهو فينـا عـن كـلِّ شيءٍ جنيـب

إنَّكـم تمـدحونَ خُبثـاً، وعـدواناً، وغـدراً، كـأنما المـرءُ ذيـب

بغداد، عام ١٩٣٢

صور للخواطر

أنـا إنْ كنـتُ مرهقـاً في شـبابي مـثقلاً بـالهموم والأوصـاب

فمتـى أعـرف الطلاقـةَ والأنـسَ ألـمّا أكـونُ تحـت الـتراب؟

خـبَّروني فـإنني مـن لُبانـاتي وعيشـي رهـينُ أمـرٍ عُجـاب

أيُّ حـالٍ هـذي، ومـا السرُّ في تكـوين خلـقٍ بهـذه الأعصـاب

أبـداً ينظـرُ الحـوادثَ والعـالمَ والنـاسَ مـن وراءِ ضَـباب

لـيس شيءٌ مـن التجـانس في نفـسٍ نواسـيَّةٍ وعـيشٍ صَـحابي

شـمتتْ بي رَجْعِيَّـة ألهبتهـا فكـرةٌ حـرَّة بسـوطِ عـذاب

وشـكتني مَسـرَّةٌ وارتيـاحٌ و بكتنـي مُجانـةٌ وتصـابي

***

تـدَّعيني لِمـا وراء ثيـابِ الـبعض نفـسٌ سريعـةُ الالتهـاب

فـتَراني وقـد حُرِمـت أُسـلّي الـنفس عنهـا بلمـس تلـك الثيـاب!

فـإذا لم تكـن تعوَّضـتُ عنهـا صُـوراً مـن تخـيّلاتِ عِـذاب

ولقـد تخطـر "المبـاذل" في بـالي بشـكلٍ يـدعو إلى الاضـطراب

أو بشـكل يـدعو إلى اسـتحياءٍ أو بشـكلٍ يـدعو إلى الإعجـاب

فـتُراني مُفكـراً هـل مواتـاة الـتراضي.. أحـلى أم الاغتصـاب..؟[1]

وهل "الفَعلـةُ" التـي خنـتُ فيهـا خَلَّتـي، والتـي دعـت لاجتنـابي

والتـي جِئتُهـا أكفّـر عنهـا بكتـابٍ أردفتـه بكتـاب

كنتُ عينَ المصيب فيهـا، وكانـت فَعلةٌ مثلَ تلـك عـينَ الصـواب؟

بشَـرٌّ جـاش بـالعواطف حتـى جذبتـهُ جريمـةُ الارتكـاب

أم تُـراني لبسـت فيهـا عـلى حـي انـدفاعٍ منـي لبـاسَ ذئـاب؟

أتُراهـا نتيجـةَ الشـرب أم أنّـيَ ظُلمـاً ألصـقتها بالشـراب؟

بغداد، عام ١٩٣٢

---

[1] أم: وردت في طبعة وزارة الإعلام العراقية "من" مع هامش يشير إلى أنها في الأصل "أم".

لم يكن "حـــالا"

وكانت من الرفـــاه..

كلما إذ يهز الجبالا

من نبات "الهـــرم"

تعرف ما يرضي الغواني..!

وما يزين الجمالا..!

من أبي أمسي ؟

خبريني ؟

ألا تدرين ؟

كلا فلست أحصي الرجالا..!!

أجهل فلم أدعه

إذ لمت عمرا ما لمت الكلالا

ومتى راح ؟

إن ساح ؟

ألا يرجع ؟

ماذا أبقى ؟

أفـروديت

[illegible]

ثُمَّ نادت "جـــــالا"[1]

وكانت من الرِّقَّـــةِ..

كالماءِ إذ يَهُزُّ الخيالا

من بَنَاتِ "الهنـــودِ"

تعرفُ ما يرُضي الغواني..!

وما يَزينُ الجمالا.!

مَنْ أتى أمسِ..؟

خبِّريني.....؟

ألا تدرينَ..؟

كلاَّ فلستُ أُحصي الرِّجالا..!!

أ جميلٌ فلم أُمَتِّعْهُ

إذ نِمْتُ عميقاً ممّا لِقيتُ الكلالا؟

ومتى راحَ..؟

في الصباح..؟

ألا يرجعُ..؟

ماذا أبقى..؟

---

[1] جالا: هي وصيفة أفروديت الخاصة بها.

أغادَرَ شيّا..؟

ناوليني أساوِري

فأتَتْها بصُنَيْديقَ.. أودعتْهُ حُليّاً

رفعتْ عندَها ذراعينِ

سُبْحانَ الذي يَخْلُقُ الجمالَ السَّويّا!!

***

إنَّ نفسي جالا.. تَفيضُ هناء

لو توصَّلْتُ أنْ أُميتَ حبيبا

مِنْ أُولاءِ الذين يلقَوْن داء

فيخالُونَ أنَّ فيَّ الطَّبيبا..!!

يجهلون انتقامةً.. واشتهاء!

فيموتونَ تحتَ سوطِ عذابي

ثُمَّ أمشي عليهمُ مِشيةَ الطاووسِ

أحْثُو وجوهَهُمْ بالترابِ...!

***

هؤلاءِ الذين أطلُبُ، لا الساعينَ نحوي

جِسماً بغيرِ فؤادِ..!!

المَساكينُ..! هُمْ بوادٍ.. ومَنْ يطْلُبُ صَرعى الحُبِّ المُميتِ بوادي

***

سَفَهاً أنْ أُريدَ مِمَّنْ أُناديه ابتياعاً..

تَعَلُّقاً بجمالي..

لستُ أرضى صَيْداً كأولاءِ.. يَلْتفُّ عليهم

حتى شِراكُ نِعالي..!!

لم تكنْ هكذا السّنونَ الخوالي

حيثُ كانَ الغرامُ شيئاً بديعا

إذ يجيءُ الأرضَ الإله

يَزيدُ البَشَرِيَّاتِ حُرقَةً وَ ولُوعا

***

يا تُرى أينَ أستطيعُ اللقاء!

برجالٍ يُسَخِّرون الرِّجالا

أيُّ غابٍ يحويهمُ.. وفِراشٍ

فوقَهُ يُصبحونَ أدنى مَنالا

أصلاةً يبغُونَ حتى يُثيروا.. رغباتي؟

فَلْتَصْعَدِ الصلواتُ..!

وَهَبيهِم ينأوْنَ عن رؤيةِ الأرضِ

هَبيهمْ شاخوا.. هَبيهمْ ماتوا..!

أفَتُردى مثلي.. ولم تُرْوَ مِمَّنْ

تتلَظّى لأجلهِ الرَّغَباتُ.

***

وتمشَّتْ مهتاجةً.. يتمشّى العُجْبُ

والحسنُ في الدماءِ غزيرا

نحوَ حَمّامِها تَرى مِنْ خلال الماءِ.. فيهِ

ما يَستثيرُ الغُرورا..!

جسمَها اللدْنَ.. والغدائرَ تنسابُ

كما أرْخَتِ العذارَى سُتورا!

وخريرُ المياهِ في السمعِ كالقُبلةِ.. حرّانةً

تَهيجُ الشُعورا..!

عبدَتْ نفسها.. فداعَبَتِ النَّهدينِ بالشَّعْر

غِبطةً وحُبُورا..!

***

خَرَجَتْ والنهارُ تنطفىءُ الشُعلةُ منه

والليلُ يرخي السُّدولا

تتهادى مُرتاحةَ البالِ.. لا تُعنى:

بأنْ لم تكن حَصاناً بَتولا!!

ومشَتْ نحوَها تَديفُ بذَوْبِ العِطرِ "جالا"

مِنْ فوقها المنديلا..

وأمرَّت على المحاسنِ منها مـن نتـاجِ "الهـند"

المُثيرَ الميولا..

***

ثُمَّ قالت غنّي: فغنَّتْ..

وهل أبدعُ مِنْ وصْفِ "أفروديتَ" غناءُ..؟

آيةُ الفنِّ، والبداعةِ يَلقى عاشقُ الفنّ عندَها

ما يشاءُ...:

لكِ رأسٌ كدَوْرَةِ البدرِ.. غطَّته منَ الشَّعْرِ

غَيْمةٌ سوداءُ..

يبتدي منه مُرْسَلاً "سَعفُ النَّخْلِ"!

له عندَ أخْمَصَيْكِ انتهاءُ..

أو كنهرٍ يجري بوادٍ

غروبُ الشمسِ أهداه ظِلَّه.. والمَسَاءُ

***

لكِ – كالبركَتَيْنِ تحتَ ظِلالِ السَّروِ؟ رَقّا وأوْغلا عينانِ...!

لكِ – كالزَّهْرتينِ صُبَّتْ دماءٌ مِن غزالٍ عليهما شَفتانِ...!

لكِ كالخنجرِ المُغطَّى بذاكَ الدَّم مُحضوضِباً! شقِيقُ لسانِ...!

لكِ نحرٌ كما تبلَّجَ للصُّبحِ عَمودٌ

ضَوّى به المَشْرقانِ

لكِ صدرٌ كسَلَّةِ الزَّهْرِ–

بالنَّهدَيْنِ نَطَّتْ فُويقَهُ زَهرتانِ!

واستقامَتْ كَمِثْلِ أعمِدَةِ العاجِ

الذِّراعانِ منكِ والفَخذانِ!

لكِ المُدوَّراتُ..! حُلِيٌّ مُبْهِرٌ

صُنْعُ مُعْجِزِ فَنَّانِ

لكِ بَطنٌ كأنّها مُحمَلُ الدِّباجِ

أو "ثوبُ" أزْقَطٍ ثُعبانِ

رُزِقَتْ سُرَّةً كلؤلؤةِ الغَوّاصِ

قد رُكِّزَتْ على "فنجانِ"!!

لكِ – مثلَ الهِلالِ مِنْ خَلَلِ الغابةِ يبدو –

"رفغٌ" رفيعُ مَكانِ!!

وهُنا.. كَفَّتِ الوصيفةُ لا تستطيعُ قولاً

عَما يلي الرفغَ منها

وانبرَتْ "أفروديتُ" توحي إلى "جالا"

بحُسنِ الذي تخبّأ عنها:

هو في الشكلِ، مِثلُ قَوقعةِ الماءِ

وفي الحُسْنِ زَهْرَةُ الجُلَّنارِ!!

مُلِئتْ زُبْدةً، وشُهداً، وعِطرا هو كالكَهْفِ دافئاً،!!

كالمغارِ..!

رَطباً!، مَلجأُ الرِّجالِ السُّفارِ

وهم سائرُوَن للموتِ قَشرا

فأتمت "جالا":

أَجَلْ!...

ومخيفٌ.. طافحُ الجَنْبَتَيْنَ بؤساً وشرا

وجه "ميدوزَ"! ساخطاً

يَلْعَنُ الناظرَ في وجهه فيرتدّ صخرا!!

***

من صباها..

مشى إليها خَيالُ

يتَغذّى به الهوى والدَّلالُ

وخيالٌ في مَهدِه ما يَزالُ

وخيالٌ يَدِبُّ..

رِخواً ضئيلا

وخَيالٌ أضفتْ عليه سُدولا

واستعاضت بالصمتِ عنه بديلا

وخيالٌ أردته..

شِلْواً قتيلا

فهو خَصمٌ لزهوِها قتّالُ

كلّما غرّها الصِّبا والجمال

هاجَ من عيشها ادّكاراً ذليلا

وأحسّت حِمْلاً بذاك ثقيلا

ومن الذكرياتِ...

رفّتْ ظِلالُ...

* * *

وترامى من الظلالِ عليها

ما يثيرُ الصِّبا..

ويُذكي الغراما

ويديف اللذات والآلاما

ويمجّان:

يقظة ومناما

ويعنّي بِثقْلها الأياما
وَ تَفَيَّتْ "بغيمتينِ" ظلالا
يستبدان "مُكثةً" وانتقالا
فمن الشعر ما يُظِلُّ الغمامُ
ومن الذكريات ما يعتام
ومن الذكريات ما يستام
بسمةً، أو كآبةً، أو ذهولا
أو مُضيّاً على السُّرى..
أو قفولا

***

ومن الذكرياتِ ما يتغنَّى
في قرارِ النّفوس..
لَحْناً فَلَحْنا
ومَطافُ الخيالِ وهو المُعنّى
بانبعاث الأنغامِ..
أنساً وحُزْنا
يتحدّى قلباً..
ويُرهف أُذنا
بصدىً كلّمت تجدّد رنّا

ويعودُ الصّدى..

فيُذكي الجنانَا

ويعود الجنانُ..

يَبْغي بيانا

***

نَثَرَتْ شَعْرَها على كَتِفَيْها

نثرةً خيرَ ما تكونُ لديها

واستدارتْ وَهْناً على عَقِبَيْها

فبدا جانبٌ..

ولَوَّحَ ثاني

وأرتها المرآةُ لَمْحَ بيان

عن خيالين..

ثمَّ يرتجفانِ

وبقايا ظِلَّيْنَ يَصطَرعانِ

***

ثم لَـمَّتْ فُضَولَه بيديها

فَمَشَتْ لـمَّةٌ على نَهديْها

فتمشّى الضِرامُ في حَلْمتَيْها

فأطلاّ...

وثباً من الذِروتينِ

مثلَما صكّ عاصِرٌ حبّتينِ!

***

وتمطّت كأُفعوانٍ تلوّى

فهو يَشوي بسمِّه..

وهو يُشوى

وهو يُروى بلدغةٍ..

وهي تُروى:

إذا ترى جسمَها المُميتَ الفظيعا

وشباباً غضّاً..

وخَلْقاً بديعا

وثِمارا شهيةً! وزُروعا

نُثِرَتْ فوقه!..

وصدراً ونحْرا

ومَسيلا منه تفجَّر نهرا

ودماً فائراً يصبُّ سريعا

تاركا أينما جرى يَنْبوعا

كلُّ عِرقٍ منها..

تفصَّد خمرا

وهي تُروى..

حِقداً وزَهوا وغدرا

إذ ترى:

أنَّ حُرقةً ودموعا

وعذاباً فظّاً..

وموتاً ذريعا

وصريعاً بها يواسي صريعا

طوعَ ما تستثيرُهُ العينانِ

عندما يأمرانِ أو يَنْهيانِ

عندما يرويان إذ يحلُمانِ:

قِصَّةَ الحبِّ...

إذا تَلُفُّ البرايا

إذ ترى فيهما دِماءَ الضحايا

بين "مُوقَيْهِما".

وفي "الإنسانِ"

***

وصِباها....

عارٍ من الذكرياتِ

ملهباتِ جَمْـرِ الهوى مذكياتِ

فهو قَفْرٌ من الأنيس خلاءُ

موحشات في جَوِّه الأصداء

لا يلبّى للروح فيه نداءُ

ويُدَوِّي "للكَبْتِ" فيه..

عُواءُ!

فهي حَيرى

تجوبُ منه قفارا

وهي مهما جارَتْ عليه اقتسارا

وتَمَـلّتْهُ ليلَهُ والنهارا

وهي مهما اجترّت "مُنىً" وادّكارا

لم تجد فيه..

ما يَسُرُّ العذارى!

غيرَ لمح من تِلْكُمُ "الأمسِياتِ"

إذ ليالي الجليل..

رمزُ الحياةِ

عطراتٌ بمَدْرجِ الفَتَياتِ

في ضفاف "البحيرة" النشوانه

ترتمي في نميرها حرّانه

كلُّ عذراء..

رَوْدَةٍ معطافِ

يتسقطنَ موقعَ الأصدافِ

وعليهنَّ من نميرٍ صافي

أيّ سترٍ مهلهلٍ..

"كشَّافِ"؟!

إذ حقولُ الجليلِ مرتمياتُ

بقدوم الربيع محتفياتُ

يتضاحَكْنَ في مَدَبِّ الشُّعاعِ

راجفاً فوقَها ارتجافَ "اليراع"

اذ غدا الجوُّ من أريج المراعي

خدرَ حسناءَ من بنات الغرام

سابحا....

في العطور و"الأنغام"

بغداد، عام ١٩٣٢

وتمشى لمرح صاحبي لمثل رحله ... وتصيدت منه وكان حين تصيده

وتلفت كالظبي من ذئاب تطلبه ... إن الحتف للصيد مثل صوته

وأرى الحتف يجلا تنثر والشر ... ساعدوك عاجلة مثل لمحله

تبعد النفس منتلاً من مصيره ... ملهم فيه طبيعة وجبلة

والنفس لقد كانت أروح خاطراً ... بالمغيب لم أسر إلى ثاربه

لكن تعلقت بأذيال الأمل بعد ... لما رأين جلاءه وضلله

وتملكت بناني وتعلقت لمتي ... أعني لمرأة الغرير من مشعوله

يا ناعم لمعاوز عنه حتى لقد ... أصبحت أعنى الغنى قبل خلوله

وتلفت حتى لا أكاد بمنفرج ... بمنظر الناسي وجيل ظلم لما

* * *

أبو لحباني أنت فرحوا ... ما بين أوضاح تشاء وشحمه

إني وإن لملت أنام خماصتي ... وأقعد عن بعض المروءة لمرأته

لتنم تثر ذكر الهم وتتبعي ... طربت إلى قتل الظبية وفيله

لتنهنا بين التفرات لمرا ... بالحشر ... وجهه

وتذكروا كملت لسرى بمثلثي ... ... وبله

سامراء

... صوت صرح ...

... وفي بعض ...

... لمعروف بالمغيب ... في سامراء

ودَّعتُ شرخَ صِبايَ قبلَ رحيلِهِ ... ونَصَلتُ منه ولاتَ حينَ نُصولِهِ[1]

ونَفَضتُ كَفّي من شبابٍ مُخلِفٍ ... إيراقُهُ للعين مِثلُ ذبولِه[2]

وأرى الصِّبا عَجِلاً يَمُرُّ وإنّني ... ساعدتُ عاجلَهُ على تعجيله

سَعُدَ الفتى متقبّلاً مِن دهره ... مقسومَه بقبيحِهِ وجميله

وأظنّني قد كنتُ أرْوَحَ خاطراً ... بالخطبِ لو لم أُعنَ في تأويله

لكن شغِفْتُ بأن أُقابلَ بينه ... أبداً وبين خلافِه ومثيله

وشَغَلتُ بالي والمصيبةُ أنني ... أجني فراغَ العُمرِ مِن مشغوله!

يأسٌ تجاوَزَ حَدَّه حتى لقد ... أمسيتُ أخشى الشرَّ قبلَ حُلوله

وَبَلُذْتُ حتى لا أَلَذُّ بمُفْرِحٍ ... حَذَرَ انتكاستِهِ وخوفَ عُدوله!

***

إيهٍ أحبّايَ الذينَ ترعرعوا ... ما بين أوضاحِ الصِّبا وحُجوله[3]

إني وإنْ غَلَبَ السلوُّ صَبابتي ... واعتضتُ عن نجم الهوى بأُفوله

لَتشوقُني ذكراكُمُ ويَهُزُّني ... طَربٌ إلى قالِ الشباب وقِيله

أحبابَنا بين الفُرات تمتّعوا ... بالعيش بين مياهه ونخيله

وتذكَّروا كَلِفَ امرىءٍ مُتشوّقٍ ... منزوفِ صبرٍ بالفراق، قتيله

---

[1] نصل من الشيء: خرج عنه.

[2] المخلف: الذي لا يفي بوعده.

[3] الأوضاح: الغرر في الجبهات. الحجول: البياض في القوائم وخاصة في الأفراس.

حـرّانَ، مـدفونِ الميـولِ، وعنـدَكم إطفـــاءُ غُلَّتِـــهِ وبعـــثُ ميولـــه

***

حَيَّيْـتُ "سـامرّا" تحيَّـةَ مُعجَـبٍ بـــرُواءِ متَّسِـــعِ الفِنـــاء ظَليلـــه

بَلَـدٌ تسـاوَى الحسـنُ فيـه، فليلُـهُ كنهـــاره، وضـــحاؤه كأصـــيله

ساجي الريـاحِ كـأنما حلَـفَ الصَّبا أن لا يُمـــرَّ عليـــه غـــيرُ عليلـــه

طَلْـقُ الضـواحي كـاد يُـربي مُقفِـرٌ منـــه بنُزهتِـــهِ عـــلى مأهولـــه

وكفـــاكَ مـــن بلـــدٍ جَمـــالاً أنَّـــه حَـدِبٌ عـلى إنعـاشِ قلـبٍ نزيلـه

عَجَبـي بزَهْـوِ صُـخوره وجبالـه عَجَبـــي بمنحَدَراتِـــهِ وسُـــهوله

بالمـــاءِ منســـاباً عـــلى حَصـــبائه بالشَّـــمسِ طالعـــةً وراء تُلولـــه

بالشـاطىءِ الأدنـى وبَسـطةِ رملِـهِ بالشـاطىءِ الأعـلى وبَـردِ مَقيلـه

بجمالـــه، والبـــدرُ يمـــلأه ســـناً بجلالِـــهِ رهـــنَ الـــدُّجى وسُـــدوله

بـالنهر فيَّـاضَ الجوانِـبِ يزدهـي بـــالمُطرِبَينِ: خريـــرِه وصـــليله

ذي جـــانبيْنِ، فجانـــبٌ مُتطـــامِنٌ يقســـو النســـيمُ عليـــه في تقبيلـــه

بـــإزاءِ آخَـــرَ جـــائشٍ مـــتلاطمٍ يَرغـو إذا مـا انصـبَّ نحـوَ مَسـيله

فصـلتهما "الجُـزُرُ" اللَّطـافُ نواتئـاً كـــلٌّ تحفَّـــزَ مـــاثلاً لعديلـــه

وجرتْ على الماءِ القوارِبُ عُورضت بـــالجري فهـــي كراســـفٍ بكبولـــه

فـــإذا التَـــوَت لمســـيلِهِ فكأنَّهـــا تبغـي الوصـولَ إليـه قبـلَ وصـوله

وإذا نظـرتَ رأيـتَ ثَمَـةَ قارِبـاً ... تَمتـازُهُ بالضـوء مِـن قِنديلـه

أو صـوتِ مِجـدافٍ يُبـينُ بوقعـه ... فـوقَ الحصى عـن شـجوه وعويلـه

***

سـادَ السـكونُ عـلى العـوالم كُلِّهـا ... وتَجلبـب الـوادي رِداءَ خمولـه

وتنبَّهـتْ بـين الصـخورِ حَمامـةٌ ... تُصـغي لصـوت مُطـارِحٍ بهديلـه

وأشـاعَ شـجواً في الضـفاف ورِقَّـةً ... إيقـاظُ نُـوتيٍّ بهـا لزميلـه

***

ولقـد رأيـتُ فُويـقَ دجلـةَ مَنظـراً ... الشـعرُ لا يَقـوى عـلى تحليلـه

شَـفقاً عـلى المـاءِ استفاضَ شُـعاعُه ... ذَهَبـاً عـلى شُـطآنه وحُقُولـه

حتـى إذا حكَـمَ المغيـبُ بـدا لـه ... شـفقٌ يُحـيطُ البـدرَ حـين مُثولـه

فتخـالفَ الشـفقانِ، هـذا فـائزٌ ... صُـعُداً، وهـذا ذائـبٌ بنزولـه

ثُـمَّ اسـتوى فِضّـيٌّ نُـورٍ عابـثٍ ... بالمـائِجَيْنِ: مِياهِـهِ ورُمولـه

فإذا الشـواطئُ والمسـاحبُ والرُّبـى ... والشـطُّ والـوادي وكـلُّ فُضـوله[1]

قمـراءُ، راقصـةُ الأشـعَّةِ، جُلّلـت ... بخفـيِّ سِرٍّ رائـعٍ مجهولـه

والجوُّ أفـرطَ في الصـفاءِ فلـو جـرى ... نَفَـسٌ عليـه لَبـاَن في مصـقوله

هـذي الحيـاةُ لِمثلِهـا يحنـو الفتـى ... حِرصـاً وإشـفاقاً عـلى مأمولـه

---

[1] فضول الوادي: ذيوله ومساحبه.

***

وإذا أسِـــفتُ لمؤسِـــفٍ فلأنَّـــه ... خِصْبُ الثَّرى يُشجيكَ فرطُ مُحوله

قد كانَ في خَفْضِ النَّعيم فبالغتْ ... كـفُّ الليـالي السـودِ في تحويلـه

بَـدَتِ القصـورُ العـامراتُ حزينـةً ... مـن كـلّ منهـوبِ الفِنـاءِ ذليلـه[1]

كـالجيشِ مهـزومَ الكتائـبِ فلَّـه ... ظَفَـــرٌ وَ رَقَّ عـــدوُّه لفلولـــه

"العاشـقُ" المهجـورُ قُـوِّضَ رُكنُـهُ ... كالعاشـق الآسي لفقـدِ خليلـه[2]

و"الجعفـريُّ" لم يقصِّـر رسـمُهُ البـاقي بـرُغم الـدَّهر عـن تمثيلـه[3]

بـادي الشـحوبِ تكـادُ تقـرأ لوعـةً ... لنعيمـه المسـلوبِ فـوقَ طلولـه

وكـأنَّما هـو لم يَجِـدْ عـن "جعفـرٍ" ... بـدلاً يُسَـرُّ بـه ولا عـن جِيلـه

فُضَّـتْ مَجالسُـهُ بـه وخلَـوْنَ مِـن ... شـعر الوليـدِ بهـا ومـن ترتيلـه[4]

إنَّ الفُحُـولَ السـالفينَ تعهَّـدوا ... عصرَ القـريضِ وأُعجبـوا بفحولـه

يتفـاخرونَ بشـاعرٍ فكـأنَّما ... تحصـيلُ معنـى الحُكْـمِ في تحصـيله

فجَـزوْهُمُ حُلـوَ الكـلامِ وطـرَّزوا ... إكليـلَ ربِّ المُلْـكِ مـن إكليلـه

كـانوا إذا رامـوا السـكوتَ تـذَكَّروا ... فضـلَ المليـكِ الجـمِّ في تنويلـه

---

[1] الغامرات: نقيض العامرات.

[2] العاشق: من قصور العباسيين في سامراء

[3] الجعفري: قصر الخليفة المتوكل.

[4] الوليد: هو الشاعر الشهير المعروف بالبحتري.

مـن صـائنٍ للـنفس غـيرِ مُـذيلها ... شُـحّاً ومُعطـي المـالِ غـيرِ مُديلـه[1]

وإذا شَـدَوا فكـما تغنَّـى طـائرٌ ... أثـرُ النعـيمِ يبـينُ في تهليلـه

***

ولقـد شـجتني عَـبرةٌ رَقراقَـةٌ ... حَيرانـةٌ في العـين عنـد دُخولـه

إني سـألتُ الـدَّهرَ عـن تخطيطـهِ ... عن سَطحه، عن عَرضه، عن طُوله..

فأجـابني: هـذي الخريبـةُ صـدرُهُ ... والبلقـعُ الخـالي مَجـرُّ ذيولـه

وَسَـلِ الريـاحَ السـافياتِ فإنهـا ... أدرى بكـلِّ فروعـه وأصـوله

وتعلَّمَـنْ أنَّ الزمـانَ إذا انتحـى ... شُهُبَ السَّما كانـت مـداسَ خُيولـه[2]

مـدَّت بنـو العبّـاس كـفَّ مُطـاوِلٍ ... فمشـى الزمـانُ لهـم بكـفٍّ مَغولـه

واجتـاحَ صـادقَ مُلكِهـمْ لمـا طَغـوا ... بـدعيِّ مُلـكٍ كـاذبٍ مَنحولـه

وكـذا السياسـةُ في التقـاضي عنـدَه ... تسـليمُ فاضـلهِ إلى مفضـوله

***

خُلِّـدْتِ سـامراءُ، لم أوصِـلْكِ مِـن ... فَضْـلٍ حَشَـدْتِ عـليَّ غـيرَ قليلـه

يـا فرحـةَ القلـبِ الـذي لم تتركـي ... أثـراً لِلاعـج همّـه ودخيلـه

وافـاكِ مُلتهِـبَ الغليـلِ وراح عـن ... مغنـاكِ يَحمَـدُ منـكِ بـردَ غليلـه

أنعشـتِهِ ونَفَيْـتِ عنـه هواجسـاً ... ضـايقْنَه، وأثـرتِ مـن تخييلـه

وصَـدقته أمـلاً رآكِ لِمثلـه ... أهـلاً فكنـتِ، وزدتِ في تأميلـه

---

[1] المذيل: المهين المحتقر. المذيل: المحول والمبدل.

[2] انتحاه: قصده ومشى إليه.

هـذا الجميـلُ الغـضُّ سـوف يـردُّه ... شِـعري إليـكِ مُضـاعفاً بجميلـه

ولقـد غَلـوتُ فكـمْ بقلبـي خـاطرٌ ... عَجـزتْ مَعـاني الشـعر عـن تمثيلـه

ولَطيفُ معنىً فيـك ضـاقَ بليـدُها ... بذكيِّـــهِ، ودقيقُهـــا بجَليلـــه

ولعـــلَّ منقـــولَ الكـــلامِ محـــوَّلٌ ... في عـــــالَمٍ آتٍ إلى معقولـــــه

فهُنـاك يتَّسِـعُ الـتخلّصُ لامـرىءٍ ... مـــن مُجمَـــل المعنـــى إلى تفصـــيله

بغداد، عام ١٩٣٢

بديعة(*)

هُزِّي بنصفِكِ واتركي نصفا ... لا تحذَري لقَوامِكِ القصفا
فبحسْبِ قدّكِ أنْ تُسنِّدَه ... هذي القلوبُ، وإنْ شكتْ ضَعفا
أُعجبتُ منكِ بكلِّ جارحةٍ ... وخصَصتُ منكِ جفونَك الوَطفا
عشرونَ طرفاً لو نُجمِّعها ... ما قُسِّمتْ تقسيمَك الطرفا
تُرضينَ مُقترباً ومبتعداً ... وتُخادعين الصفَّ فالصفّا
أبديعةٌ و لأنتِ مُقبِلةً ... تستجمعينَ اللُّطفَ والظَّرفا
ولأنتِ إنْ أدبَرتِ مبديةٌ ... للعينِ أحسنَ ما ترى خَلْفا
هُزِّي لهم رِدفاً إذا رَغِبوا ... ودعي لنا ما جاوَرَ الرِّدفا
ملءُ العيونِ هما وخيرُهما ... ما يملأ العينين والكفّا
وكلاهما حسنٌ وخيرُهما ... ما خفَّ مَحْمَلُه وما شفّا
هذا يرفُّ فلا نُحسُّ بِهِ ... ويهزُّنا هذا إذا رفّا
وتصوّري أنْ قد أتتْ فُرَصٌ ... تقضي بخطفِ كليهما خَطفا
فبدفَّتَيْهِ ذاكَ يُبهضنا ... في حين ذاكَ لرقةٍ يخفى
ونَكِلُّ عن هذا فنَطرَحُهُ ... ونُحلُّ هذا الجيبَ والرفا
ونزورُهُ صبحاً فنلثِمُهُ ... ونَضُمُّه ونَشُمُّهُ ألفا
ونَبُلُّهُ بدمِ القلوبِ، وإنْ ... عزَّتْ، ونُنعِشُهُ إذا جفّا

بغداد، عام ١٩٣٢

(*) بديعة: الراقصة الحلبية "بديعة عطش" نظمها في جلسة مع لفيف من أصدقائه في مرقص " قهوة عزاوي" أشهر مراقص بغداد آنذاك. وكلمة "قهوة" في العامية العراقية تعني "مقهى" مكاناً و"القهرة" مادة.

الشاعرية بين البؤس والنعيم

جَهِلتُ، أحَظُّ المرءِ بالسعي يُقْتَنى ... أم الحَظُّ سرٌّ حَجَّبَتْهُ المقادرُ

وهل مثلَما قالوا جدودٌ نواهضٌ ... تقوم بأهليها وأخرى عواثر

فمن عجب أن يُمْنَحَ الرزقَ وادعٌ ... ويُمْنَعَهُ ثَبْتُ الجَنانِ مُغامر

تفكَّرتُ في هذي الحياةِ فراعني ... من الناس وحشٌ في المزاحمِ كاسر

ولا فرقَ إلاّ أنّ هذا مراوغ ... كثير مداجاة وهذا مجاهر

وقد ظنَّ قومٌ أن في الشّعر حاجةً ... إلى فاقةٍ تهتزُّ منها المشاعر

وأنَّ نتاجَ الرفهِ أعْجَفُ خاملٌ ... وأنَّ نتاجَ البُؤسِ رَيَّانُ زاهر

كأنَّ شعوراً بالحياةِ وعيشةٍ ... بها يُشتهى طَعْمُ الحياةِ ضرائر

وما إنْ يُرى فكرٌ كهذا مُزَيَّفٌ ... لدى أمةٍ للفنِّ فيها مُناصر

ولا أمةٌ تحيا حياةً رفيهةً ... يَجيشُ بها فيما يُصوّرُ شاعر

ولكنّه في أمةٍ مستكينةٍ ... طغى الذُّلُّ فيها فهو ناءٍ وآمرُ

وآنسها بؤسُ الأديبِ وأُعْجِبَتْ ... بِشِعرٍ عليه مهجةٌ تتناثر

وللحزنِ هزّاتٌ، وللأنسِ مِثْلُها ... يُخالِفُ بعضٌ بَعْضَها ويُناصر

ومثلُ قصيدٍ جسَّدَ الحزنَ رائعاً ... قصيدٌ بتجسيدِ المسراتِ زاخر

نُسَرُّ بِشعرٍ رقرقَ الدمعُ فوقَهُ ... إذا عَصَرَ الذهنَ المفكّرَ عاصِر

وقد فاتنا أنّ الذي نستلذُّهُ ... قلوبٌ رقاقٌ ذُوِّبَتْ ومرائر

وما أحوجَ القلبَ الذكيَّ لعيشةٍ ... يَعِنُّ بها فِكْرٌ ويَسْبَحُ خاطر

ورُبَّ خصيبِ الذهن مَضَّتْ خَصاصةٌ ... به فهو مقتولُ المواهبِ خائر

وشتّانَ فنّانٌ على الفنِّ عاكفٌ ... وآخرُ في دُوَّامةِ العَيْشِ حائر

وقد يطرق البؤسُ النعيمَ اعتراضة ... كما مرَّ مجتازاً غريبٌ مسافر

ولكنَّ بؤساً مُفْرخاً حَطَّ ثِقْلَهُ ... وألقى عصاه فهو موتٌ مخامر

بغداد، عام ١٩٣٢

وحي الرستمية

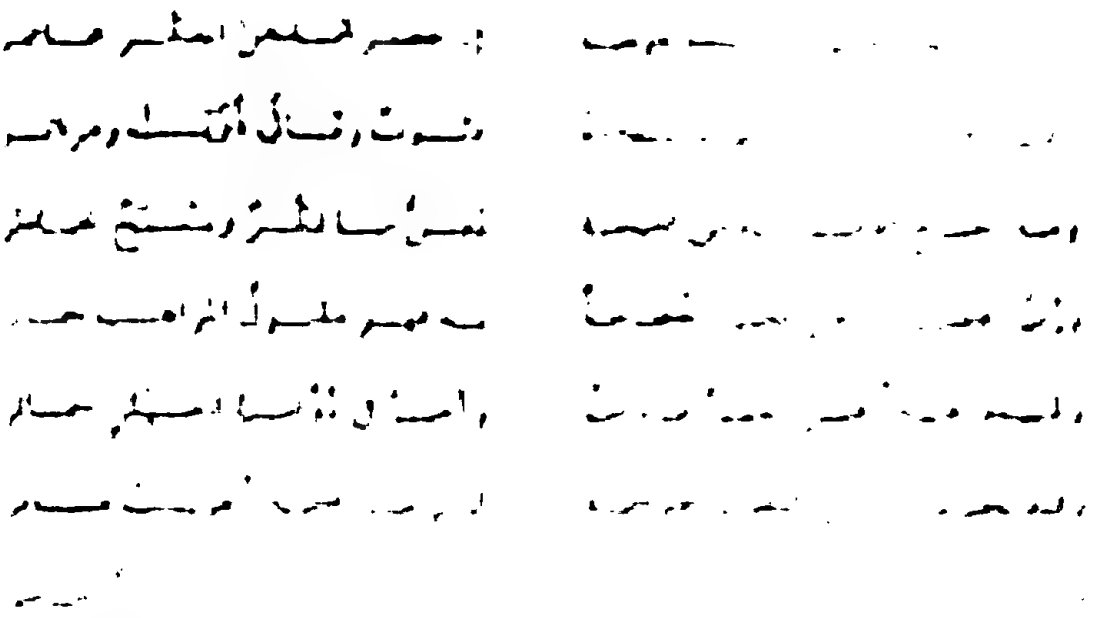

الرستمية منطقة ريفية جميلة قرب بغداد، كان الشاعر مدرساً بدار المعلمين الريفية فيها.

أكْبَرْتُ ميسورَ حالٍ أستشِفُّ بها ... إذ لم يكن ما أرجّيهِ بميسور

وقد رَضيتُ بكِنٍّ أستكنُّ به ... ناءٍ عن العالمِ المنحطِّ مهجور[1]

ورُحْتُ رغمَ جُحودٍ عامدٍ أشِرٍ ... للحظِّ أرجِعُ حالي والمقادير

تَعِلَّةً لم يكنْ لي من تَخَيُّلِها ... بُدٌّ، وكم خودِعَت نفسٌ بتبرير

**

ما زالتِ المُدُنُ النكراءُ تُوحِشُني ... حتى اتُّهِمْتُ بإحساسي وتفكيري

ذَمَمْتُ منها مُحيطاً لا يُلائمني ... صعْبَ التقاليدِ مذمومَ الأساطير

حتى نزلتُ على غنّاءَ وارفةٍ ... بكل مُرتجِفِ الأطياف مسحور

أهدَى ليَ الريفُ من ألطاف جنَّتِهِ ... عرائشاً أزعجتها وحشةُ الدور

طافت عليَّ فلم تُنكِرْ مسامرتي ... ولم أرُعْها بإيحاش وتنفير

**

كأنني، والمروجُ الخضرُ تنفحُني ... بالموحيات، "ابنُ عمرانٍ" على الطور[2]

تَلقى الهجيرَ بأنفاسٍ تُرقِّقُه ... لُطفاً، وتكسِرُ من عُنف الأعاصير

وتَستبيكَ بحشدٍ من روائعها ... مُوفٍ على كلِّ منظومٍ ومنثور

وحيٌ يَجِلُّ عن الألفاظِ ما نشرت ... طلائعُ الفجرِ فيها من تباشير

---

[1] الكن: البيت.

[2] "ابن عمران": هو النبي موسى.

كـــم في الطبيعـــة مـــن مَعنـــى يُضـــيِّعُهُ ... عـــلى القـــراطيس نقـــصٌ في التعـــابير

هنـــا الطبيعـــة نـــاجتني معـــبِّرَةً ... عـــن حســـنها بأغاريـــد العصـــافير

وبـــالخفيف مـــن الأشـــجار منطلقـــاً ... عَـــبْرَ النســـيمِ وفي نفـــح الأزاهـــير

ومنـــزلي عُـــشُّ صـــيداحٍ أقـــيمَ عـــلى ... خضـــراءَ غارقـــةٍ في الظـــلِّ والنـــور

هنـــا الخيـــالُ كصـــافي الجـــوِّ منطلـــقٌ ... صـــافي المُـــلاءَةِ، ضـــحّاكُ الأســـارير

وقـــد تفجَّـــر يُنبـــوع الجـــمالِ بهـــا ... عـــن كـــل معنـــىً بـــديعِ القصـــدِ مـــأثور

حتـــى كـــأنَّ عيـــونَ الشـــعر يُعوِزُهـــا ... وصفُ الـــدقائقِ مـــن هـــذي التصـــاوير

فـــما تُلِـــمُّ بهـــا إلاّ مُقارَبـــةً ... ولا تحـــيطُ بهـــا إلا بتقـــدير

* * *

وجـــدت ألْطَـــفَ مـــا كانـــت مخالطـــةً ... نـــقَّ الضـــفادع في لحـــن الشـــحارير

وقـــد بـــدا الحقـــلُ في أبهـــى مظـــاهره ... بســـاطَ نـــورٍ عـــلى الأرجـــاء منشـــور

وأرســـل البـــدرُ طيفـــاً مـــن أشـــعّتِهِ ... كـــان الضـــمينَ بإينـــاس الـــدياجير

واستضـــحكَ الشـــطُّ مـــن لألاء طلعتـــه ... كأنـــه قِطَعـــاتٌ مـــن قـــوارير

واسترقص القمرُ الروضَ الذي ضحكت ... ثغـــورهُ عـــن أقـــاحٍ فيـــه نَمطـــور

بغداد، عام ١٩٣٢

دع النبـــلَ للعـــاجزِ القُعْـــدُدِ وما اسطعتَ من مَغنم فازْدَدِ
ولا تُخْـــدَعَنَّ بقـــولِ الضِـــعافِ مـــن النـــاس أنـــك عَـــفُّ اليـــد
وأنـــك في العـــيش لا تقتفـــي خطـــى الأدنيـــاءِ ولا تقتـــدي
سفاســـفُ تضـــحك مـــن أمرهـــا صرامـــةُ ذي القـــوَّةِ الأيّـــد
فـــلا تغـــدُ طَوعـــاً لأمثالهـــا متـــى مـــا تُغـــرَّرْ بهـــا تَنْقَـــد
ولا تَبْـــقَ وحـــدَكَ في حِطَّـــة ومهـــما يكـــن ســـلّمٌ فاصـــعد
فإنـــك لـــو كنـــتَ محـــضَ الإبـــاءِ ومحـــضَ الشّـــهامةِ والسُّـــودَد
وأصْـــدَقَ في القـــول مـــن هُدْهُـــدٍ وأخشـــنَ في الحـــقِّ مـــن جَلْمـــد
وأُعطيـــتَ في الخُلـــقِ طُهـــرَ الغـــمام وفي الفضـــل مَنزلـــة الفَرْقـــد
شريفـــاً تُشـــير إليـــك الأكـــفُّ و تُنْعَـــتُ بـــالعَلَم المُفْـــرَد
لمـــا زاد حظُّـــك مـــن عِيشـــةٍ عـــلى حـــظِّ ذي العاهـــةِ المُقْعَـــد

***

إليـــكِ النصـــيحةَ مـــن مُضْـــطَلٍ بنـــار التجـــارب مُسْتَحْصِـــد
ســـتطلُبُها عنـــد عـــضِّ الخطـــوب عليـــك بأنيابهـــا الحُـــرَّد
رِدِ العـــيشَ مـــزدحمَ الضَّـــفَّتَيْنِ مـــن الغِـــشِّ ملـــتحمَ المـــورد
مَليّـــاً بـــذي قـــوةٍ يَســـتقي وذي عِفَّـــةٍ مُستَضـــامٍ صَـــدي
وجُـــلْ فيـــه أروغ مـــن ثعلـــبٍ وأشـــجعَ مـــن ضـــيغم مُلْبِـــد
وكـــن رجـــلَ الســـاعةِ المُجتَبـــي مـــن اليـــوم مـــا يُرتَجـــى في غـــد

وإلاّ فإنّـــك مـــن مُنكَـــدٍ ... مـــن العـــيش تمشـي إلى أنكـد

ذلـيلاً متـى تمـض لا يُبْتـأسْ ... عليـــك، وإن تبـــقَ لا تُنْشَـــد

وأنـــتَ إذا لم تُمـــاشِ الظـــروفَ ... عـــلى كـــلِّ نقـــصٍ حريـــبٌ رَدي

***

إذا مـا مخضـتَ نفـوسَ الرجـالِ ... مـــن الأقـــربين إلى الأبعـــد

وأوقفـــتَ نفســـك للمـــدَّعين ... ســـموَّ المقاصـــدِ بالمَرصِـــد

تيقنـــتَ أنَّ الـــذي يـــدَّعون ... مـــن المجـــد لـــلآن لم يولَـــد

همُ النـاسُ لا يفضُـلون الوحـوشَ ... بغـــير التحيُّـــلِ للمقْصَـــد

فـلا تـأتِ سـاحةَ هـذي الـذئابِ ... تُنازلهـــــا بفـــــمٍ أدرد

وخـذْ مخلبـاً لـك مـن غَـدْرَةٍ ... ونابـاً مـن الكِـذْبِ فاستأسـد

ولا تتـــدَّينْ بغـــيرِ الرِّيـــاءِ ... وغـــيْرَ النِّفـــاقِ فـــلا تعبـــد

وصـــلِّ عـــلى ســـائرِ الموبقـــات ... صـــلاةَ المُخـــالِفِ للمســـجد

ومـا اسـطعت فـاقطع يـد المُعْتـدَى ... عليـــه، وقبّـــل يـــدَ المُعتـــدي

ومجّـد وضـيعاً بهـذي الهِنـات ... تحـــدّى مكانـــةَ ذي المَحتِـــد

ونفسَـــك في النفـــع لا تبلُهـــا ... وعَقْلَـــكَ في الخـــيرِ لا تُجهِـــد

يغطّـــي عـــلى شَرَفِ المُنْتَمَـــى ... ويســـحق مـــن عـــزّة المَوْلِـــد

ويقضي عـلى مُطْـرَفِ المكرُمـات ... ويـــأتي عـــلى الحَســـب المُتلَـــد

مهارشـــةَ الواغـــلِ المـــدّعي ... وتهويشـــةُ المُغْـــرِضِ المُفْسِـــد

أقــولُ لنفســي وقــد عربــدتْ ... رجــالٌ لغاياتهــا: عربــدي

و لاتَحْسَــــــبينيَ في مــــأزِقٍ ... قليــلَ الغَنــا ضيِّــقَ المَنْفــد

وهيهــاتَ لاتُــدرِكينَ المُنــى ... بســيرِ أخــي مَهَــلٍ مُقْصِــد

وإنــكِ إن لم تــواتي الحيــاةَ ... بــنفس المُخــاطِرِ تُسْــتَعْبَدي

ولا بُــدَّ أن تقحمــي مَقحــماً ... وإلاّ فــلا بــدَّ أن تُطْــرَدي

فحِصَّــةُ مُســتَحفزٍ مُجْــرمٍ ... لأشرفُ مــن حِصَّــةِ المجتــدي

***

رأيــتُ المُغــامرَ في موقــفٍ ... بــه يفْتــدي نفسَــهْ المفتــدي

تَناوَلُــهُ الألْسُــنُ المُقْــذِعاتُ ... ويعِصــفُ بالشــتم منــه النــدي

وحيــداً كــذي جَــرَبٍ مُــزدَرىً ... يــروحُ هَضــيماً كــما يغتــدي

ولم يَطُــل العهــدُ حتــى انجلــت ... كــوارثُ مــا هُــنَّ بالسِّــرمد

فكــان الأمــيرَ وكــانَ الــزعيمَ ... وكــان مثــالَ الفتــى السـيّد

وكــان المبجَّــلَ عنــد المغيــب ... وكــان المقَــدَّمَ في المشــهد

يَلَــذُّ لكــلِّ فــمٍ ذِكْــرُهُ ... متــى يجْــرِ في مَحْفِــلٍ يُحْمَــد

و كــان و أمثالُــهُ عِــبرةً ... عــلى ضــوئها يهتــدي المهتــدي

بغداد عام ١٩٣٣

رابطة الأدب(*)

نَهَضْتُمْ بها جمعيةً يُرتَجى بها ... هدى كتلةٍ فيما تُحاولُ خابطهْ
عسى أن تُنيروا للشبابِ طريقَهمْ ... وأنْ تُنْعِشوا روحاً من اليأس قانطه
إذا فَشِلَتْ كلُّ الروابطِ بيننا ... فرابطةُ الآدابِ أمتنُ رابطه

النجف عام ١٩٣٣

(*) حيى الشاعر بهذه الأبيات "جمعية الرابطة الأدبية في النجف" وذلك في ٨ نيسان عام ١٩٣٣.

إلى الباجه جي في نكبته

ألا إنـــما تَبغـــي العُـــلى والمكـــارمُ ... مـــن الله أن يَبْقـــى لهـــنَّ "مُـــزاحمُ"

فتـــى الدولـــةِ الغـــراءِ تَعْلَـــمُ أنَّـــهُ ... عليهـــا إذا نـــام الخليّـــونَ قـــائم

وذو الحُكْم، مرهوباً،على المُلْكِ ساهرٌ ... وفيما يصونُ الحُكْـمَ والمُلْـكَ حـازم

وذو الخُلُـقِ الضّـافي يُخـالُ مُرفَّهـاً ... وفي الصدر أمواجُ الأسـى تـتلاطم

يَبيـتُ عـلى شـوكِ القَتـاد ويَنْطـوي ... عـلى مَضَـضٍ حتـى تُـرَدَّ المظـالم

علـيمٌ بـآدابِ السياسـةِ تَـنْجَلي ... لِفِطْنَتِـهِ أسرارُهـا والطلاسـم

ضـمينٌ إذا مـا الجـوُّ غـامَ بطـارىءٍ ... جليـلٍ، بـأنْ تَنـزاحَ عنـه الغمائـم

عـلى وجهِـهِ سِـيماءُ أصـيدَ أشـوسٍ ... وفيه مـن الـنفسِ الطَّمـوحِ علائـم

جَهـيرٌ يـرى الأقـوامُ عنـدَ احتدامِـهِ ... إذا أغضبوهُ كيْفَ تدأى الضَراغم[1]

وفي العنفِ فهـو الأبْلَـقُ الفـرد مَنْعَـةً ... وفي اللِّينِ فهـو المُصـحِبُ المتفـاهم

***

لقـد مـارسَ الأيـامَ ذو خـبرةٍ بهـا ... ذكـيٌّ لحـالاتِ الزمـانِ مُلائـم

ومـا هـو إن خـيرٌ تحـدّاهُ طـائشٌ ... ولا هـو إن خـيرٌ تعـدّاهُ نـادم

ومرتقـبٌ للشـرِّ والشـرُّ غائـبٌ ... ومُسْـتَحْقِرٌ للشـرِّ والشـرُّ قـادم

عـلى ثقـةٍ أنَّ الحيـاةَ تَـراوُحٌ ... نسـائمُها جوّالـةٌ والسـمائم

ومـاشٍ إلى قلـبِ الحقـودِ بحيلـةٍ ... يُـداوَى بهـا حتـى تُسَـلَّ السّـخائم

---

[1] دأى الأسد أو الذئب: "تخاتل" لصيد فريسته.

وقـد عَلِـمَ الأقـوامُ أنَّ "مُزاحمـاً" من الشعبِ مخدومٌ وللشعبِ خـادم

ولما اعـتلى دَسْـتَ الـوزارة وُطِّـدَتْ بهمتِـــهِ آساســـها والـــدعائم

عفيـفُ يـدٍ لا يَحْسَـبُ الحُكـمَ مَغْـنَماً ولـو شـاء لم تَعْسُرْ عليـه المغـانم

ترفَّـعَ عـن طَـرْقِ الـدنايا فـما لَـه سوى المجدِ والقلبِ الجريءِ سـلالم

***

لقـد سرَّني أنَّ الزَّمـانَ الـذي سـطا عليـكَ بحـربٍ عـادَ وَهْـوَ مُسـالم

وأنَّ ظروفـاً ضَـايَقَتْكَ عوابسـاً أتتك تُرَجِّـي العفْـوَ وَهْـيَ بواسـم

وقـد أيقَنَـتْ إذ قاوَمَتْـك. كَـوارِثٌ بأنـكَ لا تُسـطاعُ حـينَ تُقـاوم

وَجَدْنَكَ خشْن المسّ تـأبى انحلالـةً وتَنحَلُّ في البلوى الجلـودُ النـواعم

تلقَّيـتَ يَقْظـانَ الفـؤادِ حَوادثـاً يُـرَوِّعُ منهـا في التَّخَيُّـلِ حـالم

وقد كنـتَ نادَمْـتَ الكثـيرَ فلـم تَجـد على حينَ عَضَّـتْ كُرْبَـةٌ مـن تُنـادِم

وقـد كانـتِ الزُّلفـى إليـكَ تَزاحُمـاً فأصْبَحَ في الزُّلْفى عليـكَ التـزاحمُ

ولم تُلْفِ لما استيقظ الخطـبُ واحـداً من المانحيـكَ الـوُدَّ والخَطـبُ نـائم

وأنـت عَضَـدْتَ المُلْـك يَـومَ بـدا لـه يُهـدِّدُهُ قَـرْنٌ مـن الشـرِّ نـاجم

تكَفَّلْتَـهُ مُسْتَعْصـماً بـك لائـذاً ولـيس لـه إلاكَ واللهُ عاصـم

ولم أرَ أقوى منكَ جأشـاً وقـد عـدَتْ عليـكَ العـوادي جَمَّـةً تـتراكم

وأُفرِدتَ مِثلَ السيفِ لاَ مِـنْ مُسـاعِدٍ سـوى ثِقَـةٍ بـالنفس أنـكَ صـارم

ولّما أتى أبى إلاّ التَّبَلُّجَ ناصعٌ ... من الحقِّ لم تقدِرْ عليهِ النمائم

ولم يَجِدِ الواشون للكيدِ مَطْمَعاً ... لديكَ ولم يَخْدِشْ مساعيك واصم

خرجْتَ خروجَ البدر غطَّتْ غمامةٌ ... عليه وسُرَّ المجدُ أنكَ سالم

فللتُّرْبِ أفواهٌ رمتْكَ بباطلٍ ... ولا سَلِمَتْ أشداقُها والغلاصم

وحُوشِيتَ عن أيّ اجترامٍ وإنما ... تُدَبَّرُ من خَلْفِ الستار الجرائم

***

وصَقرٍ تحامَتْهُ الصقورُ وراعَها ... من النظر الغضبانِ موتٌ مُداهم

لقد أحكمت منه الخوافي خؤولةٌ ... ومَتَّتْ إلى الأعمامِ منهُ القوادم

فتى "الحلةِ" الفَيْحاءِ شَدَّتْ عُروقَهُ ... بناتُ الفراتِ المنجِباتُ الكرائم

فجئن بأوفى من تُحَلُّ له الحُبا ... وأمتنَ مَنْ شُدَّتْ عليهِ الحيازم

وطيدَ الحجى لم تستجدّ له الرُّقى ... صغيراً، ولم تَعْلَقْ عليه التمائم

وداهيةٍ أعلى العراقَ بمجلسٍ ... تصافِحُهُ فيه دهاةٌ أعاظمُ

يُمثِّلُ شَعباً يستعدُّ لنهضةٍ ... يُرَدُّ عليها مجدُهُ المتقادم

وألطفُ ميزاتِ السياسيِّ أنّه ... أديبٌ بأسرارِ البلاغةِ عالم

يؤيّده ذهْنٌ خصيبٌ ومنطقٌ ... متينٌ كهُدّابِ الدِمَقْسِ وناعم

ورنانةٍ في المحْفِلِ الضَّخْمِ فذّةٍ ... تناقَلَها عن أصغريهِ التراجم

بعيدةُ مرمى مستفيضٍ بيانُها ... يجيءُ بها عفواً فتَدْوي العواصم

ومُحتمِلٍ للحقِّ مستأنسٍ به ... يُرَجّيهِ مظلومٌ ويَخشاهُ ظالم

يَسُدُّ طريقَ الخَصْمِ حتى يردَّهُ ... إلى واضحٍ منْ حُكمِهِ وَهْوَ راغم

وقد أرضتِ المظلومَ، والظلمُ مُغْضَبٌ مواقِفُـهُ المســتعلياتُ الحواســم

وإنَّ بــــلاداً أنجبتــــكَ ســــعيدةٌ وشــعباً تَسَــامى عِـزُّهُ بــكَ غــانم

بغداد، عام ١٩٣٣

أنغام الخطوب

ما أحوجَ الشاعرَ الشاكي لِمُغْضِبَةٍ ... وميزةُ الشاعرِ الحساسِ في الغضبِ
أما القوافي فأنغامٌ تُوَقِّعُها ... يدُ الخُطُوبِ إذا ما هيَّجَتْ عصبي
أصِخْ لتلحينِ روحي وهي ناقمةٌ ... فما يهزُّك لحنُ الروحِ إن تَطِب
شجتْك كربةُ أبياتٍ وجدتَ بها ... على كآبتها تفريجةَ الكُرَب

***

ثقافةُ الشَّعبِ قلْ لي أينَ تَنشدُها ... أفي الصحافةِ مُزْجاةً أم الكُتُب؟
هذي كما اندفعتْ عشواءُ خابطةً ... وتلك فيما حوت "حَمَّالةُ الحَطَب"
أما الشعورُ فإنّي ما ظَفِرْتُ به ... في مجلس العلمِ أو في مَحْفِلِ الأدب
لا ثورةُ النفسِ في الأشعارِ أَلْمُسُها ... إلا القليلَ ولا التأثيرُ في الخُطب
باكون ما حُرِّكتْ في النفسِ عاطفةٌ ... وضاحكون ولا شيءٌ من الطرب
مُسَخَّرونَ بما توحي الوحاةُ لهم ... كما تُهَزُّ دواليبٌ من الخشب
لو عالج المصلحون "الجوعَ" ما فَسدَتْ ... أوضاعُنا، هذه الفوضى من السَّغَب

***

شعبي وما أتوقّى من مُصارَحَةٍ ... عارٌ على يعربٍ كُلٌّ على العرب
ألهاهُ ماضيهِ عن تشييد حاضره ... وعن لُبابِ المساعي قِشْرَةُ النَّسَب
عِشنا على شرفِ الأجدادِ نَلصقُهُ ... بنا، كما عاش قُطاعٌ على السَّلَب
قامت تُرَوِّجُ آداباً عَفَتْ عُصَبٌ ... ما أبعدَ الأدبَ العالي عن العُصب

هُـزَّ القلـوبَ بإحسـاس تَفـيضُ بـه ... ثم ادعُ حتى صـخوراً صَـمَّةً تُجـب

شـانت أديبـاً وحطَّـتْ عالمـاً فَهِـماً ... مشـاحناتٌ عـلى الألقـابِ والرُّتَـب

قـالوا "أعِـدْ" لِرَكيـكٍ غـير مُنْسَـجِم ... لَوْ في يدي قلتُ عَدِّ القولَ وانسحب

حتـى صـديقٌ عـن التقليـدِ أرفَعُـهُ ... مُصاخِبٌ إذ سوادُ الناسِ في صَـخَب

دومـي قـوافيَّ طـولَ الـدَّهْرِ خالـدةً ... إنْ صـحَّ أنّـكِ أوتـادٌ مـن الـذهب

أوْ لا فبينـي أدالَ اللهُ مـن أثـرٍ ... تنـالُ منـه يـدُ الإعصـارِ والحِقَـب

بغداد، عام ١٩٣٤

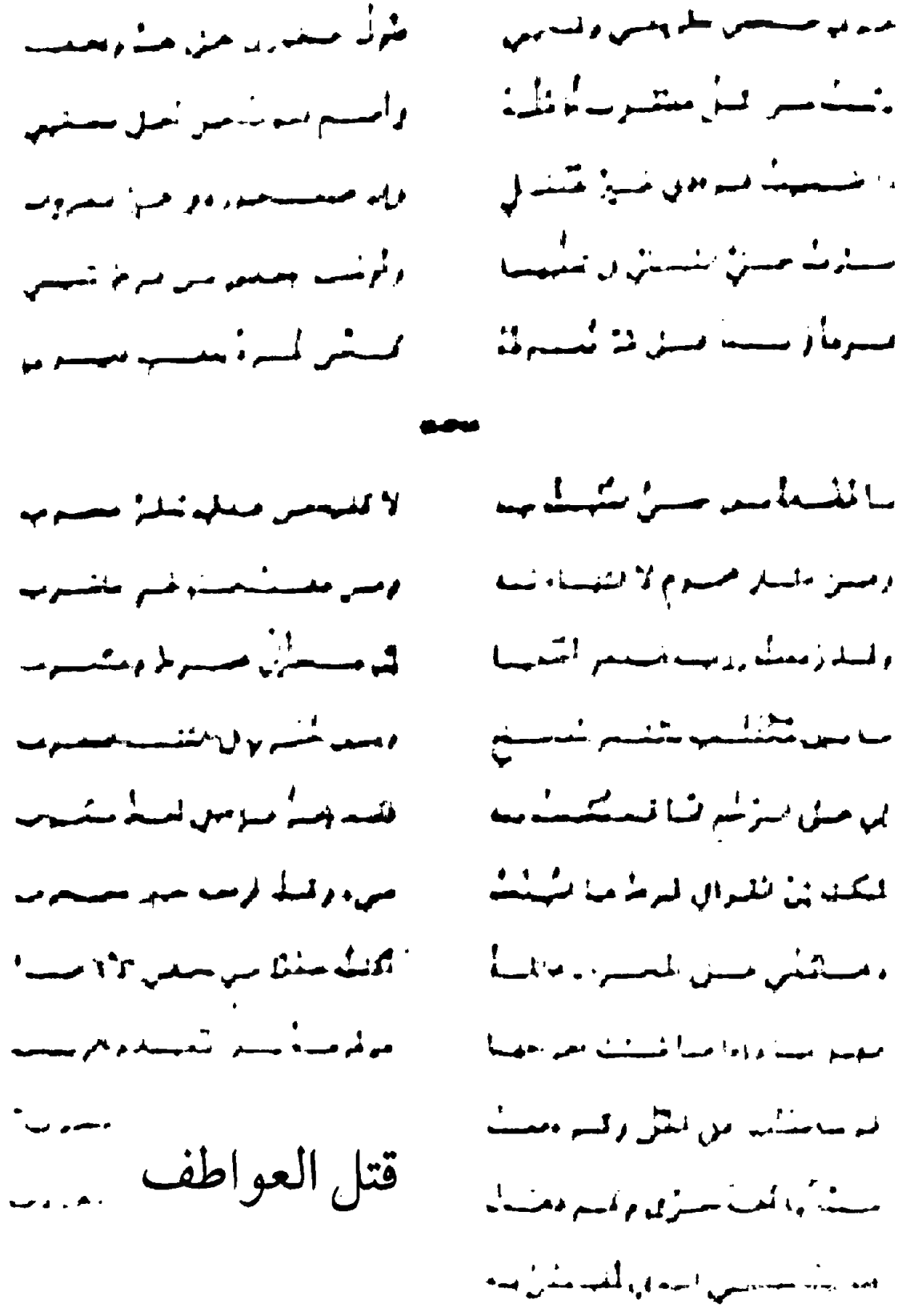

قتل العواطف

أغْـرى صَـحابي بتقريعـي وتـأنيبي ... طولُ اصطِباري عـلى هـمٍّ وتَعـذيبِ

أيِسْـتُ مـن كـلِّ مطلـوبٍ أُؤمِّلُـهُ ... وأصبحَ المـوتُ مـن أغـلى مطـاليبي

إذا اشـتهيتُ فـزادي غـيرُ مُحْتَمَـلٍ ... وإن ظَمِئْـتُ فـوِرْدي غـيرُ مشروب

جـارتْ عـليَّ الليـالي في تقلُّبِهـا ... وأوهَنَتْ جَلَـدي مـن فَـرْطِ تقليبي

عَـوداً وَ بَـدْءاً عـلى شرٍّ تُعـاوِدُهُ ... كـأنَّني كُـرةٌ لِلّعْـبِ تلهـو بي

***

يـا مُضْـغَةً بـينَ جنبـيَّ ابتُليـتُ بهـا ... لا كنتِ مـن هـدفٍ للشرِّ منصـوب

ومـن مثـارِ همـومٍ لا انتهـاءَ لـه ... ومـن مَصَـبِّ عنـاءٍ غـيرِ منضـوب

وقـد رَدَدتُ رزايـا الـدهرِ أجْمَعَهـا ... إلى سِـجلَّيْنِ محفـوظٍ ومكتـوب

مـا بـين مُكْتَشَـفٍ بالشـعرِ مُفْتَضَـحٍ ... وبـين مُخْتَـزَنٍ في القلـب محجـوب

إني عـلى الـرّغْمِ ممّـا قـد نُكبـتُ بـه ... فقـد يحـزُّ فـؤادي لفـظُ منكـوب

شكت إليَّ القـوافي فـرطَ مـا انتُبـذَتْ ... مني، وكنتُ أراهـا خَـيرَ مصـحوب

وعـاتَبتْني عـلى الهجـرانِ قائلـةً ... أكنتُ عِنْدَكَ مـن بعـضِ الألاعيـب!

تلهـو بهـا وإذا مـا شـئتَ تطْرَحُهـا ... موقوفـةً بـين تَبْعيـدٍ وتقريـب

كم ساعدَتْك على الجُلّى وكـم دَفَعَـتْ ... هواجساً عن فؤادٍ منـكَ "متعـوب"

سَـجَّلْتُها آهـةً حَـرّى وكـم ذهبَـتْ ... طيَّ الريـاحِ سُـدىً آهـاتُ مكـروب

فقلـتُ حسـبي الـذي ألهبـتكُنّ بـه ... من لاعجٍ في حنايا الصـدرِ مَشْبوب

ومن قوافٍ بذَوْبِ الدَّمْعِ نشأتُها ... ومن قصيدٍ لفرطِ الحُزْنِ منسوب

لو اكتسى الشعرُ لوناً لاقتصرتُ على ... شعرٍ بقاني نجيع القلبِ مخضوب

وما اشتِكائي إلى الأشعارِ من مَضَضٍ ... إلا شَكِيَّةُ محروبٍ لمحروب

إنّ الأديبَ وإنّ الشعرَ قَدْرُهُما ... مطرَّحٌ بين منبوذٍ ومسبوب

لم يبقَ مَنْ يستثيرُ الشِعْرُ نَخوتَهُ ... ومن يُحرِّكُهُ لُطْفُ التراكيب

أعلى مِنَ الشّعرِ عندَ القومِ منزلةً ... نَفْخُ البطونِ وتَطْريزُ الجلابيب

***

ورُبَّ قافيةٍ غرّاء قد ضَمِنَتْ ... أرَقَّ معنىً تَرَدّى خَيْرَ أُسْلُوب

من اللواتي تُغَذِّيهنَّ عاطفةٌ ... جياشةٌ بين تصعيدٍ وتصويب

هززتُ فيها نياطَ القلبِ فانتثرت ... بها شظايا فؤادٍ جدِّ مشعوب

رهنتُها عند فجِّ الطَّبْعِ محتقنٍ ... بغيرِ صُمِّ العوالي غيرِ مجذوب

ظننتُني صادقاً في ما ادَّعيتُ بها ... حتى انبرى لؤمُ جانيها لتكذيبي

أرخَصتُها وهي عِلْقٌ لا كِفاءَ لَهُ ... ورُحتُ أصْفِقُ فيها كفَّ مغلوب

تشكو اغتراباً لدى من ليسَ يَعْرِفُها ... كما شكَتْ طبع راميها بتغريب

عفواً فلولا اضطرارُ الحالِ يُلجئُني ... لكنتِ أنفسَ مَذخورٍ ومكسوب

قالوا استفدتَ من الأيام تَجربةً ... والموتُ أرْوَحُ من بعضِ التجاريب

تُعْفي الشدائدُ أقواماً بلا أدبٍ ... وتبتلي غيرَ مُحتاجٍ لتأديب

ما كان مِنْ قبلِها عُودي بذي خَوَرٍ ... للعاجينَ ولا قلبي بمرعوب

ولا ذُعِرْتُ لشرٍّ غيرِ مُنتَظَرٍ ... ولا نزفتُ لخيرٍ غيرِ محسوب

يا خيرَ موهبةٍ تزكو النفوسُ بها ... بعداً فإنك عندي شرُّ موهوب

يُرضِي الفتى عَيْشُهُ ما دام يَغْمُرُهُ ... بالطيِّبات ويُغريهِ بتحبيب

حتى إذا رَمَتِ الويلاتُ نِعمَتَهُ ... ونَغَّصَتْها بتقويض وتخريب

سمَّى مُعاكسةَ الأيامِ تَجْرِبَةً ... وراح يخْدَعُ نَفْساً بالأكاذيب

والعيشُ بالجهلِ أو بالحلمِ إن خَبُثَتْ ... مِنهُ الحواشي فشيءٌ غيرُ محبوب

بغداد، عام ١٩٣٤

ليلة معها

لا أكـــذِبنَّكِ إنّنـــي بَشَـــرٌ ... جَـــمُّ المســـاوي آثِـــمٌ أشِرُ

لا الحـــبُّ ظمآنـــاً يُطـــامِنُ مِـــنْ ... نفسـي ولـــيس رفيقـــيَ النظـــر

ولكـــم بَصُـرْتُ بـــما أضـــيقُ بـــه ... فـــودِدْتُ أنّي لـــيس لي بصـــر

أو أننـــي حجـــرٌ وربَّـــتَما ... قـــد بـــات أرْوَحَ منّـــيَ الحَجَـــر

لا الشـــيءُ يُعْجِبُـــهُ فَيُمْنَعُـــهُ ... فـــإذا عـــداه فكلّـــه ضَـــجَر

ولكـــم ظَفِـــرْتُ بـــما بصـرتُ بـــه ... فحَمِـــدْتُ مـــرأى بعـــدَهُ ظفـــرَ

شـــفتاي مُطْبَقَتـــانِ ســـيدتي ... والخُـــبْرُ في العينـــينِ والخَـــبَر

فاستشـــهِدي النظـــراتِ جاحِمَـــةً ... حمـــراءَ لا تُبْقـــي ولا تَـــذر

ولرغبـــة في الـــنفس حـــائرة ... مكبوتـــة يتطـــايرُ الشـــرر

إنّـــا كِلينـــا عارفـــان بـــما ... حَـــوَتِ الثيـــابُ وضَـــمَّتِ الأزر

وبنـــا ســـواءً لا حيـــاءَ بنـــا ... الجـــذوةُ الخرســـاءُ تســـتعر

فعـــلى مَ تَجتهـــدينَ مُرْغَمَـــةً ... أنْ تَسْـــتري مـــا لـــيس يَنْسَـــتِر

***

كـذب المنـافقُ، لا اصـطبارَ عـلى ... قـــدٌّ كَقَـــدّكِ حـــينَ يُهْتَصَـــر

ومُغَفَّـــلٌ مـــن راح يُقْنِعُـــهُ ... منـك الحـديثُ الحلـوُ والسَّـمر

يُـوهي الحِجـى ويُـذيبُ كـلَّ تُقَـىً ... مَـــن مدَّعيـــهِ شـــبابُكِ النَّضِـــر

ويَـــرُدُّ حُلـــمَ الحـــالمين عـــلى ... أعقابِـــهِ التفتـــيرُ والخَفَـــر

الـــنَّفْسُ شـــامخةٌ إذا سَـــعُدَتْ بـــكِ ســـاعةً والكـــونُ مُحْتَقَـــر

وفـداءُ "محتضَـــنٍ" ســمحتِ بـــه مـــا تَفجـــع الأحـــداثُ والغِـــيَر

حلـــمٌ أخـــو اللـــذاتِ مفتقـــدٌ أمثالَـــــهُ و إليـــــه مُفْتقِـــــر

وســـــويعةٌ لا أســـــتطيعُ لهـــا وصـــفاً فـــلا أمْـــنٌ ولا حَـــذَر

***

يـــدُها بناصـــيتي ومـــحْزَمُها بيـــــدي، فمُنتَصِـــرٌ ومُنـــــدَحِر

فلـــئن غَلَبْـــتُ فَخـــيْرُ متَّسَـــدٌ للشـــاعرِ الأعكـــانُ والسُّـــرَر

ولـــئن غُلِبْـــتُ فغـــالبي مَلَـــكٌ زاهٍ بـــــه المغلـــــوبُ يَفْتخـــــر

لا شـــامتٌ إنْ قُـــدْرةٌ عَرَضـــتْ بـــل صـــافحٌ عنـــي ومُغْتفِـــر

أمســـكت "نهـــدَيها" وأحسَـــبُني أشْـــفقْتُ أن تَتَـــدَحرجَ الأُكَـــر

عنـــدي مـــنِ اســـتمتاعةٍ صُـــوَرٌ ومِـــنَ التغَـــنُّجِ عنـــدَها صُـــوَر

قالـــت وقـــد باتَـــتْ تطـــاوعُني فـــــيما أُكَلِّفُهـــــا وتـــــأتَمِر

أمعانيـــاً حاولـــتَ تَنْظِمُهـــا تختـــارُ مـــا تَهْـــوى وتَبْتكِـــر

***

إنّي وردتُ "الحـــوضَ" ممتلئـــاً "شَـــهْداً" يفـــوحُ أريجُـــهُ العَطِـــر

ولقـــد صَـــدَرتُ ولـــيس بي ظَمَـــأٌ للهِ ذاكَ الـــــوِرْدُ والصَّـــــدَر

وإذا صَـــــدقتُ فإنـــــه بـــــدَنٌ لأطايـــــب اللـــــذّات مُخْتَـــبَر

يـــا زهـــرةً في رَيْعهـــا قُطِفَـــتْ ... كـــأرقِّ مـــا يَتَفَتَّـــقُ الزَّهَـــر

نِعْـــمَ القضـــاءُ قضى بمُرْتشَـــفٍ ... لي مـــن "لَمـــاك" وحبّـــذا القَـــدَر

مـــا إنْ أخَصِّـــصُ منـــكِ جارحـــةً ... كـــلُّ الجـــوارحِ منـــكِ لي وَطَـــر

يُـــزْري بفلســـــفةٍ مُطوَّلـــــةٍ ... والعلـــم شيءٌ فيـــك "مُختَصَـــر"

و"مُعبَّـــدٍ" لم يَبْـــلُ مَنهجَـــه ... بالسَّـــالكيه، ولم يَلُـــحْ أثـــر

إني لآسَـــفُ أن يجـــورَ عـــلى ... خـــدَّيكِ خـــدٌّ كلُّـــهُ شَـــعَر

وعـــلى إهـــابٍ منـــكِ ممـــتلىءٍ ... مَرَحـــاً إهـــابٌ مِلْـــؤُهُ كَـــدَر

هـــذا الحريـــرُ الغَـــضُّ مَلْمَسُـــهُ ... حَيْـــفٌ يُخَـــدِّشُ جَنْبَـــهُ الـــوبَر

***

عينـــي فِـــدى قَـــدَميْكِ ســـيّدَتي ... عينـــاكِ قـــد أضـــناهُما السَّـــهَر

لا أكتفـــي بـــالروحِ أُزْهِقُهـــا ... عُـــذراً إليـــك فكيـــف أعتـــذر

قلـــبٌ تجمَّعَـــتِ الهُمُـــومُ بـــه ... نَفَّسْـــتِ عنـــه فهـــو مُزْدَهِـــر

ضَـــنَكُ المنافـــذِ لا مكـــانَ بـــه ... لِمَسَـــرَّةٍ و اليـــــومَ ينتشـــر

لَـــوْ لم تُحِلِّيـــهِ عـــلى ســـعةٍ ... مـــن رُحْـــبِ صـــدرِكِ كـــانَ يَنْفَجِـــر

سَـــحَرٌ زمـــاني كلُّـــهُ هَـــوىً ... ليـــلٍ بقربـــك كلُّـــه سَـــحَر

وأرى ليـــاليَّ الطِـــوالَ بهـــا ... شَـــبَهٌ ففـــي ســـاعاتِها قِصَـــر

بغداد، عام ١٩٣٤

عقابيـل داء

نظمها الشاعر وهو مدرس في ثانوية النجف.

عقابيـــلُ داءٍ مـــا هُـــنَّ مطبِّـــبُ ... ووضـعٌ تغشَّـاهُ الخَنَـا والتَذَبْـذُبُ[1]

ومملكـــةٌ رهـــنُ المشـــيئاتِ أمرُهـــا ... وأنظمـــةٌ يُلهـــى بهـــنَّ ويُلْعَـــب

وناهيـكِ مِـن وضـعٍ يعـيشُ بظلّـه ... كـما يَتمَنّـى مَـن يخـونُ ويكـذِب

أقـرَّ عـلى الضـيمِ الشـبابُ فلـم يَثُـرْ ... وأخلدَ لا يُسدي النصـيحةَ أشـيب

كـأنْ لم يكـنْ في الرافـدينَ مُغـامِرٌ ... وحتـى كـأنْ لم يبـقَ فيـه مجـرِّب

أعُقْـماً وأمَّـاتُ الـبلادِ وَلـودةً ... وإنـك يـا أمَّ الفـراتينِ أنجـب

وما انفكَّ يُزهى منكِ في الصيِّدِ أصيدٌ ... ويَلْمَـعُ في الغُلْـبِ الميـامينِ أغلـب

إذا قيـلَ مِـنْ أرض العـراق تطلَّعَـتْ ... عيـونٌ لـه وانهـالَ أهـلٌ ومَرْحَـب

يُحَكَّـمُ في الجُـلّى أغـرُّ مُشَـهَّرٌ ... ويُحتاجُ في البلوى عـذيقٌ مرَجَّـب[2]

فـما لـكِ لا بـينَ السـواعدِ سـاعدٌ ... يُحَـسُّ ولا بـينَ المناكِـبِ مَنكِـب

***

تنـادتْ بويـلٍ في ديـاركِ بومـةٌ ... وأعلـنَ نحسـاً في سـماكِ مُـذَنَّب[3]

وأُلبِسْت مـن جَـورٍ وهضـمٍ ملابسـاً ... أخو العزِّ عنها وهو عريانُ يرغـب

---

[1] العقابيل: بقايا العلة والمرض.

[2] العذيق المرجب: العذق من النخل يوضع حوله ومن أطراف النخلة التي تحمله ما يحميه ويمنعه وقد استعمله العرب في كناياتها عن العز والمنعة ومنه المثل المشهور: "أنا جبلها المحكك وعذيقها المرجب".

[3] يراد بالمذنب هنا الإشارة إلى ما كانت – وماتزال– تتطير العرب منه وهو ظهور النجوم المذنبة في السماء قارنة بحدوث شر عظيم.

***

تكـاثرتِ الأقـوالُ حَقّـاً وبـاطلاً ... وقالَ مقالَ الصدقِ جلْـفٌ مُكَـذَّب

وشُـكِّكَ فـيما تدَّعيـهِ تظنّيـاً ... ولـو أنّـه شـحمُ الفـؤادِ المـذَوَّب

وبـاتَ سـواءٌ مـن يثـورُ فيغـتلي ... حماسـاً ومـن يلهـو مُزاحـاً فيلعـب

فـما لـكَ مـن أمـرينِ بُـدٌّ وإنـما ... أخفُّهـما الشـرُّ الـذي تَتَجنّـب

سكوتٍ على جمرِ الغضا مـن فضـائحٍ ... تُمَثَّـلُ أو قـولٍ عليـه تُعَـذَّب

***

تحفَّـتْ أُبـاةٌ حـين لم يُلْـفَ مركـبٌ ... نزيهٌ إلى قصـدٍ مـن العـيشِ يُركـب

فـلا العلـمُ مرجـوٌّ ولا الفَهـمُ نـافعٌ ... ولا ضامنٌ عـيشَ الأديـبِ التـأدُّب

ومُـدَّخَرٌ سـوطٌ العـذابِ لنـاهضٍ ... ومُـدَّخَرٌ للخامـلِ الغِـرّ مَنْصِـب

أقـولُ لمرعـوبٍ أضـلَّ صـوابَه ... تـردّي دسـاتيرٍ تُضـلُّ وتُرعِـب:

ألا إنَّ وضـع النَّهْـي والأمـرِ عنـدَنا ... غريبٌ وأهلُ النهي والأمـرِ أغـرب

تـداولَ هـذا الحُكْـمَ نـاسٌ لـوَ أنَّهـم ... أرادُوهُ طيفـاً في منـامٍ لخُيِّبـوا

ودعْ عنـكَ تفصـيلاً لشَـتّى وسـائلٍ ... بهـا مُلِّكـوا هـذي الرقـابَ وقُرِّبـوا

فأيسَـرُها أنْ قـد أُطيـلَ امتهـانُهم ... إلى أنْ أدَرُّوا ضَرعَهـا وتحَلَّبـوا[1]

---

[1] أصل البيت: فأيسرها أن قد تحلب عرضهم.. ولكن السلطة آنذاك اعترضت على نشر الديوان بتنبيه من "حسين الرحال" الذي كان يعمل في دائرة المطبوعات، ثم انتهى الخلاف بتغيير هذا الشطر. ويعود الفضل في ذلك إلى "ابراهيم حلمي العمر" مدير المطبوعات.

وأعجبُ ما قد خلَّفَتْهُ حوادثٌ ... قليلٌ على أمثالهنَّ التَّعَجّب

سكونٌ تَغَشّى ثائرينَ عليهمُ ... يُعَوَّلُ إنْ خطبٌ تجرَّمَ أخْطب[1]

عِتابٌ يخُزُّ النفسَ وقعاً وإنه ... لأنزهُ من صَوبِ الغوادي وأطيب

عليكُمْ لأنَّ القصدَ بالقولِ أنتمُ ... وليسَ على كل المسيئينَ يُعتب

هَبوا أنَّ أقواماً أماتَ نفوسَهُم ... وألهاهُمُ غُنْمٌ شهيٌّ ومَكسَب

قصورٌ وأريافٌ يَلذُّونَ ظِلَّها ... وجاهٌ وأموالٌ ومَوطئ ومَركب

يخافون أن يشقوا بها فيؤاخذوا ... إذا كشفوا عما يرون وأعربوا

فما بالُ محروبينَ لم يحلُ مَطعمٌ ... لهُم، فيُلَهيهمْ، ولم يصفُ مَشْرَب[2]

خَلِيّينَ لا قُربى فيُخْشَى انتقاصُها ... لديهمُ، ولا مالٌ يُبَزُّ فيُسْلَب

سلاحُ البلادِ المرهفُ الحدِّ ما له ... نَبا منهُ في يومِ التَّصادُم مَضْرَب؟

على أنني إذ أوسِعُ الأمرَ خِبْرَةً ... يلوحُ ليَ العذرُ الصحيح فأصْحِب[3]

همُ القومُ نِعم القومُ لكنْ عراهُمُ ... ذهولٌ به تُصْبى الغَيَارى وتُخْلَب

تَغَوَّلَ منهم حزمَهُم إلْبُ دهرِهم ... عليهم وقد يُوهي القويَّ التألُّب[4]

وكلّ شُجاعٍ عاونَ الدهرَ ضدَّه ... مرّجيهم فهو المضامُ المغلَّب

---

[1] تجرم: اعتدى وتهجم.

[2] المحروب: من سلب ماله واعتدي على حقوقه.

[3] أصحب: انقاد بعد صعوبة.

[4] تغوله: أضاعه وأضله، والألب والتألب التجمع والتحشد

قليلــونَ في حــينِ الرزايــا كثــيرةٌ ... وطيدونَ في حـينِ الأسـاليبُ قُلَّـب

جريئــونَ لكــنْ للجَــراءةِ موضــعٌ ... وعاقبــةٌ، إنَّ العواقــبَ تُحْسَــب

يلاقــون أرزاءً يَشُــقّ احتمالُهــا ... ولــيس بميســورٍ عليهــا التَّغَلّب

فهــاهمْ كمَــنْ سُــدَّ الطريــقُ أمامَــه ... وضــلَّله داجٍ مــن الليــلِ غَيْهَــب

عــلى أنهــم لا يهتــدُون بكوكــبٍ ... وقد يُرشِدُ الحيرانَ في اللَّيل كوكب

***

إلى الأمــم الــلّاتي استَتَمَّتْ وُثُوبَهــا ... تَشَــكَّى اهتِضــاماً أمــةٌ تَتَوثــب

إذا خَلَصَتْ مِــنْ عَثْــرةٍ طوَّحــتْ بهــا ... عَواثر مَن يُؤخذ بهــا فهْــو مُحْرَب[1]

وإنْ فاتَهــا وحــشٌ صَــليبٌ فــؤادُهُ ... تَعَرَّضَ وحشٌ منه أقسى وأصلَب

يُعــينُ سِياســياً عليهــا تفــرُّقٌ ... ويَنصُــرُ رَجعيّــاً عليهــا تَعصّــب

أُريــدَ لهــا وجــهٌ يُزيــلُ قُطوبَهــا ... فزِيــدَ بهــا وجــهٌ أغــمُّ مُقَطِّــب[2]

وربّــتما لاحــت عــلى السـنِّ ضِــحكةٌ ... له تنفُثُ السُّمَّ الزعــافَ وتَلسِــب[3]

يُــرى أبــداً ريَّــانَ بالحِقْــدِ صَــدرُهُ ... كما شالَ لِلَّــذْعِ، الــذَّنابَين عَقــرب[4]

---

[1] مُحْرَب: يقصد محروب مسلوب ماله أو حقه.

[2] القطوب: الغضب والتجهم، والأغم في الأصل الليل الشديد السواد أو السحاب المتلبد وهو هنا للوجه الذي تعلوه الغمة والجهمة.

[3] الزعاف: السم القاتل و"تلسب" وتلصب أيضاً: تلدغ وتلسع.

[4] الذنابين مثنى "ذناب" مؤخر الشيء وعقبه وذناباً العقرب مغرز السم في شوكتيها.

وتلك من المُستَحدثِ الحُكمِ عادةٌ ... يَرى فُرصةٌ منه اقتداراً فيضرِب

وما جِئتُ أهجوهُ فلمْ يبقَ مَوضعٌ ... نَزيهٌ له بالهجو يُؤتى فيُثْلَب

ولكنه وصفٌ صَحيحٌ مُطابقٌ ... يجيءُ به رائي عِيانٍ مُجرَّب

تُشَرَّدُ سُكانٌ لسُكنى طوارئ ... وتُؤخَذُ أرضٌ من ذويها فتُوهَب

ووالله لولا أنّ شَعباً مُغَلباً ... يُلَزُّ بقَرنيهِ كمِعزى ويُحلَب[1]

لما عَبِثَتْ فيه أكُفٌّ جَذيمةٌ ... ولمْ يَعلُهُ هذا الهجينُ المهلَّب[2]

ولكن رَضُوا من حُبّهمْ لبلادِهمْ ... بأنَّهمُ يَبكُونها حينَ تُنكَب

فيا لَكَ مِن وضعٍ تعاضَلَ داؤهُ ... تُشاطُ له نَفْسُ الأبيِّ وتُلْهَب

ولله تَبريحُ الغَيارى بحالةٍ، ... كما يشتهيها أشعبيٌّ، تُقَلَّب

يُنَفَّذُ ما تَبغي وتنهى "عقائلٌ" ... وتَعزِلُ فينا "غانياتٌ" وتَنصِب

كأندلُسٍ لَمّا تَدَهْوَرَ مُلْكُها ... مُكنّى جُزافاً عِندنا ومُلَقَّب

ورُبَّ وسام فوقَ صدرٍ لوَ انهُ ... يُجازى بحقٍّ كانَ بالنعلِ يُضرَب

نشا ربُّهُ بينَ المخازي وراقهُ ... وسامٌ عليها فهو بالخزي مُعْجَب

***

أفي كلِّ يومٍ في العراقِ مؤمَّرٌ ... غريبٌ به لا الأمُّ منه ولا الأب[3]

---

[1] يلز: بمعنى يشد ويربط.

[2] الجذيمة: المقطوعة. والهجين: غير كريم الأم واللئيم أيضاً والمهلب المطعون فيه والمذموم.

[3] المقصود بالمؤمر الملك فيصل الأول.

ولم يُـرَ ذا بَطْـشٍ شَـديدٍ وغِلظـةٍ ... عـلى بلَـدٍ إلاّ البعيـدُ المُجنَّـب

أكـلُّ بَغـيضٍ يُثقِـل الأرضَ ظِلُّـهُ ... وتأبـاه يُجبـى للعـراقِ ويُجْلَـب

وحُجَّـتُهم أنْ كـانَ فـيما مضى لنـا ... أبٌ، اسـمُهُ عنـدَ التـواريخِ يَعْـرُب

عِـدادَ الحَصـى أبنـاؤهُ ولِكُلِّهـمْ ... مَجـالٌ ومَلهَـى في العـراقين طَيِّـب

وقـد أصـبحوا أولى بنـا مـن نُفُوسِـنا ... لأنَّهُـمُ أرحامُنـا حـينَ نُنْسَـب

فأمَّـا بَنُـوه الأقربـونَ فـما لهـمْ ... نصيبٌ بـه إلاّ مُشـاشٌ وطُحْلـب[1]

فيـا أيُّهـا التـاريخُ فـارفُضْ مَهـازلاً ... سَترْفُضـها أقلامُنـا حـين تُكتَـب

وقُـلْ إنَّنـي أُودعـتُ شـتّى غَرائـب ... ولا مثلَ هذي فهـي مـنهُنَّ أغـرَب

بغداد، عام ١٩٣٤

---

[1] المشاش: أطراف العظام جمع مشاشة، والطحلب ما يعلو الغدران من علق أخضر.

الذكرى (دمعة تثيرها الكمان)

يـــا مســـتثيراً دمعـــةً صَـــمدَتْ ... لطـــوارىءِ الـــدُّنيا فلـــم تَثُـــرِ

إنَّ التـــي صَـــعُبَتْ رياضـــتُها ... أنزلتهـــا قســـراً عـــلى قَـــدَر

وأسَـــلْتها وهـــي التـــي عَجَـــزَتْ ... عـــن أنْ تُســـيلَ فـــوادحَ الغِـــيَر

ردَّت نـــداءَ كـــوارثٍ عَظُمَـــتْ ... ودعـــا فلبَّـــتْ مَنْطِـــقَ الـــوَتَر

هـــل عنـــدَ أنْمُلَـــةٍ تُحَرِّكُهـــا ... بـــاللطفِ أنَّ الـــدمعَ بـــالأثر

وهـــل الـــدموعُ ودفعُهـــا وطَـــرٌ ... للنـــاسِ تَـــذْري أنهـــا وطـــري

مـــا انفكَّـــتِ البلـــوى تُضـــايقُني ... حتـــى شَرِبْـــتُ النفـــعَ بالضـــرر

وَ وَجَـــدْتُني بالـــدمعِ مُبتهِجـــاً ... مثـــلَ ابتهـــاجِ الـــزرع بـــالمطر

***

غطّـــى العيـــونَ فلـــم تَجِـــدْ نَظَـــراً ... دمـــعٌ أعـــزُّ عـــليّ مـــن نَظِـــري

يـــا دمعـــةً غـــراءَ غاليـــةً ... يَفْـــديكِ مـــا عنـــدي مـــن الغُـــرَر

مـــن قـــابلاتِ حكـــمَ مُنْتَقِـــدٍ ... وشـــجارَ مفتَخِـــرٍ ومحتَقِـــر

لغـــةُ العواطـــفِ جـــلَّ مَنْطِقُهـــا ... عـــن أنْ يُقـــاسَ بمنطـــقِ البشَـــر

فتّشـــتُ عنـــكِ فلـــم أجِـــدْ أثـــراً ... حتـــى ظننـــتُ العـــينَ مـــن حجـــر

وَ مَرَيـــتُ جَفْنـــي مَـــرْيَ ذي ثِقَـــةٍ ... ورَجَعـــتُ عنـــكِ رجـــوعَ مُنْـــدَحِر

وغـــدوتُ أحْسُـــدُ كـــلَّ مكتئـــبٍ ... ذي محجـــرٍ بالـــدمع مُنْفَجِـــر

كـــم أزمـــةٍ لـــو كنـــتِ حـــاضرةً ... فَرَّجْتِهـــا بمَســـيلِك العَطِـــرِ

لـو كنـتِ عنـدي مـا ثَقلـتُ عـلى ... كـأس الشـراب ومجلـسِ السَّـمر

لغسـلتُ جَفْنـاً راح مـن ظمـإٍ ... مُتلَهِّبـاً مُتطـايرَ الشَّـرر

أنـا بانتظـارِك كـلَّ آونـةٍ ... علـماً بـأنَّ الحـزنَ مُنتَظِـري

طـال احتباسُـكِ بـين مُحتنَقَـي ... ومحـاجري، والآنَ فانحـدري

كنـتِ الأمينـةَ في مخابِئِهـا ... وأراكِ بعـدَ اليـومِ في خطَـر

وإذا امتنعـتِ عـليَّ فـاقتنعي ... أنَّ "الكمنجـةَ" خـيرُ مُعْتَصِـر

سـيلي فـلا تُبقـي عـلى غُصَـصٍ ... رانـتْ عـلى قلبـي ولا تَـذَري

واستصـحبِي جَزَعـاً يلائِمُنـي ... وخـذي اصـطباري أخـذ مُقْتَـدِر

فلقـد أضرَّ بسَـحنتي جَلَـدِي ... فملامحـي تُـربي عـلى عُمُـري

كـم في انكسـار القلـب مـن حِكَـمٍ ... لا عـاشَ قَلْـبٌ غَـيرُ مُنكَسِـر

هـذي الطبـائعُ لا يُطهِّرُهـا ... مثـلُ اصـطلاءِ الهـمِّ والكـدر

وَ لَـرُبَّ نفـسٍ بـان رَوْنَقُهـا ... جـراءَ حُـزْنٍ غَـيرِ مُنتَظَـر

***

مُـسَّ الكمنجـةَ يَنْبَعِـثْ نَفَـسٌ ... يمتـدُّ في أنفـاسِ مُحْتَضَـر

في طـوعِ كفّـكَ بَعْـثُ عـاطفتي ... وخلاصُـها مـن رِبقـةِ الضّـجر

وإزاحتـي عـن عـالَمٍ قَـذِرٍ ... نَحْـسٍ لآخـرَ زاهـرٍ نَضِـر

بالسـمعِ يَفْـدي المـرءُ نـاظِرَهُ ... وأنـا فـديتُ السَّـمْعَ بالبصـر

يـا قلـبُ – والنسـيانُ مَضْـيَعَةٌ – هـــذا أوانُ الـــذِّكْر فـــادَّكِر

هـــذي تواقيـــعٌ مُحَلِّقَـــةٌ بـــكَ في ســـماءِ تَخَيُّـــلٍ فَطِـــر

واســـتعرضِ الأيـــامَ حافلـــةً مكتظَّـــةً بِتَبـــايُنِ الصُّـــوَر

أذْكُـــر مســـامَرةً ومُجْتَمَعـــاً مـــزدانتين بقُبْلَـــةِ الحَـــذَر

مطبـــوعَتين بقلـــبٍ مُثريـــةٍ بالمغريـــات وقلـــبٍ مُفْتَقِـــر

مُتفـــاهمينِ فـــما بنـــا وَجَـــلٌ لوقـــوعِ ذنـــبٍ غـــيرِ مُغتَفَـــر

أذْكُـــرْ تَوَسُّـــدَها ثنيَّتَهـــا وســـنانةً محلولـــةَ الشـــعَر

معســـولةَ الأحـــلامِ ذاهبـــةً بِخيالِهـــا لمـــدارجِ الصِّـــغَر

أذْكُـــر يـــداً مـــرّتْ عـــلى بَـــدَنٍ هـــي منـــهُ حتـــى الآن في خَـــدَر

وزيـــارةً والـــنَّفْسُ آمنـــةٌ وزيـــارةً والـــنفسُ في ذُعُـــر

ولُيَيْلَـــةً بيضـــاءَ خالـــدةً منهـــا عرفـــت لذائـــذَ الســـحَر

ثـــم اعطِـــفِ الـــذِّكْرَى إلى جهـــةٍ أُخـــرى تُـــرَعْ بعـــوالمٍ أُخَـــر

تُـــذْهَلْ لمغتصَـــبٍ عـــلى مَضـــض أمســـى يُقَلِّـــبُ في يَـــدَيْ أشِر

بَـــدَنٌ بـــلا قلـــبٍ لـــدى أثَـــرِ عـــاتٍ عـــلى الشَّـــهواتِ مُقْتَصِـــر

ثمـــرٌ بـــلا ظـــلٍّ لـــديكَ كـــما في أسرِهِ ظِـــلٌّ بـــلا ثمـــر

كـــم مثـــلِ قلبِـــكَ ذاهـــبٌ هـــدَراً لـــتحكُّماتِ الـــدين في البشـــر

بغداد، عام ١٩٣٤

سكتُّ وصدري فيه للقلى مراحلُ ... وبعضُ سكوتِ المرءِ تقصيرٌ قاتلُ

وبعضُ سكوتِ المرءِ هادٌ وعُجنةٌ ... تُغضبُ من حرّاهُ وتُجالُ

ولا عجبٌ أن يُخرِسَ الوضعُ ناطقاً ... بل عجبٌ أن يُلهِمَ القولَ قائلُ

جزى اللهُ والشعرُ المجوّدُ نسجُهُ ... يُعكّدُ ما تُجزى لئامٌ لوائلُ

مُخامِرَ غدرٍ طوّحتْ بي وهودُهُ ... فقرّرتُ وانتفتْ عنّي الحبائلُ

وكنتُ امرأً في عاجلٍ فيه بُلغةٌ ... بدادٌ ومرجوٌّ من الخيرِ آجلُ

وخبّأ أمينَ الرِّبِّ محمودَ نعمةٍ ... تُرِفُّ على حلمي منها مباذلُ

فغُودرتُ منها في عراءٍ تُلفّني ... مغاورُ لا أعيادُها وتجاهلُ

شموخٌ إلى الحتفِ المدبّرِ قادني ... وقد يُزهقُ النفسَ تطرحُ المعاملُ

***

كرهتُ مداجاةً فرّحتُ مشاهداً ... ولم يُجدِ لي شفٌّ فرّحتُ أجاملُ

وأغرقتُ في إطراءِ من لا أهابُهُ ... وساجلتُ بالتقريعِ من لا يُساجلُ

وأصحرتُ عن قلبي فكان تكالبٌ ... عليّ لأصحوري وكان تواغلُ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثـورة النفـس

سكتُّ وصَدري فيه تغلي مَراجلُ ... وبعضُ سُكوتِ المرءِ للمرءِ قاتلُ

وبعضُ سكوتِ المرءِ عارٌ وهُجْنَةٌ ... يُحاسَبُ من جرَّاهُما ويُجادَل

ولا عَجَبٌ أن يُخْرِسَ الوضعُ ناطقاً ... بلى عجَبٌ أنْ يُلْهَمَ القولَ قائل

جزى اللهُ والشعرُ المجوَّدُ نَسْجُهُ ... بأنكدِ ما تُجزَى لئامٌ أراذل

مُحامِرَ غدرٍ طوَّحَتْ بي وعودُهُ ... فغُرِّرْتُ والتفَّتْ عليَّ الحبائل

وكنتُ امرَءاً لي عاجلٌ فيه بُلْغَةٌ ... سِدادٌ، ومرجُوٌّ من الخير آجل[1]

رخيّاً أمينَ السربِ، محسودَ نِعمةٍ ... تَرِفُّ على جَنبَيَّ منها مباذل[2]

فغُودرتُ منها في عَراءٍ تَلُفُّني ... مَفاوِزُ لا أعتادُها وتجاهل

طُموحٌ إلى الحتفِ المدبِّر قادني ... وقد يُزهِقُ النفسَ الطُموحُ المُعاجل

***

كَرِهْتُ مداجاةً فرُحْتُ مشاغباً ... ولم يُجدِني شَغْبٌ فَرُحْتُ أُجامل[3]

وأغرَقْتُ في إطراءِ من لا أهابُه ... وساجلتُ بالتقريع من لا يُساجَل

وأصْحَرْتُ عن قلبي فكان تكالُبٌ ... عليّ لإصحاري وكان تواكُل[4]

---

[1] أي: لايملك في عاجلة إلا ما يسد رمقه.

[2] مباذل: جمع مبذلة: الثوب الخلَق بفتح الخاء واللام.

[3] في طبعة وزارة الثقافة والإرشاد السورية (٣/ ٤٣٤):

كرهت مداجاةً فرحتُ مصارحاً ... ولم يجدني نفعاً فرحتُ أجامل

[4] أصحرت عن قلبي: كشفت عنه.

نــزولاً عــلى حُكْــم وحِفظــاً لغايــة ... يكــون وســيطاً بيــنهنّ التعــادل

ومــا خِلْتُنــي عِبئــاً علــيهم وأنهــمْ ... يريــدون أن يُجْتَــثَّ مــتنٌ وكاهــل

ولمــا بــدا لي أنــه سُــدَّ مَخــرَجٌ ... وقد أُرْتجَ البابُ الـذي أنـا داخـل

وأجلَـتْ صـدورٌ عـن قلـوبٍ خبيثـة ... ولاحت من الغـدرِ الصريحِ مخايـل

رَجَعــت لعُــشٍّ مُــوحشٍ أقبلــتْ بــه ... عــليّ الهمــومُ الموحشــاتُ القواتــل

وكنــتُ كعُصــفورٍ وديــعٍ تحاملــت ... عليه من الستِّ الجهـاتِ أجـادِل[1]

ورَوَّضْــتُ بــالتوطينِ نفســاً غريبــةً ... تــراني ومــا تبغيــه لا تَتَشــاكل

وقلــتُ لهــا صــبراً وإن كــان وطــؤُه ... ثقيلاً، ولكن ليس في الحـزن طائـل

وَكَظْــمُ الفتــى غيظــاً عــلى مايســوؤه ... مــن الأمــر دربٌ عبَّدتــه الأماثــل

ولَلْعقــلُ مــن معنــى العقــالِ اشــتقاقهُ ... إذا اقتِيــدَ إنســانٌ بــه فهــو عاقــل

وكنــتُ ودعــوايَ احــتمالاً كفاقــدٍ ... حُســاماً وقــد رَفَّــت عليــه الحمائـل

حبســتُ لســاني بــين شِــدْقَيَّ مُــرْغَماً ... عــلى أنــه مــاضي الشَّــبا إذ يناضــل

وعهــدي بــه لا يُرســلُ القــولَ واهنــاً ... ولا في بيــانٍ عــن مُــرادٍ يعاضــل

وبينــي وبــينَ الشِــعرِ عهــدٌ نكثتُــهُ ... ورَثّــت حبــالٌ أُحكِمَــتْ ووسـائل

وجهّلــتُ نفسـي لا خمــولاً وإنــما ... تيقّنــت أنَّ الســيِّدَ المتجاهــل

ومــا خِلــتُ أني في العــراق جميعِــه ... سـأفقِدُ حُـرّاً عـن مَغيبـي يسـائل

---

[1] أجادل: جمع أجدل وهو النسر.

سَـتَرْتُ عـلى كَـرْهٍ وضِـغْنٍ مَقـاتلي ... إلى أن بـدتْ للشـامتينَ المقاتـل

***

أهـذا مَصـيري بعـد عشـرين حِجَّـة ... تحلَّـت بأشـعاري فهـنَّ أواهـل؟

أهـذا مصـيرُ الشـعرِ ريّـانَ تنتمـي ... إليه القـوافي المغـدِقاتُ الحوافـل!؟

سلاسـلُ صِـيغَتْ مـن معـانٍ مُـبَغَّضٍ ... لها الـذهبُ الإبريـز وهـو سلاسـل

ومـن عجـبٍ أنّ القـوافي سـوائلاً ... إذا شُحِذَتْ للحَصْدِ فهـي مَناجـل

وهـنَّ كـماءِ المُـزْنِ لُطفـاً ورِقـةً ... وهـنَّ إذا جـدَّ النضـالُ مَعـاول

فأمَّـا وقـد بانـت نفـوسٌ، وكُشِّـفَتْ ... سـتائرُ قـومٍ، واستُشِـفَّت دخائـل

ولم يبـقَ إلاّ أنْ يُقـالَ مُسـاومٌ ... أخو غَرَضٍ، أو ميِّتُ النّفس خامـل

فـلا عُـذرَ للأشـعار حتـى يردَّهـا ... إلى الحـقِّ مَـرْضيُّ الحكومـةِ فاصـل

لأُمِّ القـوافي الويـلُ إن لم يَقُـمْ لهـا ... ضـجيجٌ ولم تـرتجَّ منهـا المحافـل

سـأقذِفُ حُـرَّ القـولِ غـيرَ مُحاتـلٍ ... ولا بـدَّ أن يبـدو فيُخـزى المُخاتـل

لـئن كـان بالتهـديم تُبْنـى رغائـبٌ ... وبـالخبط والتكـديرِ تصـفو مناهـل

وإن كـان بـالزُّلفى يؤمَّـلُ آيـسٌ ... وبالخُطَّـةِ المُـثلى يُخَيَّـبُ آمـل

فَلَلْجهـلُ مرهـوبُ الغِـرارين صـائبٌ ... وَ لَلْحِلْمُ رأيٌ بَـيّنُ الـنقصِ فائـل[1]

ولَلْغَـرَضُ الموصـومُ أعـلى محِلـةً ... مـن المـرءِ منبـوذاً عَلَتـه الأسـافل

---

[1] رأي فائل: خطأ وضعيف. الغراران مفردها غرار وهو حدّ السيف والرمح والسهم.

أرى القـومَ مَـن يُقْـذِعْ يقـرَّبْ إلـيهِمُ ... ومن يَجْتَنِبْ يَكْثُرْ عليه التحامل

على غـيرِ مـا سـنَّ الكِـرامُ ومـا التقـت ... عليـه شـعوبٌ جَمَّـةٌ وقبائـل

فـلا ينخـدعْ قـومٌ بفَـرط احتجـازةٍ ... تُخَيِّـلُ أني قُعْـدُدٌ متكاسـل[1]

فـإني لَـذاكَ الـنجمُ لم يخـبُ نَـوْؤُهُ ... ولا كَـذَبَتْ سـيماؤهُ والشـمائل[2]

ومـا فلَّـتِ الأيـامُ منـي صرامـة ... ولا زحزَحَـتْ علمـي بـأنيَ باسـل

ولكنَّنـي ممـا جنـاه تسـرُّعٌ ... توهَّمـتُ أنَّ الأسـبَقَ المتثاقـل

وإنّي بَعْـدَ اليـومِ بـالطيش آخـذٌ ... وإني عـلى حُكـمِ الجهالـةِ نـازل

وإني لوثّـابٌ إلى كـل فُرصـةٍ ... تعِـنُّ، وعـدّاءٌ إليهـا فواصـل

بخـيرٍ وشرٍّ إنَّ مـا أدرك الفتـى ... بـه سُـؤْلَه فهـو الخـدينُ المماثـل

وأعلَـمُ عِلـماً يقطـعُ الظـنَّ أنَّـه ... لكـلِّ امـرىءٍ في كـلِّ شيءٍ عـواذل

فـإنْ لم يقولـوا إنَّـه مُتعنِّـتٌ ... عَنُودٌ، يقولوا مُصْـحِبٌ متساهل[3]

تخـالُفَ أذواقٍ وبغيـاً وإثـرة ... ومِـنْ آدمٍ في العـيش كـان التقاتـلُ

فما اسْطَعتَ فاجعلْ دَأْبَ نفسِكَ خَيرَهـا ... ولا تُـدْخِلَنَّ النـاسَ فـيما تحـاول

فـما الحـرُّ إلاّ مـن يُشـاورُ عَقْلَـهُ ... وأمُّ الـذي يستنصِـحُ الغـيرَ ثاكـل

نَصـيحُكَ إمـا خـائفٌ أو مُغَـرِّرٌ ... كـلا الـرجلين في المُلِـمّاتِ خـاذل

---

(1) القعدد (بضم الدال الأولى وفتحها): الجبان اللئيم.

(2) لم يخب نوؤه: أي لم يمل إلى المغيب.

(3) المصحب (بالضم): الذليل المنقاد بعد صعوبة.

وبيـــنهما رأيٌ هـــو الفصـــلُ فـــيهما ومعنىً هـو الحـقُّ الـذي لا يُجـادَل

عـــلى أنهـــا العُقبـــى، فباطـــلُ نـــاجحٍ مُحِـــقٌّ، وحـــقُّ العـــاثرِ الجَـــدِّ باطـــل

بغداد، عام ١٩٣٤

من الحكم - إن حققت - أمة لاعب ... تُسمّون ترقيعاته بالتجارب

وتجربة للحكم خلق موظف ... وتجربة للشعب تجريح ثائب

وإن بلاداً بالتجارب عُدّت ... وضيّع أهلوها لإحدى العجائب

وأعجب منه أن يُمسّي رجالها ... تدرسهم خيراً بعقس المصائب

تُمطّل أرباب المواهب ريثما ... يُشمّم تجريح الضعاف المواهب

ولو جرّبوا أهل المناصب وحدهم ... لجاءوا، ولكن جرّبوا في المناصب

من الظلم أن تأتي قصيدة شاعر ... لتصبح حالاً، أو مقالة كاتب

فما دام حكم للتجارب راهن ... فليس لنا غير انتظار العواقب

ولكن دأب الشاعرين تحرّض ... ومن عادة الكتّاب خلق المتاعب!!

دعوا القوم أحرارة يؤدون واجباً ... ولا تحسبوا سهلاً قياماً بواجب!

ولا تحسبوا سهلاً بناء دوائر ... وتوقيع أوراق، وتوزيع راتب!

***

غزا الجهل أرض الرافدين فحلّها ... كثير الشرايا مستحاش الكتائب

مظلومة حيثي للمصائب هدّدت ... كرامته، والجهل رأس المصائب

وما خير شعب لست تعثر بينه ... على قارئ من كل ألف وكاتب

فلن يجرّ الفقر ردعاً وراءه ... [illegible] بصاحب

وراح على الجمهور صيف ألفا ... [illegible] الخراب

فكان لزاماً أن تجوز عصابة ... [illegible] المراتب

فكان لزاماً أن تتم سيادة ... [illegible] الأطائب

لعبة التجارب

هو الحُكمُ - إنْ حقَّقتَ - لُعبةُ لاعبِ ... يُسَمُّونَ ترقيعاتِهِ بالتجارِبِ

فتجربَةٌ للحكمِ خَلقُ موظَّفٍ ... وتجربَةٌ للشعبِ تخريجُ نائب

وإنَّ بلاداً بالتجاربِ هُدِّمَتْ ... وضُيِّعَ أهلوها لإحدى العجائب

وأعجبُ منه أن يُمنّي رجالُها ... نفوسَهُم خيراً بعُقبى المصائب

تُعَطَّلُ أربابُ المواهبِ ريثَما ... يُتَمَّمُ تخريجُ الضِّعافِ المواهب

ولو جَرَّبوا أهلَ المناصب وحدَهم ... لهانَ، ولكنْ جَرَّبوا في المناصب

منَ الظلم أن تأتي قصيدةُ شاعرٍ ... لتُصلِحَ حالاً، أو مقالةُ كاتب

فما دامَ حُكمٌ للتجاريب راهنٌ ... فليس لنا غيرُ انتظارِ العواقب

ولكنَّ دأبَ الشاعِرينَ تحرُّشٌ ... ومن عادةِ الكُتّابِ خلقُ المتاعب!!

دعوا القومَ أحراراً يؤدّونَ واجباً ... ولا تحسِبوا سهلاً قياماً بواجب!

ولا تحسبوا سهلاً بناءً دوائرٍ ... وتوقيعَ أوراقٍ، وتوزيعَ راتب!

***

غزا الجهلُ أرضَ الرافدَيْن فحلَّها ... كثيرَ السَّرايا مُستجاشَ الكتائب

طليعةُ جيشٍ للمصائبِ هدَّدَتْ ... كرامتَهُ، والجهلُ رأسُ المصائب

وما خيرُ شعبٍ لستَ تعثُرُ بينه ... على قارىءٍ من كلِّ ألفٍ وكاتب

تمشّى يجُرُّ الفقْرِ رِدفاً وراءهُ ... وأتعسْ بمصحوبٍ وأتعِسْ بصاحب

وراحا على الجُمهور ضيفينِ ألفيا ... مُناخاً جميلاً بين هذي الخرائب

فكانَ لِزاماً أنْ تحوزَ عِصابةٌ ... تفيَّتْ بظلِّ الجاه أعلى المراتب

وكان لِزاما أن تتِمَّ سيادةٌ ... عليه لأبناءِ "الذوات" الأطايب

وكـــان لِزامـــاً أن تُقـــادَ جُموعُـــه ... حُفـاةً عُـراةً مُهْطِعـينَ "لراكـب"

وكـــان لِزامـــاً أن تُحـــاكَ دســـائسٌ ... لـه تحـت أستارِ الخِـداع الكـواذب

وكـــان لِزامـــاً أن تعطَّـــل صَـــنعةٌ ... وأن يُصبحَ التوظيفُ أغلى المكاسب

***

مشى الشعبُ منهوكَ القُوى، واهنَ الخُطى ... كواهلُـه قـد أثقِلـتْ بالضـرائب

وقـد حِيـلَ مـا بـين الحيـاةِ وبينَـه ... فلَلموتُ منـه بـين عَـينٍ وحاجـب

وكُمِّمَت بـه الأفـواهُ عـن كشْـف سَـوءَةٍ ... كـأنْ لم يكـن مِـن ثَـمَّ عَتْـبٌ لعاتـب

وأوجـع مـا يُصـمي الغيـورَ مقـاصرٌ ... أطلَّـتْ عـلى محجـورةٍ في الزرائـب

يَـينُ عـلى الحيطـان شرخُ نعيمهـا ... وتغمُرهـا اللّـذاتُ مـن كـلِّ جانـب

وتُحيـا ليـالي الـرَّقص فيهـا خليعـةً ... تكشَّـفُ عـن سُـوق الحسـان الكواعـب

ويُجبـى إليهـا خمرُهـا مـن مَشـارقٍ ... يُجـادُ بهـا تقطيرُهـا ومَغَـارب

وتلـكَ مـن الإدقـاع تَتَّسِـد الثـرى ... يُلاعـبُ جَنبَيهـا دبيـبُ العقـارب

وقـد ذيـدَ عنهـا الـزادُ رَفهـاً لآكـلٍ ... وحُـرِّمَ فيهـا المـاءُ صـفواً لشـارب

وإنّي في إرضـائيَ الشِـعرَ حـائرٌ ... وإني لمـأخوذٌ بهـذا التضـاربُ

فقـد يُعجِـز التفكـيرَ ذكـرُ محاسـنٍ ... وقد يُخجل القرطاسَ ذكرُ المثالب

بغداد، عام ١٩٣٤

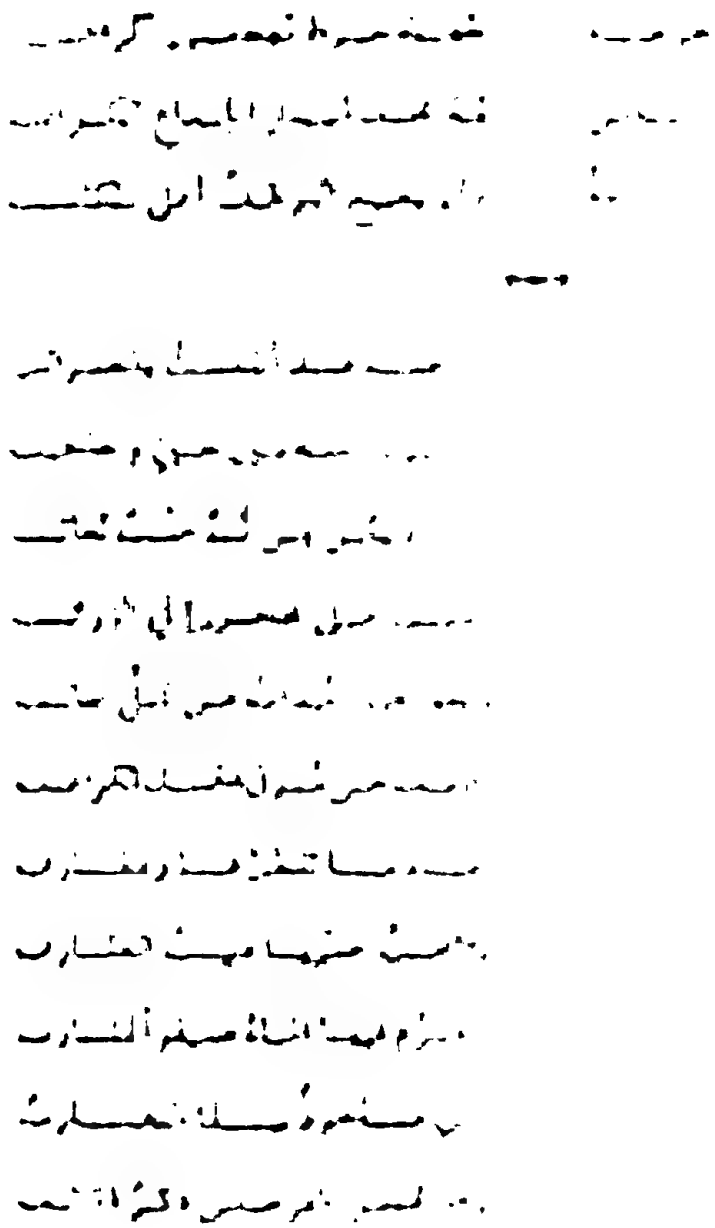

وادي العرائش

نظمها الشاعر وهو يصطاف في لبنان في وادي العرائش، من متنزهات مدينة "زحلة" الشهيرة بجمالها.

يـومٌ مـنَ العُمـرِ في واديـكِ مَعـدودُ ... مُستوحِشـاتٌ بـه أيـاميَ السُّـودُ

نزلـتُ سـاحَتكِ الغنّـاءَ فانبعثـتْ ... بالـذِّكرياتِ الشَّـجيّات الأناشـيد[1]

واجتزَتُ رغمَ الليـالي بـابَ سـاحرةٍ ... مـرَّ الشـبابُ عليـه وهـو مسـدود

قامَـتْ قيامتُـه بالحُسْـنِ وانتشـرتْ ... فيـه الأهـازيجُ والأضـواءُ والغيـد

مـا وحـدَهُ غَـرَّدَ الشـادي ليُرْقصَـهُ ... المَـاءُ والشـجرُ المهتـزُّ غِرِّيـد

وادٍ هـو الجنَّـةُ المحسـودُ داخلُهـا ... أو أنَّـه مـن جِنـان الخُلـدِ محسـود

***

بِقـي "زُحَيْلَـةُ" أنَّ الحُسْـنَ أجمَعَـهُ ... في الكونِ عن حُسنكِ المطبوعِ تقليد

أنـتِ الحيـاةُ وعمـرٌ في سـواكِ مضى ... فـإنَّما هـو تبـذيرٌ وتَبديـد

أقسـمتُ أُعطـي شـبابي حـقَّ قيمتِـهِ ... لَوْ أنَّ مـا فـاتَ منـه اليـومَ مـردود

وكيـفَ بي ونصـيبُ المـرءِ مُـرْتَهَنٌ ... بـه، ومَغْنَمُـهُ في العُمْـرِ محـدود

لم يـأتِ للجَبَلَـيْنِ العـاطفَيْنِ عـلى ... واديـكِ أبهـى وأنقـى منـهُ مولـود

زَفَّـتْ لـه مُتَـعُ الـدُّنيا بشـائرَها ... واسـتقبلَتْهُ مـن الطـيرِ الأغاريـد

أوفى عليـه يَقيـهِ حـرَّ هـاجرةٍ ... سُرادِقٌ مـن لطيـفِ الظـلِّ ممـدود

بـالحَوْرِ قـامَ عـلى الجنبـينِ يحْرُسُـهُ ... مُعَوَّذٌ من عُيـونِ النـاسِ مرصـود[2]

تنـاوَلَ الأفْـقُ معتـزاً بقامتِـهِ ... لا ينثنـي فَـنَنٌ منـه ولا عـود

---

[1] الغناء: مؤنث الأغن وهو الوادي الملتف الشجر والأعشاب.

[2] الحور: شجر معروف بامتداده في العلو واستقامة عوده وكثافة أوراقه وهو كثير جداً في لبنان.

يقــولُ للعاصــفاتِ النــازلاتِ بــهِ ... إليكِ عنّي، فغيرُ "الحَوْرِ" رِعديـد

صُــنْعُ الطبيعــةِ، بالأشــجارِ وارفــةً ... لَــهُ، وبــالنَّهَرِ الرّقــراقِ، تحديــد

خَصَّــتْهُ بــاللُّطفِ منهــا فهــو منْبَعِــثٌ ... ورُبَّ وادٍ جَفَتْــهُ فهــو مــوؤود

طــافَ الخيــالُ عــلى شــتّى مظــاهرِهِ ... واســتوقَفَتْني بــه حتــى الجلاميــد

تفَجَّــرَ الحجــرُ القــاسي بــهِ وبــدا ... في وجنــةِ الصَّــخرةِ الصــمّاء توريــد

تجــري الميــاهُ أعاليــهِ مُبعثَــرَةً ... لهــا هنالــكَ تصــويبٌ وتصــعيد

حتــى إذا انحــدَرَتْ تبغــي قَرارَتَــهُ ... تضــيق ذَرْعــاً بمجراهــا الأخاديــد

إســتقبلَتْها المجــاري يَسْــتَحِمُّ بهــا ... زاهــي الحصى فلَــهُ فــيهنَّ تمهيــد

فهُــنَّ في السَّــفْحِ عَتْــبٌ رقَّ جانبُــهُ ... وهُنَّ يزفُــرْنَ فــوقَ الصــخرِ تهديــد

مــا بــينَ عَــيْنٍ وأخــرى فــاضَ رَيِّقُهــا ... أنْ تُلْفَتَ العينُ أو أنْ يُعطَفَ الجيْــد

هذي "المسيحيَّةُ" الحسناءُ تــمَّ عــلى ... شرعِ المســيحِ لهــا بالمــاءِ تعميــد[1]

كأنّهــا، وعُيــونُ المــاءِ تَغْمُرُهــا ... مُسْتَنْزَفُ الدَّمِ مــن عِرْقَيْــهِ مَفصــود

***

بُشرى بأيلولَ شَهرِ الخَمْرَةِ اجتَمَعَــتْ ... عــلى العــرائشِ تَلْــتَمُّ العناقيــد

للهِ درُّ العَشــيّاتِ الحِســانِ بهــا ... يُسْــرِجْنَ ظُلمتَهــا الغِيــدُ الأماليــد

---

(1) التعميد والمعمودية من أهم الأولويات والشعائر المسيحية وهي غسل الصبي في الماء باسم الثالوث المقدس: الأب والابن والروح القدس.

لُطْـفُ الطبيعـةِ محشـودٌ يُتَمِّمُـهُ ... جمعٌ لطيفٌ من الجنسيْنَ محشود

في كـلِّ مُقهـىً عَشيقاتٌ نـزلنَ عـلى ... "وادي الغـرامِ" وعُشّـاقٌ معاميـد

تـدورُ بيـنهُمُ الأقـداحُ لا كَـدَرٌ ... يعلو الحديثَ ولا في العيشِ تَنكيـد

الرَّشْـفَةُ النَّـزْرُ مـن فـرط ارتيـاحِهِمِ ... كـأسٌ مُفايَضـةٌ والكـأسُ راقـود[1]

خَـوْدُ البِقـاعِ لقـد ضُـيِّعْتِ في بَلَـدٍ ... تنـاثرَتْ فوقـهُ أمثالُـكِ الخُـود

أُسـلوبُ حُسْـنكِ مُمتـازٌ فـلا عَنَـتٌ ... في الروح منهُ، ولا في السَّبْكِ تعقيد

نهـداكِ والصـدرُ "ثـالوثٌ" أقَدِّسُـهُ ... لـو كـانَ يُجمَـعُ تثليـثٌ وتوحيـد[2]

الخَمْـرُ ممزوجـةً بـالرِّيقِ راقصـةٌ ... والكأسُ مـرَّتْ بثغـر منـكِ عِربيـد

لو يُستجاب رجائي ما رَجَوتُ سوى ... أني وِشـاحٌ عـلى كَشْـحيكِ مـردود

***

جـارَ النطـاقُ عليهـا في حكومتـهِ ... فـالرِّدفُ مُنـتعِشٌ والخَصْرُ مجهـود

وأعْلَنَـتْ خـيرَ مـا فيهـا مَلابسُـها ... مُنَمَّقـاتٌ علـيهنَّ التجاعيـد

وكشَّفَتْ جَهْدَ ما اسـطاعَتْ محاسـنَها ... ولم تـدَعْ خافيـاً لـولا التقاليـد

مـا خَصرُها وهـو عُريـانٌ تَتيـهُ بـهِ ... أرقَّ منـه إذا الزُّنـارُ مشـدود

أمَّـا البـديعانِ مـن عـالٍ ومُـنْخَفِضٍ ... فِـداهما كـلُّ حُسْـنٍ أُعطـيَ الغيـد

---

[1] الراقود: الدن الكبير من الخمر (معرب).

[2] أي أن التوحيد هو الإسلام وهو دين الشاعر هو الذي يمنعه من أن يعبد هذا الثالوث: النهدين والصدر.

فقد تجسَّمَ هذا غيرَ محتَشِمٍ ... من فرطِ ما ضيَّقتهُ فهو مشهود

ونطَّ ذيّاك مَزْتجّاً تقولُ: به ... رِيشُ النَعامِ على الوِرْكَيْنِ منضود

إيّاكَ والفتنةَ الكبرى فنظرتُها ... مسحورةٌ، كلُّها همٌّ وتسهيد

إذا رَمَتْكَ بعينَيْها فَلَبِّهما ... واعلَمْ بأنَّكَ مأخوذٌ فَمَصْفود

وإنما الحبُّ زَحْليٌّ فلا صِلةٌ ... ولا صدودٌ ولا بُخْلٌ ولا جود

***

يا موطِنَ السِحر إنَّ الشِعرَ يُنعشُهُ ... فيضٌ من الحُسْنِ في واديكَ معهود

خيالُهُ من خيالٍ فيكَ مأخَذُهُ ... ولُطفُ معناه من معناكَ توليد

اهتاجني موعدٌ لي فيكَ يجمعُني ... كأنني بالشَّباب الطَّلْقِ موعود

وريعَ قلبيَ من ذكرى مُفارَقَةٍ ... كأنني من جِنانِ الخُلدِ مطرود

لا أبعدَ اللهُ طيفاً منك يؤنسني ... إذا احتوتنيَ في أحضانها البيد

لبنان، عام ١٩٣٤

تحية الحلة

ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها شباب مدينة "الحلة" له.

عفـواً إذا خـانني شـعري وتبيـاني ... فلُطفكُـم لا أوفّيـهِ بشُـكْرانِ

وقـد يهـوِّنُ عنـد المـرء زلّتَـه ... إحساسُـهُ أنـه مـا بـينَ إخـوان

غطـارفَ الحِلَّـةِ الفيحـاءِ إنكُـمُ ... في كـل مَكرُمـةٍ فِرسـانُ ميـدان[1]

ولـيس إحسـانُكمُ نحـوي بمبتَـدعٍ ... هنـا منابـتُ ألطـافٍ وإحسـان

للعُـرْبِ سـفرُ نِقابـاتٍ مُضـيّعةٍ ... بـاقٍ لـديكم عليـه خـيرُ عُنـوان

ملامـحٌ عَرَبيـاتٌ مُحَـيِّرةٌ ... بـأنكُم خـيرُ منسـوبٍ لقَحطـان

أتيـتُ ربـةَ أشـعاري أُناشـدُها ... عَوناً على الشعر أو صَفحاً عن الجاني

ورُحـتُ منهـا عـلى وَعـدٍ بمغفـرة ... إنْ لم يُسـدِّدْ خُطـايَ اليـومَ شـيطاني

وجئـتُ محفِلكُـم أمشـي عـلى ثقـةٍ ... من ربّةِ الشعر عنـدي صَـكُّ غُفـران

***

أبنـاءَ بابـلَ للأشـعار عنـدَكُمُ ... عِـمارةً لم يشـيِّدْ مثلَهـا بـانِ

ودولـةٌ برجـال الشـعر زاهـرةٌ ... معمـورةٌ بمقـاطيعٍ وأوزان

أقمتُمُوهـا عُصـوراً في رعـايتِكم ... لم تَخـلُ مـن آمـرٍ مـنكُم وسُـلطان

طـوعَ الأكُـفِّ دواويـنٌ مشـهَّرة ... وفي الزوايـا مُضـاعٌ ألـفُ ديـوان

هنـا نَمَـتْ عَـذَبَاتُ الشـعر وارفـةً ... غضـونُها قبـل سـوريّا ولُبنـان

وعـنكُمُ أخَـذَتْ مِصْـرٌ مسـاهِمةً ... في مُعجِبٍ من طريف القـول فَيْنـان

---

[1] الغطارف والغطاريف: جمع غطريف وهو السيد الكريم.

ومن شعور الفراتِيينَ قد نَهِلتَ ... أرضُ العراق وعبَّتْ أرضُ بَغدان

لكنني مُستميحٌ عفوَكم كَرَماً ... إذا عَتَبتُ عليكم عَتْبَ غضبان

وإن نَكِرتُ عليكم سيرَ متَّئِدٍ ... وإن طَلَبتُ إليكم سيْرَ عَجلان

وإن أردت لكم شِعراً يُجَسُّ به ... نَبْضُ السياسةِ من آنٍ إلى آن

يكون منها بمرصادٍ يقابلها ... وجهاً لوجهٍ على حدٍ وميزان

وفي العواطف أمواهٌ مُرَقْرَقَةٌ ... وتارةً هو تسعيرٌ لنيران

شعراً تُعالَجُ أبوابُ الحياة به ... يكونُ عن كل ما فيها كإعلان

***

نسجتُمُ بُردةً للشعر ضافية ... أتقنتُمُ لُحمتَيها أيَّ إتقانِ

ماشَتْ عصوراً طِوالاً وهي زاهيةٌ ... نُوراً لمُلْكٍ وتزييناً لتيجان

ولو أرَدتُم لكانَتْ زينةً لكُمُ ... بها يُفاخَرُ ما كرَّ الجديدان[1]

أتاكُمُ عالَمُ ثانٍ فكانَ لكم ... أن تأخذوها بأصباغٍ وألوان

وكان يكفيكُمُ حِفظاً لرَونقِها ... أنْ تبرزوها بشكل مونق ثان

لا أدَّعي أنني أوْلَى بتكرِمةٍ ... وأنني فوقَ أصحابي وأقراني

ولا أُعَرِّضُ أني طائشٌ فرحاً ... وأن تذَكَّرتُموني بعدَ نِسيان

لكنما سرَّني أنَّ الفراتَ به ... يُقامُ أولُ تكريمٍ لفنّان

---

[1] الجديدان: الليل والنهار.

ناشدتُكم بالحَمِيّات التي دفعت ... بكم لذكريَ والإعلاءِ من شاني

وبالمزايا الفُراتِيّاتِ هذَّبها ... جَورُ الطُغاةِ وكم فضلٍ لطُغيان

ألا اجتهدْتُم بأن لا تتركوا لَبقاً ... أو نابغاً عبقريَّاً طيَّ كتمان

***

قد يَبعَثُ الشاعرَ الحساسَ مزدهراً ... تقديرُ عاطفةٍ منه ووِجْدان

وقد تَبوحُ على الإهمال مَوهِبةٌ ... لو أُلْهبتْ لرأيتُمْ أيَّ بركان

أنا الدليلُ على قَولٍ أردتُ به ... أن لا يكونَ له غَيري كَبرهان

تناوشتْني من الأطراف ناهشةً ... لحمي عصابةُ أضباع وذُؤبان

كالتْ ليَ الشَتْمَ ما شاءَت مكارمُها ... سمحاءَ من دون تطفيف ونُقصان

وحسبُكُم وعليكُم شرحُ مُجمَله ... إن لم يكن شتمَ إنسانٍ لإنسان

وإن صَدقتُ فما للقوم من غَرَضٍ ... إلا إماتةُ حِسٍّ فيَّ يقظان

ولم أجدْ ما يُنَسّيني مَضاضَتَها ... إلا عواطفَ خُلاّنٍ وخُلْصان

وإنني إنْ رَمَتْني أعينٌ خُزُرٌ ... فإنَّ أعينَكُم باللطفِ تَرعاني

***

في الشعر شَحْذٌ لعَزْماتٍ ومُحْتَسَبٌ ... لطارئاتٍ وترويضٌ لأذهان

خذوا بما ضمَّتِ "الفيحاءُ" من غُرَرٍ ... مخَلَّداتٍ وما ضمَّ "الغَريَّان"

ونوِّهوا باسمِ أهليها لتَسمَعَهم ... -ولو على الرغم منها- صُمُّ آذان

ودَرَّسوا نشْأكم من شِعرِهِم قِطَعاً مُصوَّراتٍ لأفراحٍ وأحزان

***

هنا ببابلَ قام الفنُّ تُسنِدُهُ حضارةُ المُلك من أزمانِ أزمان

هنا مشَى الفذُّ "بانيبالُ" مُزدَهياً في موكبٍ بغُواةِ الفنِّ مُزدان

تَرَجَّلَ المَلْكُ إكراماً له ومَشَتْ خواشعاً - ساسةٌ غُرٌّ - كرُهبان

مُقدَّرين من النّحات موهبةً هي النُّبُوّةُ من وحي وإيمان

من ها هنا كان تحضيرٌ لأنظمةٍ في المشرقينَ وتمهيدٌ لأديان

تشريعُ بابلَ هزَّ الناسَ روعتُه من قبلِ أن يعرِفوا تشريعَ يونان

للآنَ يُحتاجُ في إصلاحِ مملكةٍ نظامُ دولةِ آشورٍ وكِلدان

هنا "حمورابِ" سنَّ العدل معتمداً به على حِفظِ أفراد وعمران

***

شكراً جزيلاً لأفواهٍ تُعطِّرُني بكل مُمْتَدَحِ الأسلوبِ حَسّان

رَيَّانةً بمُذابِ العاطفاتِ أتَتْ تسعى لقلبٍ من الإخلاص رَيان

ولو تمكَّنْتُ قدَّمتُ الفؤادَ لكم لكنَّ تقديمَ إحساسي بإمكاني

الحلة، ٢٤/ ١/ ١٩٣٥

لـــم أشعلـــي الرحـــاء مزمـــا ... ولملمت لمري فلم فلب غرمـا

وزهـــدني في مـــنـــاء ظلهـــا ... منتسابي تلـــلـــه ســـي والرمـا

ارمـــك مـــا الرحـــة تنـــســـهـا ... إن حـــانـــ مرحـــة فقـــه ثـــ نعمـا

ونزلـــك مـــا حـــل الحشمـــة مـــزلا ... اتـــشـــي فـــه حـــل غـــر الغمـا

منـــاســـا مـــن حـــر فـــن الغفـــلـــة ... ولـــزمـــن احـــلـــة مـــزفـــا

ومـــدخـــك مـــن لا يـــســـحـــل ولائي لي ... تكفـــيـــل بحقـــه مـــا تمـــى

ورجـــلـــني نـــحـــبـــا إشـــراء مـــر ... لـــرحـــلـــه بـــالأمـــر شـــرحـــا ونمـــه

وخـــدت لي عهـــد اللهـــي مـــا الـــلـــهـــى ... لا يشـــي بـــعـــوده لا نمـــخـــا

وجـــدت مـــن مـــلا الـــنـــاس شـــتـــوتـــه ... ســـي لحـــرك هـــزولا فـــيـــهـــا

لـــرفـــقـــة وخـــلـــت الـــنـــفـــس مـــنـــه ... مـــن أجـــل لـــذ ربح الـــفـــؤاد مـــزفـــا

نـــلـــتـــك إذ كـــان الـــتـــنـــاق مـــرمـــا ... ملـــزتـــا مـــن خـــمـــل مـــذمـــمـــه

ولـــلـــم تـــوقـــف حـــمـــقـــا لمـــواقـــعـــه ... حـــكـــمـــ حـــمـــا [illegible] شـــيـــمـــا

ولـــمـــنـــت رث الـــنـــعـــر كـــنـــهـــا الـــعـــمـــاء لي ... معرض العواطف [illegible]

[illegible]

[illegible]

أبــرزْتُ قلبــي للرمــاة معرَّضــا ... وَجَلوت شِعري للعواطفِ مَعرِضا

ووجــدتُني في صــفحةٍ وعَقيبهــا ... متناقضــاً في السُّــخْط منــي والرضــا

أبرمــتُ مــا أبرمتــهُ مُسْتســهلاً ... إن حــانَ موعِــدُ نقضِــهِ أن يُنقَضــا

ونزلــتُ منــه عــلى الطبيعــة مَنــزِلاً ... ألفيتُنــي فيــه عــلى جَمــر الغَضــا

متجانيــاً عــن خــير مَــن أبغَضــتُهُ ... ولِشَــرِّ مــن أحببتُــهُ مُتعرِّضــا

ومــدَحْتُ مــن لا يســتحقُّ وراقَ لي ... تكفــيرتي بهجائِــهِ عــمّا مَضــى

ووجــدتُني مُستصــعِباً إطــراءَ مَــن ... أطريتُــه بــالأمسِ طَوعــاً ريِّضــا[1]

وحَمِــدتُ أني عبــدُ قلبــي مــا اشــتَهى ... أن يثنــي بــوِدادِهِ أو يَمحَضــا

وحَمِــدتُ مــن هــذا اللســان سُــكوتَه ... حتــى يُحرِّكَــه الفــؤادُ فينبِضــا

فوَّضــتُهُ وحَمَلــتُ ألــفَ مُصــيبة ... مــن أجــل أنْ راح الفــؤادُ مفوَّضــا

***

نافقــتُ إذ كــان النفــاق ضريبــةً ... متحرِّفــاً مــن صَــنعتي مترمِّضــا[2]

ولَكَــمْ قَلِقــتُ مســهَّداً لمواقــفٍ ... حَكَمــت عــليَّ بــأن أداري مُبغِضــا

ولَعنــت ربَّ الشــعر فــيما اختــار لي ... وبما قَضَى، ولَعَنــت أحكــامَ القَضَــا

---

[1] الريض: الطيع.

[2] الأرماض: كل ما أوجع، وأرمضني: أوجعني.

وصَـدَعت فيهـا بالصـراحة مَـرَّةً ... زمَـراً تُجـوَّدُ أن تقـولَ فتُغمِضـا

ولقـد حَـدَوت بأصـغَريَّ ليُمليـا ... مـا يطلُبـان عـلى الـيراع ويَفرِضـا[1]

غَلَـبَ السرورُ فشـعَّ رونـقُ بعضِـها ... وخبـا رُواءُ الأخرَيـات فغُيِّضـا[2]

واسْـودَّ بالنِيـات سـوداً خـاطرٌ ... ومَشَى على الـبعضِ الصـفاءُ فَبَيَّضـا

وخلا فجـفَّ مـن العواطـف بعضُـه ... وزهـا بهـا بعـضٌ فـرفَّ وروَّضـا

وأتـى عـلى عفـوٍ فصـحَّ نسـيجهُ ... بعـضٌ وبعـضٌ بـالتكلّف أُمرضـا

وضَحِكتُ من تشـبيه مـا استعجَلتهُ ... بالسَّقْط أعجلـه المخـاضُ فأُجهِضَـا

ووجـدتُ في أثنائهـا رَجعيَّـةً ... طَفَحت وكنـتُ لهـا العـدوَّ المُبغِضَـا

ولكـم تبينـتُ الجمـودَ مُجسَّـماً ... في بعـض مـا قـد قلتـهُ مستنهضـا

***

ولقـد حُسِـبتُ مُصـارِحاً مُتخلِّعـاً ... في مؤنسـاتِ قلـتهن مُعرِّضـا

فـودِدْتُ لـو أنّي اسـتقيتُ تَرفُّهـاً ... في ما استَقَيتُ مـن المجُـون تَبرُّضـا[3]

وأنِفـت مـن هـذي الطبيعـة حُـرَّةً ... يعتاقُهـا التـدليسُ أن تتمخَّضـا

وخشـيتُها مكبوتـةً لتحفُّـزٍ ... كالليثِ أرهَـبُ مـا يُـرى أن يربِضـا

وعَجِبـتُ ممـن لسـتُ أبلُـغُ شـأوَه ... في الموبِقـات تـوغُّلاً وتعرُّضـا

---

(1) الأصغران: القلب واللسان.

(2) غيض: نقص وضعف.

(3) تبرض الماء: اخذه قليلاً قليلاً.

عَـبَّرتُ في الإحمـاض عـن شـهواته ... ومضى عفيفـاً مُنكِـراً أن أُحمِضـا[1]

وكشـفتُ عـن هـذي الطبـائع ثوبَهـا ... وبسـطتهنَّ حريصـةً أن تُقبَضـا

فـإذا بهـا الحشـراتُ تسـكن جيفـةً ... مسـتورةً، والخـزيُ أن تَتَنَفَّضـا

ورأيتُهـا مـلأى بكـل رذيلـةٍ ... تجري مـع العَـرَقِ الخبيـث تحرُّضـا[2]

فـإذا اسـتثار الشـعرُ بعـضَ صـفاتها ... شوهاءَ، أوجعهـا البيـانُ وأمعَضـا[3]

واسـتثقلتْ كشـفي لهُـنَّ، ولـذَّ لي ... كـوني عـلى مـا اسـتَثقلْته مُحرِّضـا[4]

ووجـدتُ في هَتـكِ الريـاء مخاضَـةً ... وحَلفتُ أبرحُ ما استَطعت مخوِّضـا[5]

***

وأعـادَتِ الـذكرى إليَّ أليمـةً ... لـمّا انبريـتُ بجمعِهـا مستعرِضـا

فهنـا التـي أطريـتُ فيهـا خُلَّبـاً ... كـذِباً خُـدِعتُ بِبِشْـره إذ أومَضَـا

أعطيتـه قلبـي يفـيضُ عواطفـاً ... حتـى إذا عَلَقـتْ حبـالٌ أعرَضـا

واسـتامَني للمـرجفين دريئـةً ... يَهـدي إليهـا شـامتاً أو مُغرِضـا[6]

حتـى إذا كشَّـفتُ عـن غَدَراتِـه ... قـالوا تقلَّـبَ ناقـداً ومقرِّضـا

***

---

[1] أحمض القوم إحماضاً إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام.

[2] الحرض: بكسر الراء وفتحه، الفاسد.

[3] امعض: أغضب.

[4] المحرّض: من التحريض والإثارة.

[5] التخويض: في الأصل السير في الماء.

[6] الدريئة: الهدف.

وهنـا التـي فاضـتْ بجـرحٍ نـاغِرِ ... مَضَت السنونَ الجارحاتُ وما مضى

وهنـا التـي فتَّشـتُ عـن شَـبحٍ لهـا ... فإذا بـه مثـل الخِضـاب وقـد نضـا[1]

سَيسُـوء بعضـاً مـا أرى إثباتَـه ... ويسُـرُّ بعضـاً مـا أرى أن يُرفَضـا

ومزيَّتـي وهـي الوحيـدة أننـي ... جاريتُ طبعي في الكثير كما اقتضى

وجعلـتُ آخـرَ مـا يمـرُّ بخـاطري ... تفكـيرتي ان يُجتَـوى أو يُرتَضـى[2]

ولعـلَّ أحسـنَ مـا بـه مـن صـالحٍ ... عـن شرٍّ مـا فيـه يكـونُ معوِّضـا

وهنـاكَ دَيـنٌ للـبلاد قضـاؤُه ... حـتمٌ عـليَّ، وقـد أعـيشُ فيُقتَضى

بغداد، عام ١٩٣٥

---

[1] نضا الخضاب: نصل وزوال.

[2] اجتوى: كره وجفا.

[illegible] الحسن والخضر ... [illegible] والأشجار تنعمر

وراعت الخاتم الطحان هيبته ... [illegible] فوقه حذر

كأنما هو في أذنيه حبل ... على العذاب مُطلّ وهي تنحدر

رَبُّ المزارع والملاح راعهما ... بالحول منه [illegible] مقتدر

[illegible] على [illegible] الليل [illegible] ... [illegible] الرحمان [illegible]

راحوا أسارى مطأطئين الرؤوس له ... وراح [illegible] بهيبته [illegible]

مشى على رسله لا الخوف يردعه ... ولا [illegible] الفعلة [illegible]

[illegible] من [illegible] تقاومه ... [illegible]

فكلُّ ما بلغ الإنسانُ من [illegible] ... [illegible]

[illegible]

وما "الفراتُ" بعسطاعٍ فتحضر ... ولا [illegible]

كم من معارك شنّ [illegible] غارتها ... على "[illegible]" ولكن [illegible]

***

نموذجٌ "للأنانيين" ليس له ... ولا [illegible]

في حين بات جميعُ الناس يُرهبُهم ... في [illegible]

ملءُ القلوب خشوعٌ من مهابته ... [illegible]

وراح شُغلُ التوادي عن فظاظته ... [illegible]

الفرات الطاغي

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

نظمت هذه القصيدة بمناسبة فيضان الفرات العظيم

طَغى فضوعف منه الحسنُ والخَطَرُ ... وفاض فالأرضُ والأشجارُ تنغمِرُ

وراعتِ الطائرَ الظمآنَ هيبتُه ... فمرَّ وهو جبانٌ فوقَه حذِر

كأنما هو في آذيِّه جَبَلٌ ... على الضفاف مُطلٌّ وهي تنحدر[1]

رَبُّ المُزارعِ والملاّحُ راعَهما ... بالحَول منه عظيمُ البطش مُقتدِر

باتَتْ على ضفَّتيه الليلَ تحرُسُهُ ... غُلْبُ الرجال لما يأتيه تنتظر[2]

راحوا أسارى مطأطين الرؤوسَ له ... وراح طوعَ يديه النفعُ والضَرر

مَشَى على رِسْلِه لا الخوفُ يَردَعُه ... ولا عن الفِعلة النكراءِ يعتذِر

ومرَّ يَهزَأ من أيدٍ تقاومه ... تسعَى لتحكيم أسداد وتبتدِر

فكلُّ ما بلغَ الإنسانُ من عَنَتٍ ... قُوى الطبيعةِ تأتيه فيندحِر

وما "الفراتُ" بمُستطاعٍ فمختَضَدٍ ... ولا بمستعبَد بالعُنفِ يُقتَسر[3]

كم من معاركَ شنَّ الفنُّ غارتَها ... على "الفرات" ولكنْ كان ينتصر

***

نُموذَجٌ "للأنانيّينَ" ليس له ... ولا عليه، أفازَ الناسُ أم خسِروا

في حينَ باتَ جميعُ الناس يُرهبُهم ... في كلِّ ثانيةٍ عن سَيره خَبَر

ملءُ القلوب خشوعٌ من مهابتِه ... وملءُ أعينهم من خوفِهِ سَهر

وراح شُغْلُ النوادي عن فظاظته ... يُجري الحديثَ وفيه ينقضي السهر

---

[1] الآذي: الموج.

[2] الغلب: جمع أغلب وهو الشديد الشجاع.

[3] خضد: كسر، وانخضد وتخضد بمعنى انكسر.

ورُوِّعَ السمعُ حتى بات من ذَهَل ... يَوَدُّ سَمعُ الفتى لو أنه بَصَر
واستُبطِئَت عن نَثَا أخباره بُرُدٌ ... واستُنهِضَ البرقُ يُستقصى به الخَبَر[1]

***

هو الفراتُ وكم في أمره عَجَبٌ ... في حالَتيهِ وكم في آيهِ عِبَر
بينا هو البحرُ لا تُسطاع غضبتُه ... إذا استشاطَ فلا يُبقي ولا يَذَر
إذا به واهنُ المَجرى يعارِضهُ ... عُودٌ، ويمنَعُهُ عن سَيْره حَجَر

***

طَمَى فرُدَّ شبابُ الأرضِ قاحلةً ... به، وعادت إلى رَيعانها الغُدُر
وأشرفت بقعةٌ أُخرى ألمَّ بها ... على الممات فأمسَت وهي تُحتَضر
وودَّع الزارعون الزرعَ وانصرفوا ... للماء ما زَرَعوا منه وما بَذَروا
مَن كان بالأمس يعلو وجهَهُ فرحٌ ... بما يُرجّيه غطّى وجهَه كَدَر
وقطَّبت بعد تهليل أسرَّتُه ... وبان فوق خُطاه الضعفُ والخَوَر
صُبَّت عليها بلاياه ونقمتُه ... أما "القصورُ" فلا خوفٌ ولا حذَر
طافت عليه حنايا الكوخ واقتُلِعَتْ ... مضارِبُ البيت منه فهي تنتشر

***

غطَّ الهديرُ فغضَّت منه ثاغيةٌ ... وردَّدَتْ ثغيَها من خلفِها أُخر
واستحكمت ضجةٌ من كل ناحيةٍ ... جاءت إليها بموتٍ عاجلٍ نُذُر
ورُبَّ طالبةٍ بالماء راضَعَها ... وربَّ عاريةٍ بالماء تأتزر

---

[1] نثا الأخبار: متفرقها.

***

وصفحةٌ من بديع الشعر منظرُه ... طامي العُباب مُطلًّا فوقَه القَمَر

وقد بدت خضرةُ الأشجار لامعةً ... مغمورةً بسناه فهي تزدهِر

ومِنْ على ضَفَّتيه انصاعَ مُنغمِرا ... في الماء نصفٌ، ونصفٌ فوقَ الشَّجر

باتت على خَطَرٍ ناسٌ بثورته ... وراح يؤنسُنا في المنظر الخَطَر

وهكذا الناسُ يُغريهم تخيُّلُهم ... حتى يَجيئوا إلى البَلْوى فيختبروا

كما أتى الحربَ فنانٌ ليرسُمَها ... في حينَ آخرُ يُصلي جسمَه الشرَر

***

روحٌ جرت لم يُرِدْ نَفعاً بها بدنٌ ... وعسجدٌ سالَ إلا أنَّه هَدَر

هذا المشيِّدُ للعُمران ريِّقَه ... في الرافدين به العُمرانُ يندثر

كان العراقُ سَواداً مِن مزارعه ... على بنيهِ يفيءُ الظلُّ والثَمَر

تَفيض خيراً على الأقطار غلَّتُه ... موفورةً لسنينِ الجوع تُدَّخر

ووُزِّعَ الماءُ عدلاً في مسايله ... فكلُّ ناحيةٍ يجري بها نَهَر

باسم الفرات وتنظيمٍ له خُلقتْ ... دوائرٌ لم يَبِنْ من سعيها أثَر

أغفَت طويلاً ولمَّا هاجَ هائجُه ... جاءته بعد فواتِ الوقتِ تبتدِر

وهاهو الماءُ موتٌ في زيادته ... وفي النقيصةِ مسروقٌ فمُحتكَر

بغداد، عام ١٩٣٥

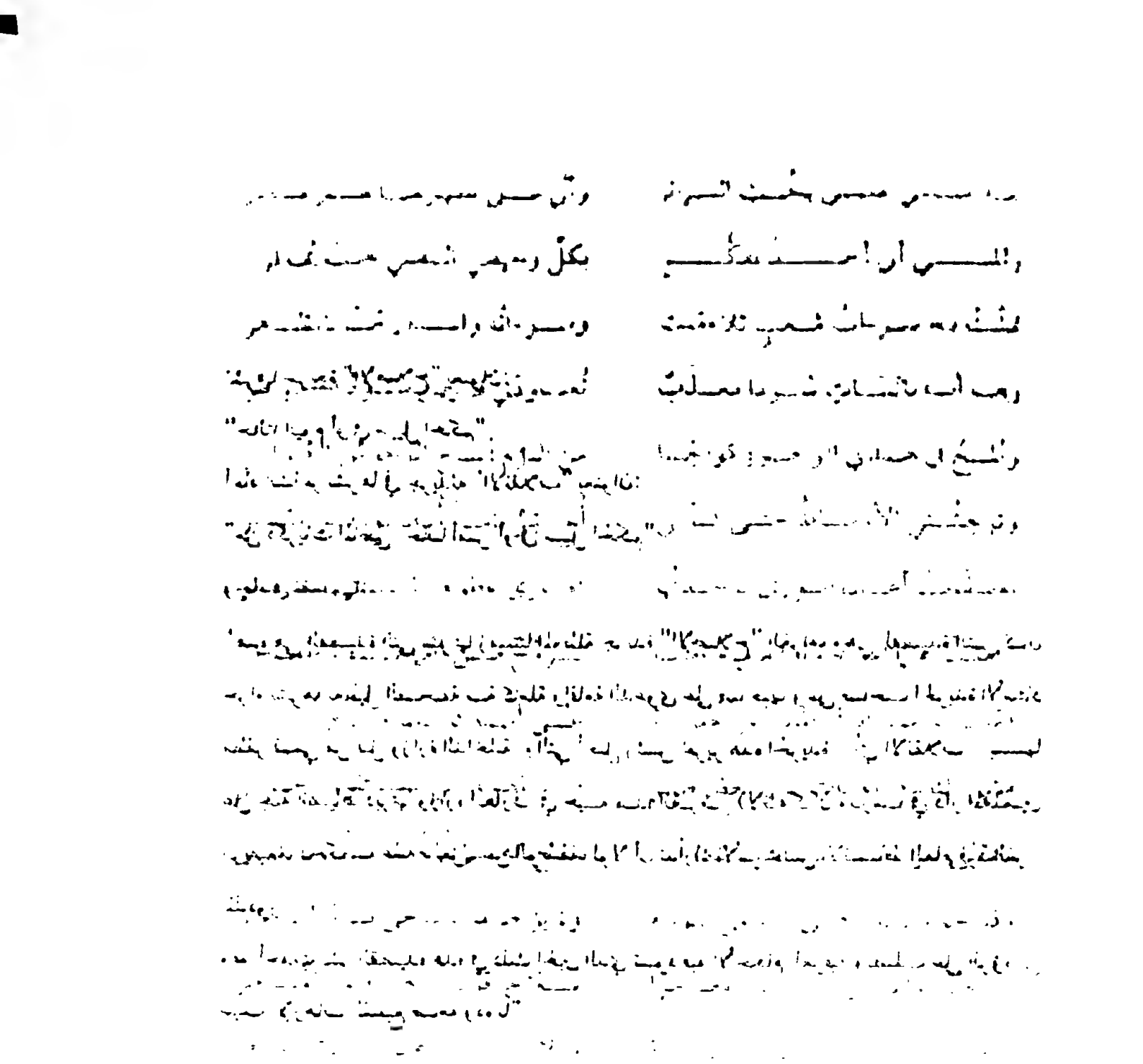

حالنا (في سبيل الحكم)

نشرتها جريدة "الإصلاح" بعنوان:

"حالنا اليوم أو في سبيل الحكم"

أعاد الشاعر نشرها في جريدته "الانقلاب" بعنوان:

"من ذكريات الماضي. حالنا أمس أو في سبيل الحكم"

وجاء في تقديمها:

"هذه هي القصيدة التي نشرتها زميلتنا المعطلة جريدة "الإصلاح" الغراء، وهي القصيدة التي كان جزاء نشرها تعطيل الصحيفة سنة كاملة وإقامة الدعوى على صاحبها وعلى صاحب الجريدة الأستاذ مظفر فهمي من قبل وزارة الداخلية. والتي أحيل رئيس تحرير هذه الجريدة – أي الانقلاب – بسببها على لجنة انضباط دبرتها وزارة المعارف في حينه لهذا الغرض (لأنه كان مدرساً في دار المعلمين الريفية)، فحكمت عليه بالعزل عن الوظيفة، لولا أن تدارك الأمر مجلس الانضباط العام فردّ القرار المذكور.

وقد أحدث نشر القصيدة هذه في ذلك الحين الذي تسود فيه الأحكام العرفية ويصلت على الرؤوس سيف الإرهاب الفظيع ضجة ودوياً".

لقد ساءَني علمي بخُبثِ السرائرِ ... وأنّي على تطهيرِها غيرُ قادِرِ

وآلمني أني أخيذُ تفكُّرٍ ... بكلِّ رخيصِ النفسِ خِبٍّ مُماكِرِ[1]

تمشَّتْ به سَوءاتُ شعبٍ تلاءَمَت ... وسوءاتُه واستُدرِجَتْ بالمظاهر

وها أنا بالنيّاتِ سُوداً معذَّبٌ ... تُعاودُني فيهنَّ سودُ الخواطر

وألمحُ في هذي الوجوهِ كوالِحاً ... من اللؤم أشباحَ الوحوش الكواسر

وتوحِشُني الأوساطُ حتى كأنّني ... أُعاشِرُ ناساً أُنهِضوا من مقابر

تصفَّحتُ أعمالَ الوَرى فوجدتُها ... مخازِيَ غطَّوها بشَتى الستائر

وفتَّشتُ عمّا استحدَثوا من مناقِبٍ ... تُروَّجُ من أطماعهم ومفاخِر

فكانت حساناً في المظاهرِ خُدْعة ... على أنها كانت قِباحَ المخابر

مشى الناسُ للغايات شتّى حظوظُهم ... وآمالُهم من مستقيمٍ وجائر

وغطّى على نقصِ الضعيف نجاحُه ... وراح القويُّ عُرضةً للعواثر

وقد حُوسِبَ الكابي بأوهى ذنوبِهِ ... ولم يؤخَذِ الناجي بأمِّ الكبائر

وراحت أساليبُ النفاق مَفاخراً ... سلاحاً قوياً للضعيف المُفاخر

وحُبِّبَ تدليسٌ، وذُمَّت صراحةٌ ... فلا عيشَ إلاّ عن طريقِ التآمر

وألّفَ بين الضدِّ والضدِّ مَغنمٌ ... وفرَّقتِ الأطماعُ بين النظائر

مُحيطٌ خَوَتْ فيه النفوسُ، وأفسِدَتْ ... طباعُ أهاليه بعَدوى التجاور

---

[1] الخب: الخادع الماكر.

هَوَت نبعةُ الأخلاق جَرّاءَ ما اعتَدَتْ ... على الشعب أطماعُ السَّراةِ الأكابر

وقد صِيح بالإخلاص نَهْباً فلا تَرى ... سوى بؤَر التضليلِ جِسراً لعابر

وباتَ نصيبُ المرء رَهناً لِما يَرى ... أولو الأمرِ فيه مثلَ لِعْبِ المقامر

فإمـا مُكَبٌّ للحضيض بوجهه ... على أنه سامي الذُّرى في المفاخر

وإمّا إلى أوجٍ من المجد مُرتَقٍ ... على سُلَّمٍ من مُوبقاتٍ فواجر

ولم يبقَ معنىً للمناصب عندَنا ... سوى أنَّها مُلْكُ القريبِ المصاهِر

وإنَّ ثيابَ الناس زُرِّت جميعُها ... على عاهةٍ إلاّ ثيابَ المؤازر

تُسنُّ ذيولٌ للقوانين يُبتَغى ... بها جَلْبُ قومٍ "للكراسي" الشواغِر

وقد يُضحِكُ الثكلى تناقضُ شارع ... قوانينُه مأخوذةٌ بالتناحر

أُهينَتْ فلم تُنتجْ قريحةُ شاعرٍ ... وضِيمَتْ فلم تَنشَطْ يراعةُ ناثر

وهيمَنَ إرهابٌ على كل خَطرةٍ ... تَرَدَّدُ ما بين اللَّهى والحناجر

لقد مَلَّ هذا الشعبُ أوضاعَ ثُلَّةٍ ... غدتْ بينه مثلَ الحروفِ النوافر

وما ضرَّ أهلَ الحكم أنْ كان ظلُّهم ... ثقيلاً على أهل النُّهى والبصائر

فحسبُهُم هذي الجماهيرُ تقتَفي ... خُطى كلِّ مقتادٍ لها، مِن مناصر

وحسبُهُم أن يستجدُّوا "دعايةً" ... تُعَدِّدُ ما لم يعرفوا من مآثر

وأوجعُ ما تَلقَى النفوسُ نِكايةً ... مَعزّةُ أفرادٍ بذُلِّ أكاثر

لكي يَنْعُمَ الساداتُ بالحكم ترتوي ... بقاعٌ ظِماءٌ من دماءٍ طَواهر

وكي لا ترى عينٌ على البَغي شاهداً ... تُغيِّرُ عمداً ناطقاتُ المحاضر

وأهوِنْ بأرواحِ البريئين أزهِقَت ... وأموالِهم طارت هباً من خسائر

وكانت طباعٌ للعشائر تُرتجى ... فقد لُوِّثت حتى طباعُ العشائر

وكان لنا منهم سِلاحٌ فأصبحوا ... سلاحاً علينا بين حين وآخر

***

وإنَّك من هذي الشنائع ناظرٌ ... إلى مُخزياتٍ هنَّ شوكٌ لناظر

إذا ما أجَلْتَ الطَّرْف حولَك وانجلت ... بعينيك يوماً مُخبآتُ الضمائر

وكشَّفتَ عن هذي النفوس غطاءَها ... وأبرزتَها مثلَ الإماء الحواسِر

وفتَّشتَ عمّا في زوايا الدوائر ... وغربَلْتَ ما ضمَّت بطونُ الدفاتر

رجَعتَ بعينٍ رقرَقَ الحزنُ ماءَها ... وأُبتَ بقلبٍ شاردِ اللُّبِّ حائر

وأيقنتَ أنَّ الحالَ حالٌ تعسَّرَت ... على كلِّ طَبٍّ بالطبائع ماهر

وقد يملأُ الحرَّ المفكِّرَ حُرقةً ... تَفَكُّرُه يوماً بعُقبَى المصاير

ولا أملٌ إلاّ على يدِ مُصلحٍ ... حَقودٍ على هذا التدهوُرِ ثائر

وإن عيوباً جَلْبَبَ الكِذبُ كُنْهَها ... فَغَطَّينَ أضعافَ العيوبِ السوافِر

ولا تحسبنَّ الشعرَ سَهلاً مهبُّه ... بهذي المساوي بين بادٍ وحاضر

فإن عظيماً أن يُخلِّدَ شاعرٌ ... مخازيَ جيلٍ بالقوافي السوائر

سنُضحِكُ قُرَّاءَ التواريخ بعدنا ... ونبدو لهم فيهنَّ إحدى النوادر

وسوف نُريهم للمهازل مَرسَحاً ... نَروح ونغدو فيه هُزأةَ ساخر[1]

فإن ترني أُذكي القوافي بنَفثَةٍ ... أُراني على كِتمانها غيرَ صابر

فإني برغم العاصفات التي ترى ... أُقاسي رُكوداً لا يلَيق بشاعر

رَجَعتُ لنفسي أستثيرُ اهتمامَها ... وألزِمُها ذنبَ الصريح المجاهر

وأُثقلها بالعَتْب إن كان لي غنىً ... عن الشرِّ لولا حبُّها للمَخاطر

وساءلتُها عمّا تُريد من التي ... تُرشِّحها للمُهلِكات الجوائر

أأنتِ بعَورات النفوس زعيمةٌ ... مُوَكَّلة عنها بِعَدِّ الجرائر

وما أنتِ والغُرمَ الذي راح مَغنَماً ... لقد غامر الأقوامُ فيه فغامري

خُذي وجهةً في العيش يُرضيكِ غيُّها ... ولا تستطيبي منه قِعدَةَ خائر

وإنَّ شذوذاً أن تثُيري وتصدَعي ... شَذاةَ مُحيطٍ بالمُداجاة زاخر[2]

وأحسنُ مما تدَّعين صلابةً ... سَماحُ المحابي، وانتهازُ المساير

بغداد، عام ١٩٣٥

---

[1] مرسحاً: المقصود مسرحاً.

[2] الشذاة: الشر.

من الحسن سلم له الذل والقهرا ... جرى للورى من سر حل فحسبهم حسبا

وحسبهم ما من الملك حاتما ... حلل الحسن حسبه فتشه فتشرا

ملى لمن "حل" حلة الليث فجرا ... لملك في فحص الحسن حسبه وحسرا

وما كمال كالعلى لساماً فسلولا ... حلل حسن حفص الحسن بحسبه

ولكن لتوفا فحسبه الذل لماشى ... لأفهم حسن ان الحسن ملسرا

نساقى سر اللحم بالى لنفسه ... حلل وحسبه الأنفس فى الحسرا

وفحلتنه سبحر نظما لذ غرامه ... وحسبه لأنف الحسن من الكبرا

حدا الشوق ضمن الحسن ناسا ... بهم حسن حلسه حسنهم فتحسرا

وحثت حسن بحسناء مكة الزهرا ... لمثل حسل حطت بالحرمين لتفجرا

والذ نسوز "بتلميذ" حسن رحلة ... وخاطر الحسن حسبه فحسبك وتفجرا

وخاف بأحسبه للزيوه خاتف ... حسن الحسود حسن حلة والحبرا

ومن حل واعلى "تلمذ" حل خاطرى ... من الحسناء لحسنك ما لم تتسرا

وسائل لسأل بحسنك حسن فحسبه ... لل بحسنك فحسبه الحسنا الى شهرا

وما الحسن الا وركبت كمن حاسب ... حسن الحسن عاشوراء

هـيَ الـنفسُ تـأبى أن تُـذَلَّ وتُقهَـرا ... تَرَى الموتَ من صبرٍ على الضـيم أيسَرا

وتختـارُ محمـوداً مـن الـذِكرِ خالـداً ... عـلى العـيش مـذمومَ المَغَبَّـة مُنكَـرا

مشى ابنُ "عليٍّ" مِشيَةَ الليـث مُخـدِرا ... تحدَّتـه في الغـاب الـذئابُ فأصـحرَا[1]

ومـا كـان كـالمعطي قِيـاداً مُحـاولاً ... عـلى حـينَ عـضّ القيـدُ أن يتحـرّرا

ولكـنْ أنَوفـا أبصَـرَ الـذُّلَّ فـانثنى ... لأذيالـهِ عـن أن تُـلاثَ مُشَـمِّرا

تسـامَى سـموَّ الـنجم يـأبى لنفسـه ... عـلى رغبـة الأدنَـينَ أن تتحـدَّرا

وقد حلفـتْ بـيضُ الظُبـا أن تنوشَـه ... وسـمرُ القَنـا الخطّـيِّ أن تتكسّـرا

***

حـدا المـوتُ ظعـنَ الهاشـميينَ نابيـاً ... بهـمْ عـن مقـرٍّ هاشـميٍّ مُنَفّـرا

وغُيِّـبَ عـن بطحـاءِ مكـةَ أزهَـرٌ ... أطـلَّ عـلى الطـفِّ الحـزينِ فـأقمرا

وآذَنَ نـورُ "البيـت" عنـه برِحلـة ... وغـاضَ النَـدى منـه فَجـفَّ وأقفـرا

وطـاف بأرجـاء الجزيـرة طـائفٌ ... مـن الحـزن يـوحي خِيفـةً وتطـيُّرا

ومرّ على وادي "القُرى" ظِلُّ عارضٍ ... مـن الشُـؤْم لم يلبَـثْ بهـا أن تَمَطَّـرا[2]

وسـاءَلَ كـلُّ نفسَـهُ عـن ذُهولـه ... أفي يقظَـةٍ قـد كـانَ أم كـانَ في كَـرى

وما انتفضوا إلا وركبُ "ابنِ هاشمٍ" ... عن الحج "يومَ الحـج" يُعْجِلـه السُّرى

---

(1) أخدر الليث: قر في عرينه.

(2) العارض: السحاب.

***

أبـت سَـورةُ الأعـراب إلا وقيعـةً ... بها انتكَصَ الإسلامُ رَجْعاً إلى الوَرا

ونُكِّسَ يـومَ الطـفِّ تـاريخُ أمـة ... مشـى قبلَهـا ذا صـولةٍ متبخـتِرا

فـما كـان سـهلاً قبلَهـا أخـذُ موثـق ... عـلى عَـرَبيّ أن يقـولَ فيغـدِرا

ومـا زالـت الأضـغانُ بـابنِ "أُميّـةٍ" ... تُراجِـعُ منـه القَلـبَ حتـى تحجَّـرا

وحتّـى انـبرى فاجتَـثَّ دوحـةَ أحمـدٍ ... مفرِّعـةَ الأغصـانِ وارفـةَ الـذرى

وغطّى على الأبصار حِقدٌ فلـم تكـن ... لِتَجهَـدَ عـينٌ أن تمُـدَّ وتُبصِـرا

ومـا كنـتُ بـالتفكير في أمـر قتلـهِ ... لأزدادَ إلا دهشـةً وتحـيُّرا

فـما كـان بـين القـوم تنصـبُّ كُتبُهُم ... عليـه انصـبابَ السـيل لمـا تحـدَّرا

تكشَّـفُ عـن أيـدٍ تُمَـدُّ لبيعـةٍ ... وأفئـدَةٍ قـد أوشَـكَت أن تَقَطَّـرا

وبـينَ الـتخلّي عنـه شِـلواً ممزَّقـاً ... سوى أن تجيءَ المـاء خِمسٌ وتَصدُرا[1]

***

تـولى "يزيـدٌ" دَفَّـةَ الحُكـم فـانطوى ... على الجمر مَن قد كانَ بـالحُكم أجـدَرا

بنـو "هاشـمٍ" رهـطُ النبـيِّ وفـيهُمُ ... تَرَعـرَعَ هـذا الـدينُ غَرسـاً فـأثمَرا

ومـا طـال عهـدٌ مـن رسـالة أحمَـدٍ ... ومـا زالَ عُـودُ المُلْـك ريّـانَ أخضَـرا

وفيهِمْ "حسينٌ" قِبلـةُ النـاس أصـيدٌ ... إذا مـا مَشـى والصِـيدُ فـاتَ وغـبَّرا

---

[1] الخمس بالكسر: أن ترعى الإبل ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع.

وغـاظ الـزُبيَريينَ أن يُبصروا الفتَـى ... قليـلَ الحِجـى فـيهم أمـيراً مُـؤمَّرا

ففـي كـل دارٍ نَـدوةٌ وتجمُّـعٌ ... لأمـرٍ يُهـمُ القـومَ أن يُتـدبَّرا

وقـد بُثَّـتِ الأرصـادُ في كـل وِجهـةٍ ... تُخَـوِّفَ منهـا أن تُسِـرَّ وتُجهَـرا

وخَفُّـوا لبيـتِ المـال يستنهضـونَهُ ... وكـان عـلى فَـضِّ المشـاكل أقـدَرا

وقد أدركَ العُقْبى "مُعاوِي" وانجلَتْ ... لعينيـه أعقـابُ الأمـورِ تَبصُّـرا[1]

وقـد كـان أدرى بابنـه وخصـومِه ... وأدرى بـأنَّ الصَّـيدَ أجمـع في الفـرا[2]

وكـان يزيـدٌ بـالخُمور وعصـرِها ... مـن الحُكْـمِ ملتَـفَّ الوشـائج أبصَـرا

وكـان عليـه أن يشُـدَّ بعَزمـه ... قُـوى الأمـر منهـا أن يَجِـدَّ ويشـهَرا

فشـمَّر للأمـرِ الجليـلِ ولم يكـن ... كثـيراً عـلى مـا رامَـه أن يشـمِّرا

هـو المُلـكُ لا عِلـقٌ يُبـاع فيُشـترى ... لتصـبِرَ نَفْـسٌ عنـه أو تَتَبَصَّـرا

ولكنَّـهُ الشـيءُ الـذي لا معـوَّض ... يعـوِّضُ عنـه إن تـولَّى وأدبَـرا

وقلَّبهـا مـن كـل وجـهٍ فسَـرَّه ... بـأن راءَهـا ممّـا توقَّـع أيسَـرا

فـريقينِ دينيـاً ضـعيفاً ومُحْنَقـاً ... يـنفِّسُ عنـه المـالُ مـا الحِقـدُ أوغـرا

وبيـنهما صِـنفٌ هـو المـوتُ عينُـهُ ... وإن كـانَ معـدوداً أقـلَّ وأنـزَرا

ومـا مـاتَ حتـى بـيَّن الحـزمَ لابنـه ... كتـابٌ حـوى رأسـاً حكـيماً مُفَكِّـرا

---

[1] رخم معاوية في غير النداء، وفي كلام العرب من هذا كثير.

[2] إشارة إلى المثل: "كل الصيد في جوف الفرا" ويضرب لمن يفضل على غيره.

وأبلغَــهَ أنْ قــد تَتَبَّــع جُهْــدَه ... مــواطنَ ضَــعفِ النــاقمين فخــدَّرا

وأنَّ "حســيناً" عثــرةٌ في طريقــه ... فــما اســطاعَ فليســتغنِ أن يتعثَّــرا

وأوصــاه شرَّاً "بــالزُبيريِّ" منــذِرا ... وأوصــاه خــيراً "بالحسَــينِ" فأعــذَرا

لــوَ انَّ ابــنَ ميســونٍ أرادَ هِدايــةً ... ولكــن غَــوِيٌّ راقَــهُ أن يُغــرِّرا

وراح "عبيــدُ الله" يغْتــلُّ ضــعفَه ... وصُــحبَتَهُ، حتــى امتطــاه فســيَّرا

نشــا نشــأةَ المستضــعفين مُرجِّيــاً ... مــن الــدهر أن يُعطيــه خَمــراً وميسِرا

وأن يــتراءى "قــرده" متقــدِّماً ... يجــيءُ عــلى الفرســان أم متــأخِّرا

وأغــراه حُبّــاً "بالأخيطــلِ" شــعرُهُ ... لــو اســطاعَ نَصــرانيةً لتنصَّــرا

وقد كــان بــين الحــزنِ والبِشر وجهُــه ... عَشِــيّةَ وافــاه البشــيرُ فبشَّــرا

تــردّى عــلى كُــرْهٍ رداءَ خِلافــةٍ ... ولم يُلــقِ عنــه بعــدُ للخمــرِ مِئــزرا

وشــقَّ عليــه أن يصــوِّرَ نفسَــه ... عــلى غــير مــا قــد عُــوِّدت أن تُصــوَّرا

وأن يبُــتَلى بــالأمرِ والنهــيِ مُكرَهــاً ... وأن يَجمــع الضِــدَّين سُــكراً ومِنــبَرا

إذا سَــلِمت كــأسٌ يَــروحُ مُغبِّقــاً ... عليــه بهــا الســاقي ويَغــدو مبكِّــرا

وغَنَّتــهُ مــن شــعر "الأخيطــلِ" قَيْنَــةٌ ... وطارَحَهــا فيهــا المُغنّــي فــأبهَرا

فكــلُّ أمــورِ المســلمينَ بســاعةٍ ... من المجلسِ الزاهــي تُبــاع وتُشــتَرى!

وشــاعَتْ لــه في مجلِس الخمــر فَلْتَــةٌ ... مــن الشِــعر لم تَســتَثنِ بَعثــاً ومَحشَرا

وقــد كــانَ سَــهْلاً عنــدَه أن يقولَهــا ... وقــد كــانَ ســهلاً عنــده أن يُكفَّــرا

عـلى أنَّـه بـالرّغم مـن سَـقَطاته ... وقـد جـاءَه نَعـيُ الحسـين تـأثّرا

فـما كـان إلا مثـلَ قـاطعِ كفِّـه ... بـأُخرى، ولمـا ثـابَ رُشْـدٌ تَحَسَّـرا

وأحسَـبُ لـولا أنَّ بُعـدَ مَسـافةٍ ... زَوَت عنه ما لاقَى الحسينُ ومـا جَـرى

ولـولا ذحـولٌ قُـدِّمتْ في معـاشِرٍ ... تَقَاضَـوا بهـا في الطَـفِّ دَيناً تـأخَّرا[1]

لزُعـزِع يـومُ الطَـفِّ عـن مُسـتقَرِّه ... وغُـيِّرَ مـن تاريخـه فتَطَـوَّرا

أقـول لأقـوامٍ مَضَـوا في مُصـابه ... يسـومونه التحريـفَ حتـى تغـيَّرا

دعُـوا رَوعـةَ التـاريخ تأخـذْ مَحَلَّهـا ... ولا تُجهِـدوا آياتِـه أن تُحـوَّرا

وخلُّـوا لسـانَ الـدهر يَنطـقْ فإنَّـه ... بليـغٌ إذا مـا حـاولَ النطـقَ عَـبَّرا

بغداد، عام ١٩٣٥

---

[1] الذحول: جمع ذحل وهو الثأر.

أول العهـد

أوَّل العهـــدِ بـــالَّتي حَمَّلتنـــي ... شَـــططاً في الهـــوى وأمـــراً فَرِيّـــا[1]

وَضْـــعُ كفّـــي في كفّهـــا تتلظّـــى ... مِـــنْ غـــرامٍ كَمَـــنْ يُنـــاوِل شَـــيّا

رجفَـــت رَجْفـــةً قـــرأتُ التشـــهّي ... فوقَهـــا واضـــحاً بليغـــاً قويّـــا

ثـــم قالـــت بطرْفِهـــا بعـــدَ لَأيٍ: ... عـــن طريـــقٍ ســـهلٍ وصَـــلْتَ إليّـــا!

***

وهـــي ســـمراءُ في التقـــاطيع منهـــا ... يجِـــدُ الحـــالمونَ شِـــبعاً وريّـــا

يـــنفخُ العطـــرَ جِلـــدُها ويســـيلُ الـــدِفءُ في عِرْقِهـــا لذيـــذاً شـــهيّا

لـــو قـــرأتَ الخـــطَّ! الـــذي واســـطَ النهـــدينِ يســـتهدفُ الطريـــقَ الســـويّا!

لَتَمشّـــيْتَ فوقَـــه بـــالتمنّي ... ووصـــلتَ الكنـــزَ الثمـــينَ الخفيّـــا

وتصـــبّاك منتهـــاهُ تصـــبّي ... عـــالَمٍ آخـــرٍ تقيّـــاً نَقيّـــا

بغداد، عام ١٩٣٥

---

[1] الفري: الأمر العظيم.

الصبر الجميل

ذَمْتُ اصطبارَ العاجزينَ وراقني ... على الضُّرِّ صبرُ الواثبِ المتَطلِّعِ

له ثقةٌ بالنفسِ أنْ ستقودُهُ ... لحالٍ يُرجِّي خيرَها أو لمصرع

وما الصبرُ بالأمرِ اليسيرِ احتمالُه ... وإنْ راحَ ملصوقاً به كلُّ مُدَّعي

ولا هو بالشيءِ المشرِّفِ أهلَه ... إذا لم تكنْ عُقباه غيرَ التوجُّع

ولكنَّه صبرُ الأسودِ على الطَّوى ... تُغطّي عليه وثبةُ المتجمِّع

مِحَكُّ طباعٍ آبياتٍ وطُوَّعٍ ... وبَلوى نفوسٍ طامحاتٍ ووُضَّع

يُعنَّى به حُرٌّ لإحقاقِ غايةٍ ... ويَخرُجُ عنه آخرٌ للتضرُّع

فإنْ كنتَ ذا قلبٍ جريءٍ طبيعةً ... على نكبات الدهر لا بالتطبّع

فبورِكَ نسْجُ الصَّبرِ دِرعاً مُضاعَفاً ... وبورِكْتَ من ذي مِرَّةٍ متدرِّع

بغداد، عام ١٩٣٥

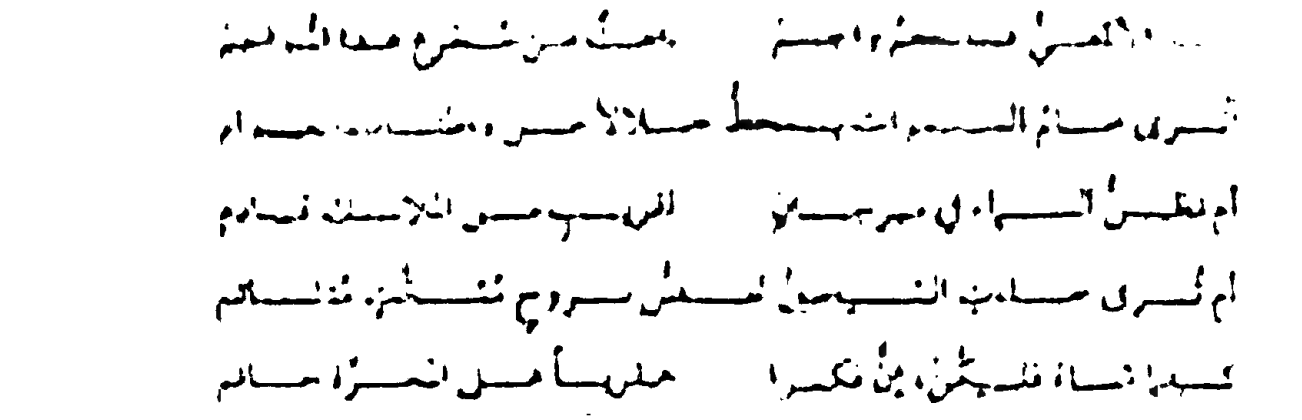

* * *

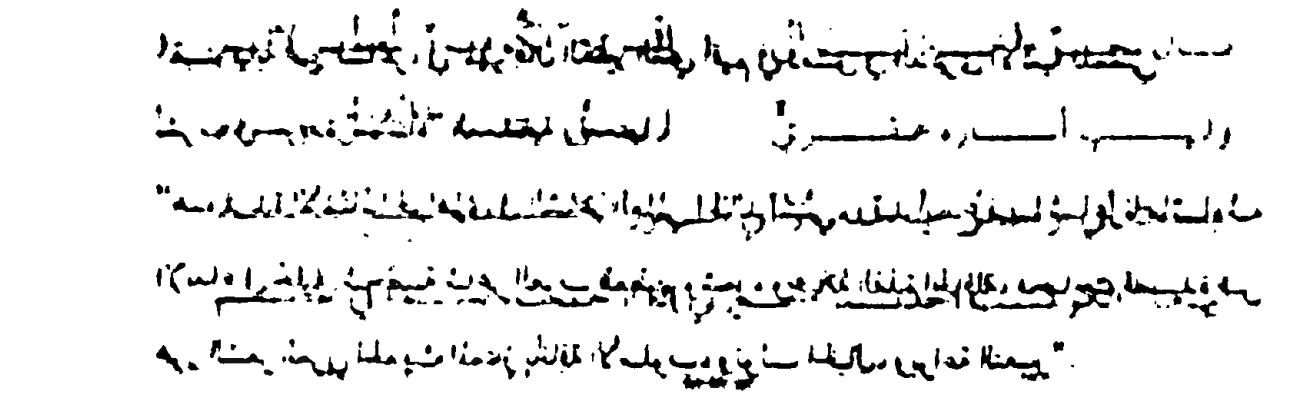

الشاعر الجبّار

(ألفية المتنبي في دمشق)

ألقيت نيابة عن الشاعر، في المهرجان الكبير الذي أقيم في دمشق في الذكرى الألفية للمتنبي.

نُشرت في جريدة "الأنباء" الدمشقية وقدمتها:

"هذه فريدة الأستاذ الجواهري في الشاعر العالمي الخالد المتنبي، وقد أبدع فيها شاعرنا ماشاء له الإبداع في تحليل شخصية شاعر العرب العظيم وشعره وحياته الفذة الحافلة، فجاءت قصيدة من غرر الشعر العربي الحديث الممتاز بأناقة الأسلوب، وتوثب الخيال، وبراعة التعبير".

وُلـد الألمعـيُّ فـالنجمُ واجـمْ باهـتٌ مـن سُـطوع هـذا المُـزاحمْ
أتُـرى عـالمَ السـموات يـنحطُّ جـلالاً عـن واطئـات العـوالم
أم تظـنُّ السـماء في مهرجـانٍ لقريـبٍ مـن الملائـك قـادم
أم تُـرى جـاءتِ الشـياطينُ تخـتصُّ بـروحٍ مُشـكِّكٍ مُتشـائم
كـيفما شـاءَ فلـيكُنْ، إنَّ فكـراً عبقريـاً عـلى المَجـرَّة حـائم

***

قـال نجـمٌ لآخـرٍ: ليـتَ أنّي لِتَـرى "الكُوفـةِ" المُعطّـرِ لاثـم
ولبيـتٍ أنـاره عبقـريٌّ لم ينـوَّر بمثلـه الأفُـقُ، خـادم
ليـت أني بريـقُ عينيـه، أو أني لنـور القلـب المُشِـعِّ مُقاسـم
أيهـا "الكوكـبُ الجديـدُ" تَخَـيَّرْني إذا ارتحـتَ، بسـمةً في المباسـم

***

ولقـد قـال "مـاردٌ" يتلظّـى في جحـيمٍ عـلى البريـة نـاقم:
أزعجـتْ جوَّنـا روائـحُ مـن خُبـثٍ وضَـعفٍ عـلى الثـرى مـتراكم
لا أرى رسـمَ بُـرثُنٍ بـين أظـلافٍ عجـافٍ كثـيرةٍ ومناسـم[1]
أفنسـلُ المَـلاك هـذا ومنـا كـان مـلاك مُـوكَّلاً بـالجَرائم؟
أفهـذا نسـلُ الشـياطينِ والشـيطانُ لم يَـرْبُ في دُمـوع المـآتم[2]
إنَّ فيـه أمـراً عجيبـاً مُخيفـاً ضعفَ مستَغشَـمٍ، وقسـوةَ غاشم

---

[1] البرثن: مخلب الأسد.

[2] ربا: نشأ.

لـو ملكنـا هـذي اللُّحـومَ لكانـت للـذُباب المـنحطّ نِعـمَ الـولائم
وأُرانـا نحتـاج خَلقـاً كهـذا عاصـفاً ثـائراً قـويَّ الشـكائم
فَلْنُرجّـفْ أعصـابَه وهـو يقظـانُ، ونُـزعجْ أحلامَـه وهـو نـائم
ولْنُوجّهْـهُ قِبْلَـةً لا يُلَقّـى عنـدَها غـيرَ حاقـدٍ أو مُخاصـم
ولْنُثِـرْهُ لـيملأ الكـونَ عُنفـاً نَفَـسٌ يُلهـبُ المشـاعرَ جـاحم
أيهـا المـاردُ العظـيمُ تقبّـلْ ضَرَمـاً تستشـيطُ منـه الضـرائم
وسـأُهديك إن تقبَّلـتَ منـي مِعولاً مـن لظـىً.. فإنـك هـادم!!
وسـلامٌ عليـك يـوم تُنـاوِي لـؤمَ أطماعِهـمْ، ويـومَ تُهـاجم

***

بُشِّـر المنجـبُ "الحسـين" بمولـودٍ عليـه مـن الخُلُـود علائـم
سـابحِ الـذهن.. حـالمٍ بالمشـقاتِ، شريـدِ العينـين بـين الغمائـم
وانـبرت عبقَـرٌ تُزجِّـي مـن الجـنِّ وفـوداً مَزهـوةً بالمواسـم
وأتـى الكـونُ "ضَـيفَهُ" بـدويِّ الرعـد يلقـاه لا بسـجع الحمائِـم
عالِمـاً أنَّ صـوت خَلْـقٍ ضـعيفٍ غـيرُ كُـفءٍ لمثـل هـذي الغلاصِـم
فارشـاً دربَـهُ بشـوكٍ مـن الفقـرِ، وجمـرٍ مـن ضِـغنَةٍ وسـخائِم
قـائلاً: هـذه حـدودي تخطاهـا عظـامٌ إلى أمـورٍ عظـائِم
ربـما يُفـرَشُ الطريـقُ بنَشْـر الزهَـر لكـن للغانيـات النَّـواعم

قُبَـــلُ الأُمَّهـــاتِ أجـــدرُ مـــا كانَـــتْ بوجـــهٍ مُلَـــوَّحٍ للســـمائِم

***

ياصـــليباً عـــوداً تحدَّتـــه أنيـــابُ الرزايـــا فـــما اســـتلان لعـــاجم

ورأى المجـدَ خـيرَ ماكـان مَجـداً حـينَ يُستَلُّ مـن شُـدوق الأراقِـم

شـــامخٌ أنـــتَ والحـــزازاتُ تنهـــارُ، وبـــاقٍ وتضـــمحلُّ الشـــتائِم

وحيـــاةُ الأبطـــالِ قـــد يُعْجِـــز الشـــاعرَ تفســـيرُها كحَـــلِّ الطَلاســـم

ربَّـــما استَضـــعَفَ القـــويُّ سَـــديدَ الـــرأي يأتيـــه مـــن ضـــعيفِ مُســـالِم

***

أيُّ نَفْـــس هـــذي التـــي لا تعُـــدُّ العمـــرَ غُـــنْماً إلا بظِّـــلِ المَغـــارِم

تَطـرَحُ الخفـضُ تحـت خُـفِّ بَعـيرٍ وتَـرى العـيشَ نـاعماً غـيرَ نـاعِم

وَتَلَـــذُّ الهجـــيرُ تحسَـــب أنَّ الـــذلَّ يجـــري مـــن حيـــثُ تَجـــري النســـائِم

وتـــرى العِـــزَّ والرجولـــةَ وصـــفينِ غـــريبَينِ عـــن مُقـــيمٍ مـــلازِم

كـــلُّ مـــا تشـــتهيهِ أن تصـــحَب الصـــارمَ عَضْـــباً، وأن تَخُـــبَّ الرواسِـــم[1]

هكـــذا النـــابغونَ في العُـــدْمِ لم تُرضِـــعْهُمُ الغُـــنْجَ عاطفـــاتٌ روائِـــم

ونبـــوغُ الرجـــال أرفـــعُ مـــن أنْ يحتويـــه قصْـــرٌ رفيـــعُ الـــدَعائِم

إنـــما يَبعَـــثُ النبـــيَّ إلى العـــالَمِ بيـــتٌ مُهَفْهَـــفُ النـــورِ قـــاتِم

***

[1] الرواسم: النوق.

"كِنـــدةٌ" أيـــنَ؟ لم تُبـــقِّ يَـــدُ الـــدهرِ عليهـــا ولا تَـــدُلُّ المَعـــالم؟
لم تُخلِّـــفْ كـــفُّ الليـــالي مـــن "الكوفَـــةِ" إلا مُحرِّقـــاتِ الركـــائم
أحصـــيدٌ دورُ الثقافـــةِ في الشـــرقِ ألا يَسْـــتَبينُ مـــنهنَّ قـــائِم؟
أيـــنَ بيـــتُ الجبّـــارِ بـــاقٍ عـــلى سَـــمعِ الليـــالي ممـــا يقـــول زمـــازِم؟[1]
"جُعـــف" منســـيَّةٌ أفـــاض عليهـــا مـــا كـــانَ في أُمـــيٍّ و"هاشـــم"[2]

لســـت أدري "أكوفـــةُ" المتنبِّـــي أنجبتـــه، أم أنجبتـــه العواصِـــم
غـــيرَ أنَّ النُّبـــوغَ يَـــذوي وينمـــو بـــين جـــوّ نَـــابٍ وجـــوٍّ ملائـــم
"حَلَـــبٌ" فتّقـــت أضـــاميمَ ذهـــنٍ كـــان مـــن قبـــلُ "وردةً في كمائِـــم"

***

أيُّ بحـــرٍ مـــن البيـــان بـــأمواجِ المعـــاني فياضـــةً، مـــتلاطِمَ
كَـــذَبَ المـــدَّعونَ معنـــىً كـــريماً في قـــوافٍ مُهَلهـــلاتٍ ألائِـــم
وَهَـــبِ اللفـــظِ سُـــلَّماً فمتـــى استحســـنتِ العـــينُ واهيـــاتِ الســـلالِم؟
حُجَّـــةُ العـــاجزين عـــن منطـــق الأفـــذاذِ يُخفـــون عجـــزَهم بـــالمزاعِم!

***

روعـــةُ الحـــرب قـــد خلَعـــتَ عليهـــا روعـــةً مـــن نســـيجك المـــتلاحِم

---

[1] زمازم: جمع زمزمة وهي الصوت البعيد وتتابع صوت الرعد.

[2] جعف: قبيلة الشاعر.

شـعَّ بـين السـطور ومـضُ سِـنانٍ ثـم غَطَّـت عليـه لَمعـةُ صـارِم
وصـهيلُ الجيـاد تعثُـرُ بالفُرسـانِ في السَّـمعِ منـه مثـلُ الغماغـم
مـا "ابـنُ حمـدان" إذ يقـودُ مـن المـوتِ جيوشـاً تُزجـى لمـوتٍ مُـداهِم
بـالغٌ مـا بَلَغْـتَ في وصـفك الجيشَـيْن إذ يقـدحانِ زَنـدَ الملاحِـم
إذ يضُـمُّ القلـبُ الجَنـاحَ فترتـدُّ الخـوافي مَهيضـةً والقـوادِم
وفِـراخُ الطُيـور في قُلَـلِ الأجيـال تَهـدي لهـا الظنـونَ الـرواجِم
لـكَ عنـد الجُـرْدِ الأصـائِلِ دَيْـنٌ مُسـتَحقُّ الأداءِ في النَسـل لازِم
كـم أغـرَّ "مُحَجَّـلٍ" ودَّ لـو يُهـديكَ مـا في جَبينـه والمعاصِـم

***

واجتلينـا شـعرَ الطبيعـةفي شـعرك تَفْـتَّ عـن ثغـورٍ بواسِـم
شِـعْبُ "بـوَّانَ" لا تَخيُّـلُ فنّـانٍ غَنـيٌّ عنـه، ولا ذِهْـنُ راسِـم
مَتعـةُ الشـاعرِ المفكِّـرِ يقظـانَ ومَسْـرى خَيالِـهِ وهـو حـالِم
لا تَعَفَّيْـتَ مـن "مَمَـرٍّ" كـريمٍ خلَّـدَتْكَ المُحسَّـناتُ الكـرائِم

***

إيـهِ خصـمَ الملـوك حتـى يُقيمـوا لـك أُمثولـةَ النَّظـيرِ المُـزاحِم
عَضُـدُ الدولـةِ استشـارَك بـالإعزازِ واللُّطـفِ يـا عـدوَّ الأعـاجِم
رُحتَ عنـه وأنـت خَـوفَ اشتياقٍ لِسِـواه عـلى فُـؤادِكَ خـاتِم
إنَّ ذاك الـوَداعَ كـان نـذيراً بحِـمامٍ دلَّـتْ عليـه عَلائِـم

***

فلتُحـــيِّ الأجيـــالُ مَغنـــاكَ بالرَّيحـــانِ، وَلْتَلْثِمْنـــهُ وهـــي جَـــوائِم

رَمْـــزُ "قَوميَّـــةٍ" بَنتـــهُ البَـــوادي مُشـــمخرَّ البِنـــاء، ثَبْـــتَ الـــدعائم

بـــدويَّ المُنـــاخِ أرهـــفَ منـــه الحِـــسَّ جـــوٌّ مُشَعْشَـــعٌ غـــيرُ غـــائِم

"لِدمشـــقِ" يَـــدٌ عـــلى الشِـــعرِ بيضـــاءُ بـــما زيَّنَـــتْ لـــه مـــن مَواسِـــم

وســـلامٌ عـــلى النبـــوغِ ففـــيما تَسْـــقُط الـــذكرياتُ فهـــو يُقـــاوِم

بغداد، عام ١٩٣٥

أنشدها الشاعر في الحفلة التي أقامها "رفائيل بطي"، صاحب جريدة "البلاد" لإبراهيم عبد القادر المازني وأسعد خليل داغر.

نشرت في جريدة "البلاد" بعنوان:

"جوهرة فريدة يتلألأ فيها الفن والذوق

الجواهري الشاعر الفياض العاطفة يداعب المازني الشاعر الحساس"

وفي مكان آخر من الجريدة نشرت لقطات عن الحفلة قالت في إحداها:

"شوهد الأستاذ الجواهري شارد العينين إلى السقف غائباً عن المجلس بكلّه. فكانت علامة واضحة تنذر وتبشر. فالجواهري أما عاصف ثائر، وأما ملاطف مداعب، ولكلتا الظاهرتين محل من الإعراب في مثل هذا الحفل..

فأيَّ الرجلين سيكون؟!

قلق الجواهري كثيراً.. ثم قام فخرج إلى بهو الدار ثم رجع. ولكن بعد أن نسفت الفاكهة نسفاً، وبعد أن رفعت الصحون وفيها صحن لم يمس لأن صاحبه كان مشغولاً بالشعر!".

رفائيـــلُ دارُك قـــد أشرَقَـــتْ بأســـعدَ داغـــرَ والمـــازني[1]

بفَـــذٌّ يناضـــلُ عـــن أمَّـــةٍ و فَـــذٌّ لآدابهـــا حاضِـــن

و إني لمســـــتأذنٌ أســـــعداً بـــما قـــد يشِـــقُّ عـــلى الآذِن

إذا مـا خَصصْـتُ فتـى "مـازنٍ" بضـربٍ مـن الكَلِـمِ الفـاتِن

فـإنَّ السياســةَ قـد حَجَّبـتْ فتـى مصـرَ بـالبُرقُعِ الـداكنِ

وطبـعُ السـياسيِّ جـمُّ الغمـوض فـلا بـالصـريح ولا الـداهن

***

"أأســعدُ" إنَّ حـديثي إليـكَ حـديثُ مقـيمٍ إلى ظـاعِن

حـديثُ أخٍ لـك مسـتأنسٍ للُطـفِ مُسـامِره راكِـن

أخـافُ السياسـةَ خـوفَ اللـديغِ مـن أرْقـمٍ نـافخٍ شـاحِن

ومـا زال جَـدعٌ بليـغُ الوضـوح منهـا يَلـوحُ عـلى مـارني[2]

فقبلَـك طاوعـتُ مـن أهلِهـا صـديقاً إلى مَصـرَعي قـادني

أرانيَ مظهـرَ ذي نخـوةٍ كفيـلٍ بـما أرتجـي ضـامن

وأسـلَمَني عنـد جِـدِّ الخطـوبِ كـأني قلـتُ لـه عـادِني

---

(1) تحية "ابراهيم عبد القادر المازني" و"أسعد خليل داغر" ضيفي العراق.

(2) المارن: الأنف.

فـــما كنـــتُ بالمُصْـــطفي وُدَّه ولا كنـــتُ للـــنفس بالصـــائِن

وهـــا أنـــا أرزحُ في كَلْكَـــلٍ مُنـــيخٍ عـــلى نَفَسـي رائِـــن[1]

فعُـــذراً فـــما أنـــا إذ أتّقـــي رجـــالَ السياســـة بالمـــائن[2]

غمـــوضُ السياســـةِ يبـــدو عليـــكَ في مظهـــر الهـــادئ الســـاكن

عـــلى حـــينَ قـــد وَضَـــح المـــازني وضـــوحَ الســـماوات للكـــاهن

نظـــرتُ بعينيـــكَ إذ يشـــرُدان ووجهِـــك ذي الدَّعَـــة الآمِـــن

فـــأنكرت قولـــك: ماصـــاغَني "قبيحـــاً ســـوى عبـــثِ المـــاجن"[3]

وطالعـــتُ آثـــارك الناطقـــاتِ بـــما فيـــك مـــن جـــوهر كـــامِن

وظـــاهِر لفـــظٍ رقيـــقِ الـــرُّواءِ لطيـــفٍ يَـــدُلُّ عـــلى البـــاطن

لقـــد شـــبَّه العُـــربُ حســـنَ البيـــانِ والشـــعرِ في الـــزمنِ البـــائِن

بـــبَرْدِ النَّمـــير وصَـــفو الغـــدير يُمـــرَّان بالعـــاطشِ الســـاخنِ

---

(١) ران على قلوبهم: غطى عليها، والرائن صفة منه.

(٢) المائن: الكاذب، والمين الكذب.

(٣) إشارة إلى قول المازني:

انظر إلى وجهي القبيح الشثيم تحمد على وجهك رب الفنون

تعلم بأن الله ما صاغني كذاك إلا رغبة في المجون

وأحسِـــنْ بتشـــبيه قـــومٍ بُـــداةٍ تعـــيش عـــلى طَـــرَقٍ آســـن

فحاولـــتُ تشـــبيهَها بالجديـــدِ يُؤخَـــذُ مـــن وضـــعنا الـــراهن

بكـــأسٍ تَـــرُدّ شرودَ الجـــمِام لـــذي سَـــفرٍ مُتعَـــبٍ واهـــن

وذائِـــبِ زَهـــرٍ عـــلى سَلْسَـــلٍ يُصَـــبُّ عـــلى رَهَـــلٍ بـــادِن

بغداد، عام ١٩٣٦

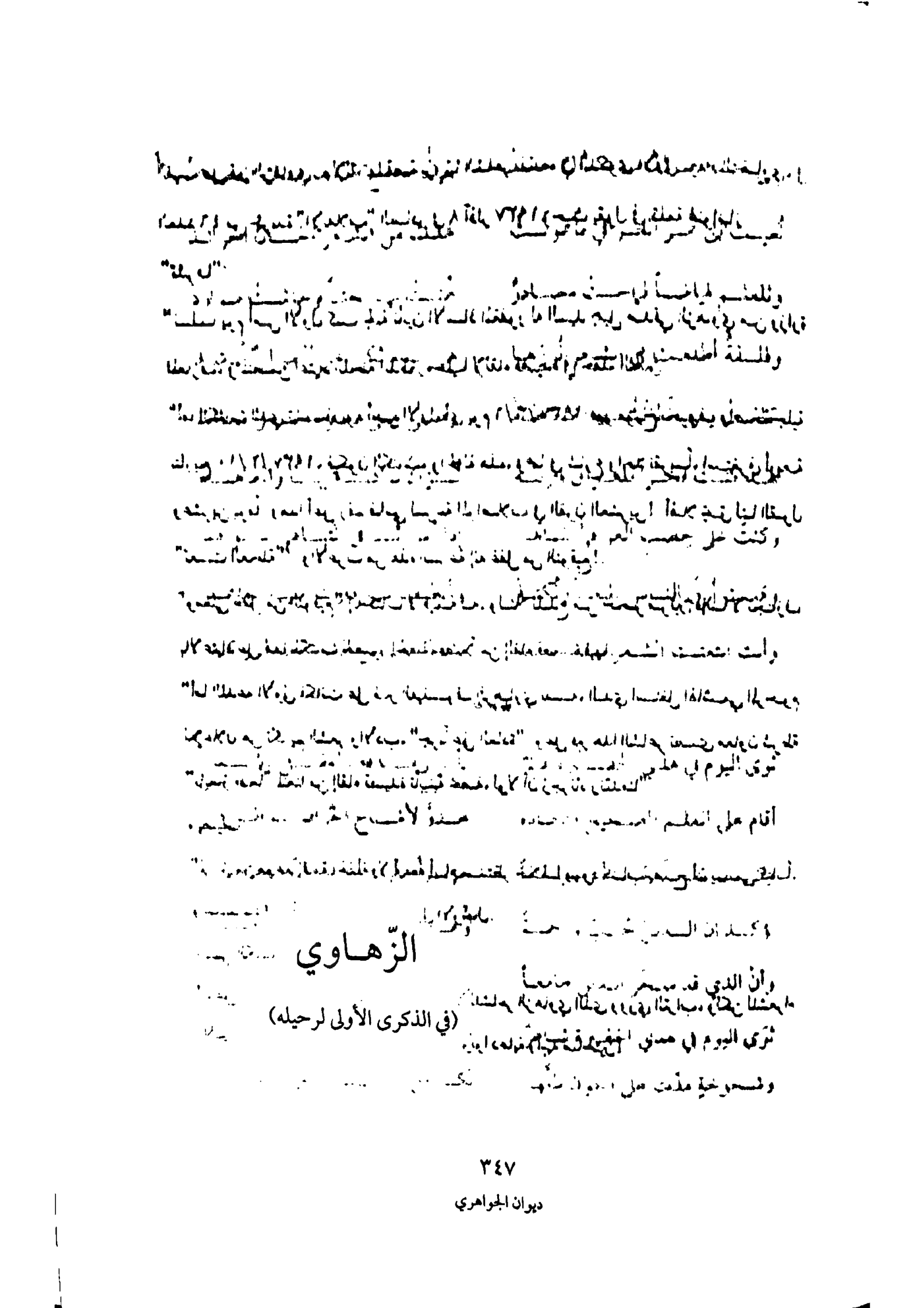

الزّهـاوي

(في الذكرى الأولى لرحيله)

أُلقيت على قبر الزهاوي. ولإلقائها قصة يرويها الشاعر نفسه، في الذكرى الأولى لوفاة الزهـاوي، في العدد ٤٦ من جريدة "الإنقلاب" الصادر في ٨ آذار ١٩٣٧، حيث يقول في كلمة عنوانها:

"تشرفنا":

"تسلمنا يوم أمس الأول كتب لجنة تأبين الأستاذ المغفور له السيد جميل صدقي الزهاوي مـن وزارة المعارف، والمتضمن اعتماد اللجنة المذكورة علينا لإلقاء قصيدة في حفلة التأبين.

"أما الكتاب الذي تسلمناه يوم أمس الأول أي يوم ٦/ ٣/ ١٩٣٧ فهو مؤرخ بحروف واضحة جلية بتاريخ ١٠/ ٢/ ١٩٣٧، فيكون الكتاب، والحالة هذه، وهما في شارع واحد تقريبـاً، اسـتغرق أربعـة وعشرين يوماً. وهذا أعلى رقم قياسي لسرعة المواصلات في القرن العشرين!. أفـلا يحـق لنـا القـول "تعست العجلة"!. والأغرب من هذه السرعة إنه غفل من التوقيع!.

"ومعنى غفل من التوقيع" إنه كتاب لا قيمـة لـه. ولـئلا نلـدغ مـن جحـر مـرتين فإننـا لا نجـازف بالاعتماد على هذا الكتاب لحضور الحفلة، فضلاً عن إلقاء قصيدة فيها.

"أما اللدغة الأولى فكانت على قـبر الفيلسـوف الزهـاوي نفسـه، الـذي اسـتغل الهاشـمي المرحـوم للإعلان عن تكريم الشعر والأدب، "جرياً على العادة". وعلى قبر هذا الشاعر تصدى معاون شرطة "بإيعاز طبعاً" لمنعنا من إلقاء قصيدة تأبينية محضة، لولا أن زجرناه وتقدمنا".

ويضيف:

"لم يبق من موعد إقامة الحفلة إلا أربعة أيـام سـننتظر خلالهـا ورود كتـاب يصـح أن يسـمى كتاباً. وعندئذ سنكون أقرب الشعراء قريحة إلى الارتجال.

وينهي الكلمة بالقول:

"وعلى كل حال فإننا نسلف الرثاء والتأبين لا للشاعر الزهاوي الذي ووري التراب، ولكن للشعراء الأحياء الذين ينتظر موتهم بفارغ الصبر، ليكونوا دعاية وأبهة صالحتين!

"وإلى اللقاء – يوم الاحتفال!".

على رُغْم أنفِ الموتِ ذكرُك خالدُ ... ترِنُّ بسَمع الدهر منكَ القصائدُ

نُعيتَ إلى غُرِّ القوافي فأعولَتْ ... عليك من الشعر الحسانُ الخرائد

وللعِلم فياضاً فماجَتْ مصادرٌ ... عُنيتَ بها بحثاً وجاشَتْ موارد

وفلسفةٌ أطلعتَ في الشعر نُورَها ... هي اليومَ تُكْلى عن "جميل" تُناشد

حَلفتُ يميناً لم تَشُبْها اختلاطةٌ ... وقلبي على دعوى لسانيَ شاهد

لقد كنتَ فخراً للعراق وزينةً ... تُزانُ نواديه بها والمعاهد

وكنتَ على خِصبِ العراقيِّ شاهداً ... إذا أعوزتنا في التباهي شَواهد

وكنتَ أرقَّ الناس طبعاً ونُكتةً ... وألطفَ من دارَتْ عليه المقاعد

وأنت ابتعثتَ الشعرَ بعد خُموله ... نشيطاً فحوضُ الشعر بعدك راكد

***

ثوى اليومَ في هذي الحفيرة عالِمٌ ... بأسرارها الله بالعقل ناشد

أقامَ على العلمِ الصحيح اعتقادَه ... عَدوٌّ لأشباح الخُرافات طارد

وكانَ نقيّاً فكرةً وعقيدةً ... عزيزاً عليه أن تَسِفَّ العقائد

يؤكد أن الدينَ حُبٌّ ورَحمةٌ ... وعدلٌ وأن اللهَ لا شكَّ واحد

وأنَّ الذي قد سخَّر الدينَ طامعاً ... يتاجرُ باسم الله، لله جاحد

ثوَى اليومَ في هذي الحفيرة شاعرٌ ... على الظلم محتجٌّ عن العدل ذائد

وشيخوخةٍ مدّت على الكون ظلَّها ... تُكافحُ عن آرائها وتجالِد

***

أبـا الشـعرِ، إنَّ الشـعر هـذا محلُّـه ... فقد نصَّت الأسماع والجمعُ حاشِـد

وهذي جيوشُ العلم والشعر تبتغي ... لهـا قائـداً فـذاً فهـل أنـتَ قائـد؟

فـأين قصـيدٌ قـد نظَمـتَ فريـدَه ... وأينَ مـن الشـعر البـديعِ الفرائـد؟

وأيـن النكـاتُ المؤنسـاتُ كأنهـا ... حـدائقُ تُسـقى بالنـدى وتعـاوِد؟

وأيـن العيـونُ اللامعـاتُ زكانـةً ... رغائـبُ تبـدو فوقهـا ومقاصـد؟

***

"جميـلٌ" أعـانَ الرافـدين بثالـثٍ ... مـن الشـعر تُنميـه بحـورٌ رَوافـد

وكـان حيـاةً للنفـوس ورحمـةً ... تُغاثُ بهـا هـذي النفـوسُ الهوامـد

تطاوعـهُ غُـرُّ المعـاني كأنهـا ... وصـائفُ في زيناتهـا ووَلائـد

***

أقـولُ لـرهطِ الشـعر يبغـون باعثـاً ... عليـه تُثـير الشـعر هـذي النضـائد

هلُمُّوا إلى قبر "الزهـاويِّ" نقتـنصْ ... بـه نَفَسـاً مـن رُوحـه ونُطـارِد

وإن خيـالاً يمـلأُ الشـعرَ رَهبَـةً ... سـكونٌ عـلى قـبرِ الزهـاويِّ سـائد

وحجُّـوا إلى بيـتٍ هـو الفـنُّ نفسُـه ... أنارَتْ "فَنيسٌ" ساحَه و"عُطـارد"

فـإن بيـوتَ الشـاعرين مناسِـكٌ ... وإنَّ قبـورَ النـابغينَ معابـد

***

أبــا الشــعر والفكــرِ المنبِّــهِ أمــةً ... عزيــزٌ علينــا أنــكَ اليــومَ راقــد

وأن الــذي هــزَّ القلــوبَ هوامــداً ... وحرَّكَهــا في الــتُّرب ثــاوٍ فهامــد

وأنَّ فــؤاداً شــعَّ نــوراً وقــوَّةً ... هــو اليــومَ مُسْــودُّ الجوانــب بــارد

فهل أنتَ راضٍ عــن حَيــاة خبرتَهــا ... ممارســةً أمّ أنــت غضــبانُ حــارِد

أضــاعوك حيــاً وابتغــوك جِنــازةً ... وهــذا الــذي تأبــاه صِــيدٌ أماجــد

بغداد، عام ١٩٣٦

ما سلمت تلدي بما شرب ... لكن لمثلك ما ترحمت ولا رثى

هل انخضعت لك الصعاب ... أم أنت عما قد قدرت تنزل

صعب المرام على الطلب ... سهل إذا ما الحق فيك تأملا

لما سخرت سوى الذي ... هلا ترياق السر بالغلب

يا التي حازت فرنسا ... لو حملتي الدهر أخلصت

وكذا طبيعة كلهم ... من لا لسان بثلبه مغتصب

وعدي الدهر أن يدرك ... إن لم أنهه بسوء مقتلي

أصمته وأخرست ألسنا ... كشعراء تتبع بالمثالب

أنزله من سلم المعالي ... بتسرع للارتقاء بثالث

فلئن أطلع متقدمون منا ... لهم مثال واحتذت لمعرب

إن أزر ملكاً بدولة ... عصر فسرح الطرف المعرب

وتناقضني نساء الثلث ... لم تتقم ما حسن وما لثمن

منهن من الأمر لي منكراً ... لست أنا

مـا حطَّمـتْ جَلَـدي يـدُ النُـوَبِ ... لكـــنْ تَحطَّمَـــتِ النوائـــبُ بي

قـلْ للخطـوبِ إليـكِ فابتعـدي ... ألمســـتِ بي ضَـــعْفاً لتقـــتربي

هتفـــتْ ليَ الأهـــوال تطلُبنـــي ... فـــبرزتُ حُـــرّاً غـــيرَ متقِـــب

أنـــا صـــخرةٌ مـــا إن تخـــوِّفُني ... هـــذي الريـــاحُ الهـــوجُ بالصَّـــخَب

إنَّ الليـــالي حاوَلَـــت ضَرَعـــي ... فوجـــدْنَني مُتعسِّـــرَ الحَلَـــب

وَجَـدْنَ غَـرْبَ شـكيمةٍ عَسُـرَتْ ... عـــن أن تُنـــال بعُنـــف مغتصِـــب[1]

***

و مهـــدِّدي بالشـــرِّ يُنـــذرني ... إن لم أُطِعْـــه بســـوء مُنقلَـــب

أخجلْتُـــه بالضِّـــحك أحسَـــبهُ ... كمُخـــوِّفٍ للنَبـــع بـــالغَرَب

أدنَيتُـــه مـــن صـــدرِ مُضـــطلِع ... بالســـرِّ لـــلأرزاءِ مُرتَقِـــب

قلـــتُ اطَّلِـــعْ فلقـــد تَـــرَى عَجَبـــاً ... فيـــه، فقـــالَ وأعجَـــبَ العَجَـــب

إني أرَى قلبـــاً يـــدورُ عـــلى ... جَـيشٍ كمـوجِ البحـر مُضـطرِب

***

ومُناشِـــدي نَسَـــباً أمُـــتُّ بـــه ... لم يـــدرِ مـــا حَسَـــبي ومـــا نَسَـــبي

عنـــدي مـــن الأمـــواتِ مفخـــرةٌ ... شـــمّاء مُرْبيـــةٌ عـــلى الطَلَـــب

---

[1] الغَرْبَ: السيف والغرب واللسان. الشكيمة: الحديدة في فم الفرس. والشاعر يكني بغرب شكيمة عن قوته وشدة بأسه.

لكـــن أنِفـــتُ بـــأنْ يُعيـــدَ فمـــي ... للنـــاس عهـــدَ الفَخـــر بالعَصَـــب

حســـبي تجاريـــبٌ مَهَـــرتُ بهـــا ... وإلى البلايـــا الســـودِ مُنتسَـــبي

ويـــذي وتلـــك كِفـــايتي شَرَفـــاً ... يُـــرضي العُـــلا ويَسُـــرُّ قـــبرَ أبي

***

هـــــذا التعنُّـــــتُ في تَبصُّـــرِه ... متوقِّـــــداً كتوقُّـــــد اللَّهَـــــب

إذ لا يلائـــــمُ مَعـــــدِني بَشَـــرٌ ... مـــا لم يكُـــنْ مـــن معـــدِنٍ صُـــلُب

الفَضـــلُ فيـــه لِلَبْـــسِ خِشِـــنٍ ... عُوِّدتُـــه، ولِمَطعَـــمٍ جَشِـــبِ[1]

ولوالـــدٍ وُرِّثـــتُ مـــن دَمِـــه ... محـــضَ الإبـــاء وسَـــورةِ الغَضَـــب

عنـــدي مـــن الجَـــبَروت أصـــدَقُه ... أُبديـــه للمُتجـــبِّرِ الكَـــذِب

لا أبتغـــي خصـــمي أُناشـــدُه ... عَفْـــواً، ولا أطـــوي عـــلى سَـــغَب

حـــربٌ لـــذي صَـــلَف؛ وذو أدبٍ ... ســـهلُ القِيـــاد لكـــلِّ ذي أدَب

***

ولقـــد أرى في مـــدحِ مُنتَقِصـــي ... لرغيـــدِ عـــيشٍ أحسَـــنَ السَـــبَب

ليُحِلَّنـــي مـــن بَعـــد مَســـغَبةٍ ... في ذي زُروع مُعشِـــبٍ خَصِـــب

فتلـــوحُ لي نَفْســـي تهـــدِّدُني ... أشـــباحُها بالويـــل والحَـــرب

فـــأعودُ أدراجـــي أرى سَـــعَةً ... وعِـــمارةً في عُشّـــيَ الخَـــرب

---

[1] الجشب: الخشن.

إني بلَـــوتُ الـــدهرَ أعذَبَـــه ... وأمَـــرَّه في الـــرَوح والنَصَـــب

فوجـــدتُني أدنـــى إلى ضَـــجَر ... لكلـــيهما، وأحـــبَّ للوَصَـــب

مـــابَينَ جنبـــيَّ اللـــذين هُمـــا ... قَفَـصُ الهمـوم ومَجمَـعُ الكُـرَب

قلـــب يَـــدُقُّ إلى العَنـــا طَرَبـــاً ... ويَحـــنُّ مشـــتاقاً إلى التَعَـــب

***

وأخٍ تلائمنـــــي مَشـــــارُبه ... وطباعُـــه في الجـــدِّ واللَّعِـــب

أنكـــرتُ ضَـــعفاً في شـــكيمتِهِ ... ومرونـــةً تـــدعو إلى الرِيَـــب

فطرَحْتُـــه أخشـــى عـــلى شَـــمَمي ... عَـــدوى ليـــانٍ منـــهُ مُكتسَـــب

ودفنتُـــه لا القَلـــبُ يَنشُـــده ... أســـفاً ولا دَمْعـــي بمنسَـــكِب

بغداد، عام ١٩٣٦

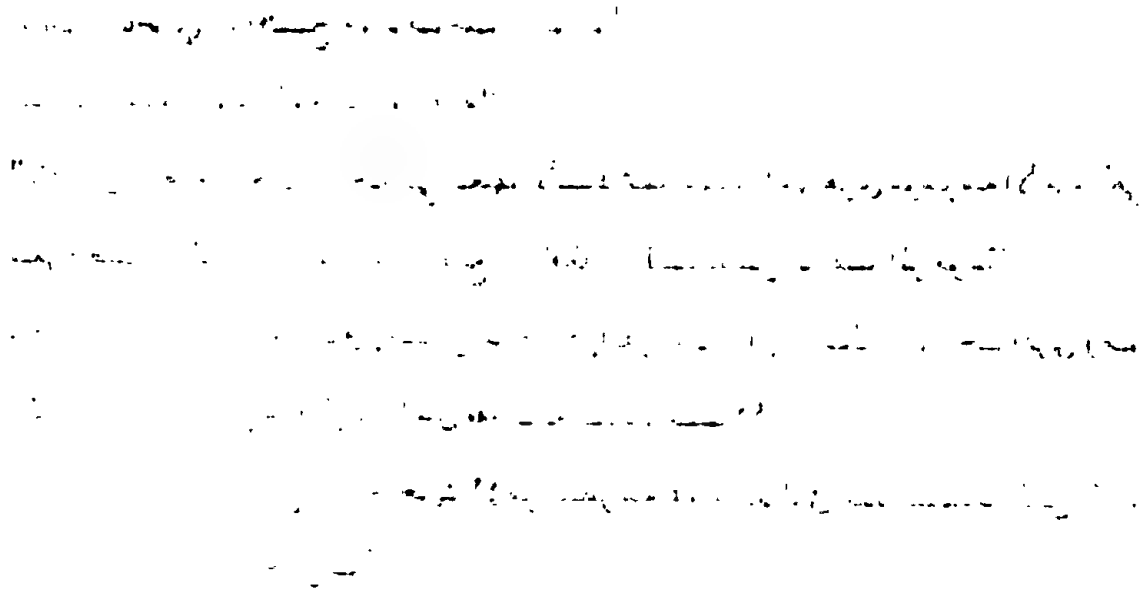

يابـدر داجيـة الخطوب

نظمها الشاعر في رثاء الشيخ جواد صاحب "الجواهر".

نشرت في مجلة "الهاتف" وقدّمت لها بقولها:

"لا ندري ما هذه الألحان الشجية التي يبعثها الأستاذ محمد مهدي الجواهري موشوشة الأنغام. أهي شعر فاضت به النفس الشاعر. أم هي قطع متساقطة من قلب تفيض بها نفسه الموجوعة؟

وإذا كان إحساس الشاعر يفوق إحساس غيره – كما يقولون – فماذا ننتظر من الجواهري وهو الشاعر الشاعر في مثل هذا الموقف الذي فقدت به البلاد زعيمها؟؟

وماذا ننتظر من قلبه الملتاع ونفسه الحزينة؟؟ هل ننتظر منه غير ما نقرأه في هذه القصيدة التي تكاد تكون ألفاظها دموعاً وحسرات".

هتَفـوا فأسـنَدَتِ اليـدانِ ضـلوعي ... وشَرِقتُ بالحسراتِ قبـلَ دُمـوعي

وأصَـخـتُ سَـمعاً للنُعـاة وليتَنـي ... من أجل يومِكَ كنـتُ غـيرَ سـميع

قـالوا تماثـلَ للشِـفاء بِشـارةً ... سَكَنت لها روحـي وأُفـرَخَ رُوعـي

وحَمِـدْتُ أنَّ المجـدَ غـيرُ مُباحـةٍ ... سـاحاتُه، والبيـتَ غـيرُ صَـديع

حتـى إذا طـارَتْ بأجنحـةِ الهَنـا ... والبشـرِ نفـسُ مُغـرَّرٍ مخـدوع

أبـتِ القـوارِعُ أن تُميـلَ طريقَهـا ... عنـي، فعُـدت لسِـنِّيَ المقـروع

خُلِـعَ الرجـاءُ وحـلَّ يـأسٌ عـابسٌ ... جهـمٌ مَحَـلَّ مُنـافِسٍ مَخلـوع

وتقهقهـرَتْ زمَـرُ الأمـاني وانجلَـتْ ... عَرَصـاتُها عـن مُـثخَنٍ وصَريـع

فـإذا بآمـالي ومـا خـادَعتَني ... كمؤمِّـلٍ سَـفَهاً سرابَ بَقيـع

وإذا بقلبـي يسـتفيضُ نجيعُـه ... وإذا بعينـي تَسـتَقي بنجيـع

كُنّـا نشـكّكُ في البُكـاء وصِـدقِه ... إذ كـانَ أكثـرُه بغـيرِ شَـفيع

ونَـرَى الصـيانةَ للـدُموع رجُولَـةً ... حتـى يُـرى سـببٌ إلى التضـييع

فـالآنَ تصـدُق دمعـةُ البـاكي إذا ... نَزَلـتْ عليـكَ وأنـهُ الموجـوع

والآنَ ينـزِل كـلُّ طالـبِ حاجـةٍ ... في قفـرةٍ ليسـت بـذاتِ زُروع

والآن تفتَقِـدُ الـبلادُ مُحَنَّكـاً ... يُحتـاجُ في التنفيـذِ والتشـريع

والآن تَلـتَمسُ العيـونُ فـلا تـرى ... أثـراً لوجـهٍ رائـعٍ ومُريـع

***

يـا قـبرَ مـن لم يَمـتَهِنْ بضَـراعةٍ ... بـادٍ عليـكَ تضـرُّعي وخُشُـوعي

يـا بـدرَ داجيـةِ الخطـوبِ ونورِهـا ... أعـزِزْ بأنـكَ غِبـتَ لا لِطلـوع

خلَّفـتَ بغـداداً عليـكَ حزينـةً ... تسـتقبِلُ الـدنيا بوجـهِ هَلـوع

تتجـاوبُ الأسـلاكُ في جَنَباتهـا ... بـوميضِ بَـرقٍ للنَعِـيِّ سَريـع

ضَـغطَت هُنـا كـفٌّ عـلى أزراره ... تُنبـي بخطـبٍ في العـراقِ فَظيـع

شَـكَتِ السياسـةُ فقـدَ مُضـطلِع بهـا ... فـذٌّ بحَـلِّ المُشـكلات ضَـليع

والساسـةُ الأقطـابُ بعـدَك أعوَلَـت ... عـن فقـدِ قـوّامٍ بهـم وقَريـع

مارسـتُ أصـنافَ الرجـالِ درايـةً ... مـن تـابعٍ مـنهم ومـن مَتبـوع

ونفَـذتُ للأعـماقِ مـن أطبـاعهم ... إذ كنـتُ بالأشـكال غـيرَ قَنـوع

فـاخترتُ لي مـن بيـنهم مجموعـةً ... ووجـدتُك المختـارَ في المَجمـوع

لله درُّك مـن بنـاء طبيعـةٍ ... مـن كـلِّ أجـزاءِ العُـلا مصـنوع

مُستشـرفٍ يُعشـي العيـونَ شُـعاعُه ... مُـوفٍ عـلى مـن رامَـه مَرفـوع

كنـتَ الشُّـجاعَ طبيعـةً وسَـجيَّةً ... إذ يـنهضُ الجبنـاءُ بالتشـجيع

كنـتَ المقـيمَ على التجـارِب رأيـه ... ويقيمـهُ غِـرٌّ عـلى المَسـموع

كنـت الـرزين إذا الحلُـوم تطـايَرَتْ ... وأُعـيرَ أهـل الصـبرِ ثـوبَ جَـزوع

وإذا الخطوبُ استحكَمَتْ حلقاتُها ... شـنعاءُ تحصِـب مـن تَـرى بشَـنيع

كنـت السَـمَيذَعَ تنجلـي بشُـداتِه ... ظلُـماتُ مُسـودِّ الـرُواق هزيـع[1]

صَـقْرٌ يضـيق مَطـارُه بجناحـه ... حتـى يخـالُ الجـوَّ غـيرَ وسـيع

---

[1] السميذع: السيد الكريم، والهزيع: قطعة في الليل.

متفـــرِّدٌ يربـــو علـــى أقرانـــه بـــأعزِّ سَـــمتٍ في الســـماءِ رَفيـــع

ردَّتْ مخالبَهـــا إليـــه فردَّهـــا خُمْـــراً مُقلَّمـــةً مـــن التقريـــع

نصـــبَ القضـــاءُ لصـــيدهِ أشـــراكَه فَهَـــوَى وكـــلُّ محلَّـــقٍ لوُقـــوع

***

البيـــتُ بيتـــي أُســـرِجتْ ســـاحاتُهُ بشـــموعٍ مُمتدِحيـــه لا بشـــموعي

فـــإذا أسِـــيتُ فحرقـــةٌ لقبيلـــةٍ نُكِبَـــتْ بأســـيافٍ لهـــا ودُروع

أيـــن المصـــابيحُ الـــذين كـــأنَّهم زُهْـــرُ النجـــوم بغَيبـــةٍ وطُلـــوع

مـــن كـــل رَكَّـــاضٍ إلـــى غاياتِـــه رَسْـــلاً بسـرِّ جُـــدودِهِ مـــدفوع

ومُفـــوَّهٍ كالفحـــل عنـــدَ هـــديره فَـــذَّ البيـــان يفـــيضُ مـــن يُنبـــوع

هـــذي القُبـــور قصـــيدةٌ مفجوعـــةٌ غنِيـــتْ قوافيهـــا عـــن التقطيـــع

لم تـــرمِ بي قَـــدَمي هنـــا إلاّ جَـــرَت مـــن ذِكريـــاتِ الســـالفينَ دمـــوعي

وكـــأنني بشُخوصـــهم في مَحضـــرٍ دانٍ، بعيـــدٍ، ســـائغٍ، ممنـــوع

شـــيئانِ تفتقـــرُ الـــبلادُ إلـــيهما خِصبُ الرجالِ بها وخِصبُ ربيع

مُلـــكُ الجميـــعِ حيـــاةُ فَـــذٍّ واحِـــدٍ كـــان المصـــابُ بـــه مُصـــابَ جميـــع

بغداد، عام ١٩٣٦

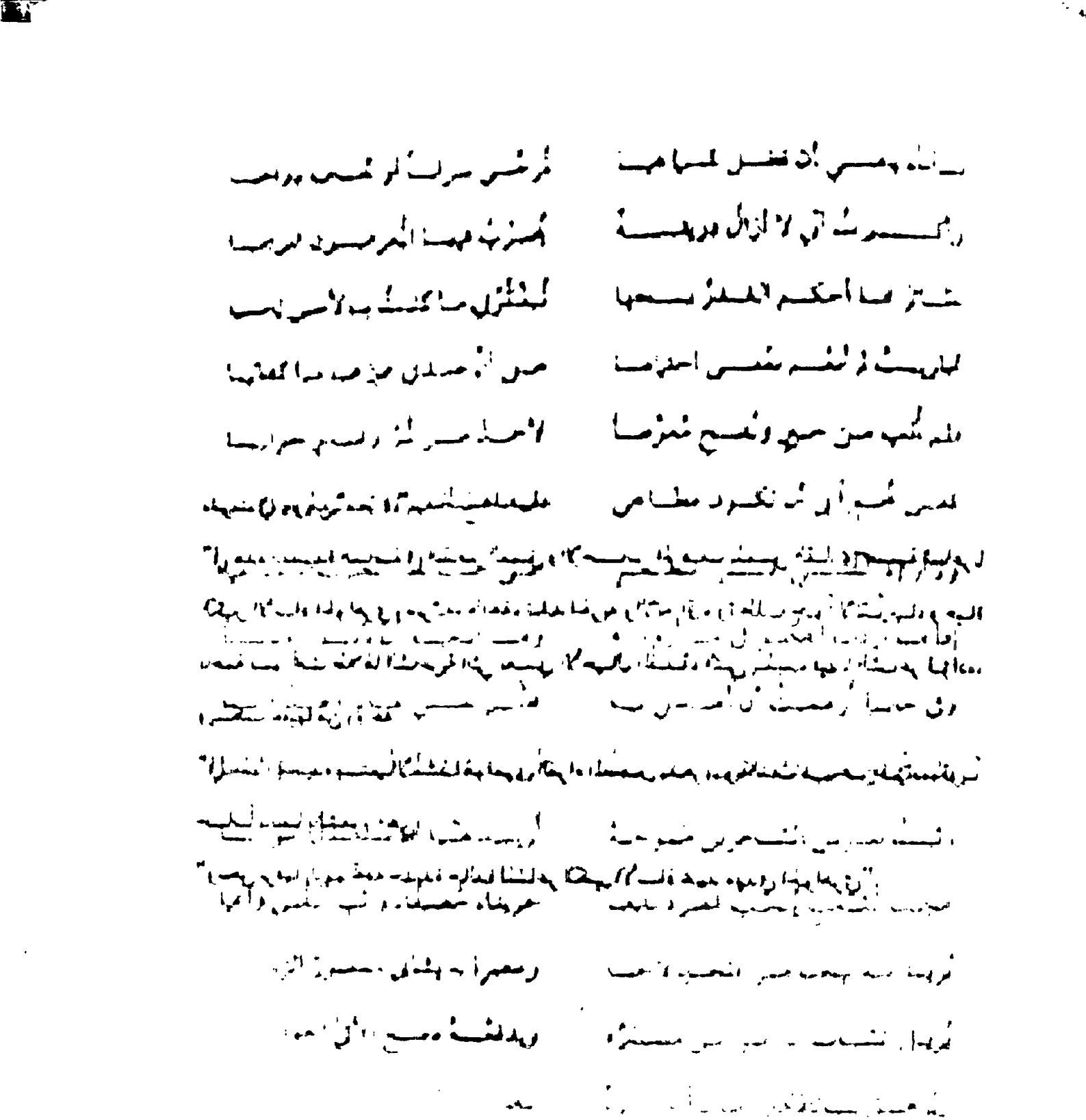

حياة الشعراء

نشرت في جريدة "العراق" وقدمت لها بقولها:

"في هذه القصيدة الفياضة في التفكير العميق والإحساس المرهف يلمس القارئ نفسية شاعرنا الكبير الأستاذ الجواهري، متوثبة، طامحة، تنشد الحرية والانعتاق، وتتطلب جواً لائقاً بها، وحياة ناعمة تنمو تحت ظلالها الشاعرية التي تغذي الأجيال المقبلة، التي يذيب فيها الشاعر فؤاده، ويسكب عليها من روحه.

"في هذه القصيدة يستثير الأستاذ الجواهري القراء المعجبين بشعره، ويكشف لهم عن فؤاده، قوياً حساساً نابضاً بالشعور الحي.

"ونحن نزفها إليهم تحفة جديدة خالدة للشاعر الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري".

بَـأتُ بنفسي أن تظـل كـما هيـا ... تُرَجِّـي سراباً أو تخـافُ دواهيـا

وأكـــبرتُ أنّي لا أزالُ دريئـــةً ... يُجـرِّبُ فيهـا المُغرضـون المراميـا

نظـائرُ ممـا أحكـم الغـدرُ نسـجَها ... تُـذَكِّرُني مـا كنـتُ بـالأمس ناسـيا

تجاريـبُ لم أنعُـم بعُقبـى احتمالِهـا ... عـلى أنَّ عنـدي غيرَهـا مـا كفانيـا

فلم أُلفِ مـن خـيرٍ ونُصـحٍ مُعوِّضـاً ... لأحمـدَ عـن شَرٍّ وغـدرٍ جوازيـا

كَفَـى مُخـبِراً بي أن تكـونَ مَطـامحي ... مبـاهجَ أقـوام تجـيءُ ورائيـا

ولم أرَ إلاّ أنّنـــي غـــيرُ منطـــوٍ ... عـلى خِسَّـة لمـا ابتغيـتُ الـدواعيا

إذا مـا أردتُ الفكـرَ في مـا أرومـه ... ومـا أبتغيـهِ أن يكـونَ مثاليـا

وفي حالـةٍ أُرغِمـتُ أن أصـطلي بهـا ... مُخَلِّـقَ نفـسٍ عـاثرَ الجَـدِّ كابيـا

رثيـتُ نفـوسَ الشـاعرين طموحـةً ... أُريـدَ لهـا أن تُسـتَذَلَّ جوانيـا

رثيـتُ نفـوسَ الشـاعرين طموحـةً ... أُريـدَ لهـا أن تُسـتَذَلَّ جوانيـا

عجِبْتُ لشـعبٍ يُنجـبُ الفَـردَ نابغـاً ... حَريفاً، حَصيفاً، واثب النفس واعيا

يُريـد لـه نهجـاً مـن المجـدِ لاحِبـاً ... وعصراً به يشأى العصورَ الزواهيا[1]

يُزيـل الشـبابَ الرَّخـوَ عـن مُستقرِّهِ ... ويدفعُـهُ دفـعَ الأتيِّ الجواريـا[2]

ويُرهِـقُ بـالتفكير نفسـاً عزيـزةً ... ليُعتِـقَ رِقّـاً أو ليُرشـدَ غاويـا

---

[1] شأى: فات وتجاوز.

[2] الأتي: صفة للسيل، وهو الجارف.

ويستنهضُ الأرواحَ غُفلاً مؤثلاً ... قوادِمَه من شعره والخوافيا

له كلَّ يومٍ قطعةٌ من فؤادِهِ ... يُساقطها للناشئين قوافيا

ولا سائلٌ عن ليلهِ كيفَ باته ... ولا كيف لاقى الصبحَ أسودَ داجيا

***

تشكّى الطموحُ من مُحيطٍ أجاعه ... فأطعمتهُ غُرَّ القوافي دواميا

وما هي بالشكوى، ولكن إثارةٌ ... وقد يُحسَب الليثُ المزمجرُ شاكيا

لَعَنْتُ الضميرَ الحرَّ لعنةَ غاضبٍ ... رأى الغُنْم محموداً فذمَّ التفاديا

لقد كنتُ عمّا أصطلي في كِفايةٍ ... لوَ انيَ كنتُ المستغلَّ المُحابيا

وقد كنتُ في بُحبوحةٍ لو عَدِمتُهُ ... شعوراً حباني العُدمَ فيما حبانيا

لعَمري إني سوف أختطُّ خُطّة ... تَضاعِفُ دائي أو تكونُ دوائيا

وسوفَ أُري الأيامَ نقمةَ حاقدٍ ... إذا ما تقاضاها أساءَ التقاضيا

وما أبتغي رَدَّ العوادي مُنيخةً ... على يدِ من يُزجِي إليَّ العواديا

ولكن بكفٍّ علَّمَ الزندُ كفَّها ... مُقارعَةً، أو يسقطَ الزندُ واهيا

ألا هل أراني مُرسَلاً في شكيمتي ... تُصرِّف كفِّي كيف شاءت عنانيا

إذن لاستشَفَّ الناسُ نفساً تجلبَبتْ ... غُباراً يغطّي أقتم الريشِ بازيا

وجدتُ دواءً في الصراحة ناجعاً ... إذا افتَقَدتْ نفسي طبيباً مُداوياً

وقد كان سِلمٌ في التغابي وراحةٌ ... بقلبيَ، لو أني أطقتُ التغابيا

***

حباني العراق السمحُ أحسنَ ما حبا ... به شاعراً للحق والعدل داعيا!!

رَجاءً كما استمطرتَ في الصيف مزنةً ... وعيشاً كما أسْأرتَ في الكأسِ باقيا

وعيشاً إذا استغرضتَه قلتَ عنده: ... "كفى بك داءً أن تَرى الموت شافيا"

وواعدني بعد المماتِ احتفاءةً ... يجوِّدُ فيها المنشدون المراثيا

وحَفْلاً ترَى فيه أكُفّاً تعجَّلَت ... ظِمائيَ تستسقي عليّ الغواديا

وتلك "يدٌ" أعيا لساني وفاؤُها!! ... فأوصيتُ أولادي بها وعياليا!!

وإنَّ "فُراتاً" لَلكَفِيُّ بشكرها ... إذا مِتُّ فليردُدُ عليها العواديا

***

مَضَت زَهرةُ العمر التي يحسبونها ... هي العمرُ لا عُوداً مع الشيب ذاويا

وراجعتُ في هذا السجلِّ فصولَه ... أقلِّبُ أياماً به ولياليا

أحاسِبُ نفسي كيف ألفَتُ يبيسة ... ضروعاً سقت وغداً وغِرّاً وجافيا

وعما أفادتْ من بلادٍ تكالبَتْ ... على الغُنم، وارتدَّت سِباعاً ضواريا

ألم تجدي والدهرُ نشوانُ طالِعٌ ... على الناس بالأفراح إلاّ المآسيا؟

يقصُّون أحوالَ الحياة تمنُّعاً ... وأنتِ تَقُصّين الحياة أمانيا

ولمّا أبَتْ عُذراً يقوم بحالها ... مضَت تدَّعي أن لم تُجَلبَبْ مخازيا

مَعاذيرُ يسترضي المغرِّرُ نفسَه ... بها، ويُحَلِّيها جَسورٌ تَحاشيا

ولا خـيرَ في بُغيـاً تُحـاولُ نيلَهـا ... إذا لم تَنَلْهـا بـيِّنَ الـبطشِ عاتيـا

ولم يَعْدُ بي قصدي، ولا سُـدَّ مـذهبي ... ولم يُنهِـكِ الصـبرُ المُمِـلُّ اعتزاميـا

لـئن كرهـتْ منـي الحضـارةُ نـاقِماً ... فقـد حَمِـدتْ منـي البـداوةُ باديـا

صَـبورا عـلى بأسـائِها لا يخالُهـا ... أشـدَّ أذىً مـن أن يُـداري أعاديـا

ولكنّنـي آسـى لأخـلاقِ عُصـبةٍ ... تعُـدُّ المزايـا الطيبـاتِ مسـاويا

تـرى كـلَّ مَرهـوبِ الشَـذاة عـدوَّها ... وكـلَّ رخـيِّ العـودِ خِـلاً مُصـافيا

وهـذا بـلاءٌ يُمطـرُ الشـرَّ مُنـذِراً ... وهذا وبـاءٌ يَجـرُفُ الشَـعبَ غاشِـيا

بغداد، عام ١٩٣٦

العـــدل

لعمـــرُك إنَّ العـــدلَ لفـــظٌ أداؤُهُ ... بســـيطٌ ولكـــن كُنهُـــه متعسِّـــرُ

تخيَّلَـــه عقـــلٌ نشـــيطٌ أرادَه ... دلـــيلاً لقـــومٍ في الحيـــاة تعثَّـــروا

يفسِّـــرُه المغلـــوبُ أمـــراً مناقضـــاً ... لمـــا يرتئيـــهِ غالـــبٌ ويفسِّـــر

ولمـــا رآه الحـــاكمون قذيفـــةً ... تُضعضِـــعُ مـــن أهـــوائهم وتُـــدمِّر

ولـــم يجـــدوا مَندوحـــةً عـــن قَبولـــه ... لإرضاءِ مخـــدوعينَ بالعـــدل غُـــرِّروا

أتـــوه بتـــأويلاتهِم يُفســـدونه ... قوانينَ باســـم العـــدل تَنهـــى وتـــأمُر

لقـــد كـــانَ أولى بالرفـــاهِ وبـــالغِنى ... ذَكـــيٌّ فـــؤادٍ جـــائعٌ يتضـــوَّر

وقـــد كـــان أولى بالحفـــاءِ وبـــالعَرى ... وبـــالجوع، هـــذا الأبلـــهُ المُتبخـــتِر

بغداد، عام ١٩٣٦

تحرك اللحد

بعد أشهر فقط من انقلاب "بكر صدقي" بدأت القوى المطاح بها تتحرك من جديد.

كِلُوا إلى الغَيبِ ما يأتي به القَدَرُ ... واستَقبلوا يومَكُمْ بالعزمِ وابتدروا[1]

وصَدِّقُوا مُخْبِراً عن حُسْنِ مُنْقَلَبٍ ... وآزِرُوهُ عسى أنْ يَصْدُقَ الخَبَرُ

لا تَتْرُكوا اليأسَ يَلقى في نُفوسكم ... لَه مَدَبَّاً، ولا يأخُذْكُمُ الخَوَر

إنَّ الوساوِسَ إنْ رامَتْ مَسارِبَها ... سَدَّ الطريقَ عليها الحازِمُ الحَذِر

تَذكَّروا أمسِ واستَوحُوا مَساوئهُ ... فقد تكونُ لكُمْ في طَيِّه عِبَر

مُدُّوا جَماجِمَكُمْ جِسراً إلى أملٍ ... تُحاولونَ وشُقُّوا الدربَ واختَصِروا

وأجْمِعوا أمرَكُم يَنْهَضْ بسعيِكُمُ ... شَعبٌ إلى هِمَمِ الساعينَ مُفْتَقِر

إنَّ الشبابَ سِنادُ المُلْكِ يَعضُدُهُ ... أيّامَ تُوجِدُهُ الأرزاءُ والغِيَر

أتتكُمُ زُمرةٌ تحدو عزائِمَها ... ما خَلَّفَتْ قَبلَها من سيءٍ زُمَرُ

ألفتْ على كلِّ شبرٍ من مَسالكها ... يلوحُ ممّا جَنى أسلافُها أثر

مُهمةٌ عظُمت عن أنْ يقومَ بِها ... فردٌ وأن يتحدّى أمرَها نفر

ما إن لكُم غيرَهُ يومٌ فلا تَهِنوا ... وقد أتتكم بما تخشونه نُذُر

طالتْ عَمايةُ ليلٍ ران كَلْكَلُه ... على البلادِ، وإنَّ الصُبْحَ يُنتظر

وإنَّما الصُبحُ بالأعمال زاهيةً ... لا الوعدُ يُغري ولا الأقوالُ تنتَشِر

***

وأنتَ يابن "سليمانَ" الذي لَهِجتْ ... بما جَسرتَ عليه البدوُ والحَضَر

---

[1] كلوا: بمعنى اتركوا ودعوا. ابتدروا: أي استقبلوا واستعجلوا.

الكابـتُ الـنفسَ أزمانـاً عـلى حنَـقٍ حتـى طغـى فرأينـا كيـفَ ينفجـر

والضاربُ الضربةَ العُظمى لصَـدمتِها لحـمُ العُلـوج عـلى الأقـدام ينتشـر

هـلِ ادَّخـرتَ لهـذا اليـوم أُهبَتَـه أم أنـت بالأجـلِ المتَـدِّ مُعتـذر

أقدمتَ إقـدامَ مـن لا الخـوفُ يَمنَعُـهُ ولا يُنَهنِـهُ مِـن تَصـميمِهِ الخطـر

وحَسْـبُ أمـرِك توفيقـاً وتوطئـةً أنَّ الطُّغـاةَ عـلى الأعقـاب تنَـدحر

***

دبَّـرتَ أعظـمَ تـدبيرٍ وأحسـنَه تُـتلى مـآثِرُه عُمـراً وتُـدَّكر

فهـل تُحـاول أن تُلقـي نتائِجـه يـأتي القضـاءُ بهـا أو يَـذْهب القَـدَر

وهـل يَسُـرُّك قـولُ المُصـطلين بـه والمُسـتغلِّين أنَّ الأمـرَ مُبتَسَـر

وأنَّ كُـلَّ الـذي قـد كـانَ عِنـدَهم عـلى التبـدّلِ في الأسـماءِ مُقْتَصـر

وهـل يسُـرُّك أن تَخفـى الحُجُـولُ بـه مادامَ قد لاحتِ الأوضـاحُ والغُـرَر

أُعيـذُ تلـك الخُطـى جَبَّـارةً صُـعِقَت لها الطواغيـتُ، وارتَّجـت لهـا السُّرُر

أنْ يعـتري وقْعَهـا مـن ربكـةٍ زَلـلٌ أو أن يثـبِّط مـن إقـدامها الحَـذَر

مـاذا تُريـد وسـيفٌ صـارِمٌ ذَكـرٌ يحمـي الثغـورَ وأنـتَ الحيَّـة الـذَكر

والجيشُ خلفـكَ يُمضِي مِـن عزيمتِـهِ فَـرطُ الحـماسِ ويُـذكيها فتَسـتعِر

أقـدِمْ فأنـتَ عـلى الإقـدامِ مُنطَبـعٌ وابطُشْ فأنت عـلى التنكيـل مُقتـدر

وثِـقْ بـأن الـبلادَ اليـومَ أجمَعَهـا ... لمـا تُرجِّيـه مِـن مسـعاكَ تَنتظِـر

***

لا تُبـقِ دابِـرَ أقـوامٍ وتَـرْتَهم ... فَهـم إذا وَجـدوها فُرصـةً ثـأروا

هُنـاك تنتظِـرُ الأحـرارَ مَجـزرَةً ... شَـنعاءُ سـوداءُ لا تُبقـي ولا تَـذَر

وثَـمَّ شِرذِمـةٌ ألفَـتْ لهـا حُجُبـاً ... من طُولِ صَفحٍ وعَفـوٍ فهـي تَستَتِر

إنّي أُصـارِحك التعبـيرَ مُجترئـاً ... ومـا الصـريحُ بـذي ذَنـبٍ فَيعتـذر

إنَّ السـماءَ التـي أبـديت رَونَقَهـا ... يومَ الخمـيس بـدا في وَجههـا كَـدَر

تَهـامَسَ النفَـرُ البـاكون عَهـدَهُم ... أن سوفَ يرجِـعُ ماضـيهم فيَزدهِـر

تَجـري الأحاديـثُ نكـراءً كعادتِهـا ... ولم يُـرَعْ سـامرٌ مِـنهُمْ ولا سَـمر

فحاسبِ القومَ عن كلِّ الذي اجترحوا ... عما أراقوا وما اغتلوا ومـا اختكـروا

لـلآن لمْ يُلـغَ شـبرٌ مـن مـزارِعِهم ... ولا تَزحـزح مِمّـا شـيَّدوا حَجـر

ولم يـزل لهـمُ في كـلِّ زاويـةٍ ... مُنـوِّهٌ بمخـازيهم ومُفتَخِـر

وتلـكَ لِلحـرِّ مأسـاةٌ مُهيِّجـةٌ ... يَدمي ويـدمعُ منهـا القلـبُ والبصرَ

فضيِّقِ "الحبلَ" واشـدُدْ مِـن خناقِهُمُ ... فَـربَّما كـانَ في إرخائِـه ضرر

ولا تَقُـلْ تِـرَةٌ تبقـى حَزازتُهـا ... فَهُمْ على أيِّ حالٍ كُنتَ قـد وُتِـروا

تَصـوَّرِ الأمـرَ معكوسـاً وخُـذ مَـثَلاً ... ممَّـا يَجرونـه لـو أنهـم نُصِـروا

أكـانَ للرِّفـقِ ذِكـرٌ في مَعـاجِمهمْ ... أم كانَ عن "حِكمةٍ" أو صحبِه خَبَر

واللهِ لاقتيـدَ "زيـدٌ" باسـم "زائـدةٍ" ولاصطلى "عامرٌ" والمبتغى "عُمَر"

ولانمَحَـى كـلُّ رَسـمٍ مـن مَعـالِمِكُم ولاشْـتَفَتْ بكُـمُ الأمثـالُ والسِّـيَر

ولا تـــزالُ لهـــم في ذاك مأرُبـــةٌ ولا يـزالُ لهـم في أخـذِكُم وَطـر

أصبحتُ أحذرُ قولَ الناسِ عن أسفٍ مـن أن يَـروا تِلكـمُ الآمـالَ تنـدَثِر

تَحـرَّكَ اللَّحـدُ وانشـقَّت مُجـدِّدةً أكفـانُ قَـومٍ ظننَّـا أنهـم قُـبِروا

بغداد، عام ١٩٣٦

في السجن

كان الشاعر قد بدأ حملة من المعارضة في جريدته "الانقلاب" لوزارة انقلاب ١٩٣٦، لتخليها عن الوعود التي قطعتها على نفسها، عند أول تأليفها، بإنجاز إصلاحات جذرية في جميع نواحي الحياة، ولشنها حملة إرهابية للقوى الوطنية التي ساندت الانقلاب شملت الشاعر نفسه، بصدور حكم بسجنه. متخذة من قضية "الكاشير" المعلومة التي عالجها في جريدته، ذريعة. وخلاصة قضية الكاشير أنّ مجلس الطائفة اليهودية كان يتقاضى ضريبة عالية على اللحوم تستوفى من المستهلكين مما دفعهم إلى الاحتجاج مطالبين بإلغائها.

نظمت والشاعر في السجن يقضي مدة حكمه.

مـــاذا تريـــدُ مـــن الزمـــانِ ومـــنَ الرغائـــبِ والأمـــاني
أوَ كلّـــما شـــارفتَ مـــن آمالـــك الغـــرِّ الحســـان
ورعتـــك ألطـــافُ العنايـــة بالرَّفـــاهِ و بالأمـــان
أُغْرِمْـــتَ بالآهـــات إغـــرامَ الحنيفـــةِ بـــالأذان؟
إن كنـــتَ تَحسُـــدُ مـــن يحـــوطُ البـــابَ منـــه حارســـان
فلـــديكَ حُـــرّاسٌ كأنّـــك مـــنهُمُ في مَعْمَعـــان
وموكّلـــون بـــما تُصـــرِّفُ في الـــدقائقِ والثـــواني
أســـكنتَ داراً مالَهـــا في الصيتَ والعظَموت ثـاني
مـــا إن يُبـــاحُ دخولُهـــا إلا لـــذي خَطَـــرٍ وشـــان
دارٌ يُشـــيرُ لهـــا صـــديقٌ أو عـــدوٌّ بالبنـــان
أهـــوى عليهـــا ألـــفُ بـــاكٍ، وادّعاهـــا ألـــفُ بـــاني
وُقّيـــتَ فيهـــا رُغـــمَ أنفِـــك مـــن خبيثـــات الـــدِنان
وحُفظْـــتَ فيهـــا مـــن غـــرور المـــال، أو سِـــحْرِ الحســـان
حجبُـــوكَ عـــن لَحـــظِ العيـــونِ تأنقـــاً لـــك في الصِّـــيان
مثـــل المُعيـــديِّ السَّـــماعُ بـــه أحـــبُّ مـــن العِيـــان

***

وَ عـــلامَ تَحْسُـــدُ مـــن تلهّـــى بالمثالـــث والمثـــاني
أوَ لـــيس خشخشـــةُ الحديـــدِ ألَـــذَّ مـــن عـــزفِ القِيـــان
يشـــدو بهـــا مـــن أجـــل لَهْـــوِكَ ألـــفُ مكـــروبٍ وعـــاني

أوزانُ شِـــعْرِك بعـــضُ أوزانِ حَوَتهـــا بـــاتزان

***

مـــاذا تريـــد مـــن الزمـــان أعطيـــتَ مـــا لم يُعْـــطَ ثـــاني

أُعطيـــتَ مـــن لطـــف الطبيعـــة أن يُشِـــعَّ النـــيِّران[1]

صـــبحاً وإمســـاءً، وأن يُـــوحي إليـــك الفرقـــدان

ســـبِّح بـــأنعُمِهِمْ فأنـــت بفضـــل مـــا أولَـــوْك جـــاني

صـــكُّ الحديـــدِ عـــلى يـــديكَ جـــزاءُ مـــا جَنَـــتِ اليـــدان

يـــا عابثـــاً بســـلامة الـــوطنِ العَزيـــز، وبالأمـــان

ومفرِّقـــاً زُمَـــرَ اليهـــودِ طوائفـــاً كُـــلًّا لِشـــان

مـــا أنـــتَ و"الكاشـــيرَ" و"الطـــاريفَ" مـــن بقـــرٍ وضـــان[2]

إنَّ الصَّـــحافةَ حُـــرَّةٌ لكـــن عـــلى شَرْطِ الضـــمان

***

سَـــبِّحْ بـــأنعُمِهِمْ وإنْ عانيـــتَ مـــنهم مـــا تعـــاني

إن لم تُفـــدْكَ عقوبـــةٌ فعســـى تُفيـــدُ عقوبتـــان

أوْ لَمْ يُفِـــدْكَ مَطْهَـــر فلقـــد يُفيـــدُ مطهـــران

بغداد، عام ١٩٣٦

---

(١) النيران: الشمس والقمر.

(٢) الكاشير: ما يحل أكله من اللحوم عند اليهود، والطاريف ما يحرم أكله عندهم.

شباب ضائع

ذَخَرتُ لأحداثِ الزَّمانِ يَراعا ... يُجيدُ نِضالاً دونَها وقِراعا

وأعددْتُه للطارئاتِ ذَخيرةً ... يُزيحُ عن الشرِّ الكمينِ قناعا

وألفيتُني في كلِّ خطبٍ يَنوبُه ... أُدافعُ عنه ما استطعتُ دفاعا

وما في يدي إلاّ فؤادي أنرْتُه ... ليُلْقي على سُودِ الخطوبِ شُعاعا

وكلّفْتُ نفسي أنْ تُحَقِّقَ سُؤْلَها ... سِراعاً، أو الموتَ الزؤامَ سراعا

وما ذاك إلاّ أنَّ قَلباً حَمَلتُه ... على الهَوْلِ يأبى أنْ يَطير شَعاعا

وهل أنا إلاّ كالمُؤدِّي رسالةً ... رأى كَتمَها حَيْفاً بها فأذاعا

أهبْتُ بشبانِ العراقِ وإنما ... أردتُ بشعري أن أهيجَ سباعا

أنِفْتُ لهذا النشءِ بينا نُريده ... طويلاً على صدّ الكوارثِ باعا

يَدِبُّ إلى البلوَى هزيلاً كأنه ... ربيبُ خُمولٍ نَشْأةً ورَضاعا

فما استَنْهَضَتْ منه الرزايا عزائماً ... ولا أحْكَمَ التجريبُ منهُ طباعا

فلا هو بالجَلْدِ المُطيقِ احتمالَها ... ولا بالشُّجاعِ المستميتِ صِراعا

فكم زعزعٍ ما حرَّكَتْ منه ساكناً ... وكم فُرَصٍ عنّت له فأضاعا

لقد طبق الجهلُ البلادَ وأطبَقَتْ ... على الصَّمتِ شبانُ البلادِ جَماعا

وإنك لا تَدري أنشئاً مُهذَّباً ... تَسوقُ الرزايا أم تسوقُ رَعاعا

"بمصر" ومصرٌ ما تزالُ طريدةً ... شرى الظلمُ منها ما أراد وباعا

دويُّ شبابٍ أرْجَفَ الجورُ وقعَه ... وزعزعَ من بنيانِهِ فتداعى

***

لنا كلُّ هيئاتِ الشبابِ تصنُّعاً ... وأزيائهم تمويهةً وخِداعا

ولـــيس لنـــا إلاّ التطـــاحنُ بيننـــا ... عِراكـــاً عـــلى مَوهومـــةٍ ونزاعـــا

هَلُمُّوا إلى الـنشءِ المُثقَّفِ واكشِـفوا ... حجابـــاً يُغَطِّـــي سَـــوءةً وقناعـــا

تَـروا كـلَّ مفتـولِ الـذراعين ناهـداً ... قصـــيراً إذا جـــدَّ النِّضـــالُ ذِراعـــا

وكـــلَّ أنيـــقِ الثـــوبِ شُـــدَّ رباطُـــه ... إلى عُنُـــقٍ يُعشـــي العيـــونَ لَمَاعـــا

يمُـــوعُ إذا مـــسَّ الهجـــيرُ رداءَه ... كـــما انحـــلَّ شَـــمْعٌ بالصِـــلاء فماعـــا[1]

تـــراه خـــليَّ البـــالِ إنْ راحَ داهنـــاً ... وإنْ قـــد ذكـــا منـــه الأريـــجُ فضـــاعا[2]

ولـــيس عليـــه مـــا تكامَـــلَ زيُّـــه ... إذا عَـــرِيَ الخَلْـــقُ الكثـــيرُ وجاعـــا

وأن راحَ ســـوطُ الـــذُّلِّ يُلهـــبُ أُمَّـــةً ... كراهِيَـــةً يســـتاقُها وطَواعـــا

ولم تُشْـــجِهِ رؤيـــاً وســـمعاً قـــوارعٌ ... يَســـوء عِيانـــاً وقعُهـــا وسَـــماعا

وربَّ رؤوسٍ بَـــزْزَةٍ عشَّشَـــتْ بهـــا ... خُرافـــاتُ جهـــلٍ فاشـــتكَيْنَ صُـــداعا

وســـاوسُ لـــو حقّقْتَهـــا لوجـــدتَها ... مـــن المهـــدِ كانـــت أذؤبـــاً وضـــباعا

بهـــا نوَّمَتْنـــا الأمهـــاتُ تخوّفـــاً ... ومـــا أيقظتنـــا الحادثـــاتُ تِباعـــا

ومُـــرّوا بأنحـــاءِ العـــراقِ مُضـــاعةً ... وزوروا قـــرىً موبـــوءةً وبقاعـــا

تروا من عراقٍ ضـاع ناسـاً تسـوؤكم ... عـــراةً، حُفـــاةً، صـــاغرينَ، جياعـــا

وإنَّ شـــباباً يَرقُـــبُ المـــوتَ جائعـــاً ... متى اسطاعَ عن حَوْضِ البلادِ دفاعـا

وإنَّ شـــباباً في التبـــذُّلِ غاطســـاً ... متـــى كـــان دِرعـــاً للـــبلاد مَناعـــا

***

---

(1) صلي بالنار صلاة قاسى حرها.

(2) ضاع المسك: تحرك فانتشرت رائحته.

غَـزَتْ أمـمُ الغـربِ الحيـاةَ تُريـدُها ... ومـا زوَّدَت غـيرَ الشـبابِ متاعـا

رأى شـعبه مُلكـاً مُشـاعاً لخـيره ... فأصـبح مُلكـاً للـبلاد مُشـاعاً

إذا أصـحرتْ للخطـب كـان شبابُها ... حُصـوناً منيعـاتٍ لهـا وقلاعـا

فقرَّبـتِ الأبعـادَ عزمـاً وهِمَّـةً ... وأبـدلَتِ الـدهرَ المُطـاولَ سـاعا

ونحـن ادّخَرْنـا عُـدَّةً مـن شـبابِنا ... هَـزيلاً، ومنخـوبَ الفـؤاد يراعـا

إذا مـا ألَمَّـتْ نكبـةٌ بـبلاده ... مَضـى ناجيـاً منهـا وحـلَّ يَفاعـا

زوى الشـعبُ عنـه خـيرَه ورفاهَـه ... فلـو سِـيمَ فَلْسـاً بـالبلاد لباعـا

يرى في الصناعات احتقاراً، ويزدهي ... إذا طَمْـأَنَ التوظيـفُ منـه طماعـا

وهـا نحـنُ في عصرٍ يَفـيضُ صـناعةً ... نرى كـلَّ مـن حـاكَ الحصـيرَ صَـناعا

نُقـاومُ بـالعُود البـوارجَ تلتظـى ... ونعتـاضُ عـن حـدِّ البُخـارِ شِراعـا

كَرُبـتُ عـلى حـالٍ كهـذي زريَّـةٍ ... أقـولُ لأحـلامٍ حلمـتُ وَداعـا

عـلى أنَّنـي آسٍ لعقـلٍ مهـذَّبٍ ... وقلـبِ شـجاعٍ أن يـروحَ ضـياعا

وَجَـدْتُ جبانـاً مـن وَجَـدْتُ مُهـذَّباً ... وَجَدْتُ جَهولاً من وَجَدتُ شُـجاعا!

بغداد، عام ١٩٣٦

ذكرى الهاشمي

(تأبين ياسين الهاشمي)

وفّـاك مـا يُقْضَـى مـن التكـريمِ ... بَلَـدٌ يُـوفّي حـقَّ كـلِّ زعـيمِ

البصـرةُ الفيحـاءُ ضـاق خِناقُهـا ... ومشـتْ بقلـبٍ مُقـرَّحٍ مكلـوم

عَطَفَتْ على الذكرى الأليمةِ عطفةً ... نمّـت عـلى شَـجَنٍ هنـاك أليـم

"ياسـينَ" إنّ هضـيمةً مـا ذقتَـهُ ... غـدراً، ولم تـكُ قبـلُ بالمهضـوم

ما كنتَ بالرجلِ الذي يُمشى له ... خَـتَلاً كمِشـيةِ قـانصٍ لظلـيم

أسَـفاً فكـلُّ عظيمـةٍ غلاّبـةٍ ... مغلوبـةٌ بمقـدَّرٍ محتـوم

يكفيـكَ فخـراً أن تُكـادَ بمثلِهـا ... مسـتورةً خَفيـتْ عـلى التنجـيم

جُبنـاً وعَجْـزاً أنْ تُقابَـل جَهـرةً ... شـأنَ المُغـارِمِ في اطِّـلابِ غـريم

***

هـذا مقـامٌ لا يليـقُ بمثلـه ... قـولٌ فطـيرُ الـرأي غـيرُ حكـيم

فمـن الحَراجـةِ أن يُبَـدِّلَ زِيَّـهُ ... مـن كـان مُرتـدياً ثيـابَ خصـوم

خوفَ الغلُوِّ.. وليس من يُزْجي الثنـا ... لخصـيمِه في محنـةٍ بمَلـوم

قد كنـتَ فـذاً في الرجـال.. نبـوغُهم ... وقـفٌ عـلى التبجيـل والتعظـيم

وجهـادُهُمْ خـيرُ الجهـاد لأمَّـة ... تُهـدى إلى نَهْـجٍ أغَـرَّ قـويم

وسياسـةٌ هـي ملـكُ شـعبٍ قولُـه ... فصـلٌ لـرفضٍ كـان أو تسـليم

سـايرتُ حكمـكَ نـاقماً لم أدّرعْ ... حزبـاً، ولم أزحَـفْ بظـلِّ زعـيم

حاشـا ولم أهتِـفْ لغـيرك داعيـاً ... أو أن أخُـصَّ سـواك بالتقـديم

لكـن طُمـوحٌ لـيس يُـرْضي أهلَـهُ ... أن تســـتمرَّ سياســـةُ الترمـــيم

كنّـا نـرى المُعـوجَّ مـن أوضـاعنا ... في حاجـةٍ قُصـوى إلى التقـويم

ونُحِـسُّ أنّـا بـالغون أشُـدَّنا ... و معلَّلـون تَعِلـةَ المفطـوم

ونـرى شـتاتَ جُهودِنـا وصـفوفِنا ... ليسـتْ عـلى شيءٍ مـن التنظـيم

ووعـودَ مـن يتحضّـنونَ شُـؤونَنا ... مـلأى مـن التخـديرِ والتنـويم

نبغـي المزيـدَ وتقتضـينا ساسـةٌ ... أن نرتضـي بنصـيبنا المقسـوم

ونـراك جبّـاراً يكـونُ لفكـره ... في المُعضـلات مَـرَدُّ كـلِّ جسـيم

ولقـد يكـون العـذرُ أنـا طُمَّـحٌ ... ولقـد تكـون وأنـت غـيرُ ملـوم

أمـا مُقامُـكَ فهـو غـيرُ مُنـازَعٍ ... ومَـدى حجـاك فلـيس بـالمكتوم

سـايرتُ حكمَـك نـاقماً ووجـدتُني ... بـإزاء شـهمٍ في الخصـام حلـيم

رحـبٍ بنقـد خُصـومه متفـتِّح ... بالبِشـر آونـةً وبـالتفهيم

يُعطِـيهُمُ نَصَـفاً ويعلـمُ أنّـه ... رجـلٌ يَسـوس ولـيس بالمعصـوم

***

"ياسـينُ" إن خسـارةً أن يغتـدي ... ذاك الـدماغُ الفـذُّ محـضَ رمـيم

وفجيعـةٌ أن نبتغيـك فـلا تُـرى ... لجـلاء جـوٍّ بـالبلاد مَغـيم

يـا درعَ مملكـةٍ متـينٌ نسـجُها ... وحسـامَ مُلْـكٍ لـيس بـالمثلوم

إنَّ العـراقَ وقـد نُعيـت موكَّـلٌ ... ممـا دهـاه بمُقْعِـدٍ ومُقـيم

إنّـا فقـدنا يـومَ فَقـدِك كوكَبـاً ... مـا إنْ تعـوّضُ عنـه غُـرُّ نُجـوم

لله طِبُّـك في السياسـةِ إنّـه ... رَوْح الـوَنى، ودواءُ كـلّ سـقيم[1]

كـم فـترةٍ دهـتِ العـراقِ عصـيبةٍ ... فرّجتَهـا بـدهائك المعلـوم

لله درُّك أيُّ زعـزع عاصـفٍ ... في مـا تُـدبِّرُهُ، وأيُّ نسـيم

تعلـوك سـيماءُ الخـليِّ جـلادةً ... ولقـد تكـونُ نمـوذجَ المهمـوم

كنـتَ الحفـيظَ عـلى السياسـة داعـماً ... ركـنَ المُفـاوضِ أيـما تـدعيم

قسطاسَ حُكمٍ كـان حلمُـك وحـدَه ... نِعْـمَ الضـمانُ عـن انـزلاقٍ حُلـوم

فـيما يولّـد حـرُّ رأيـك تُتقـى ... نـزواتُ رأيٍ يسـتجدُّ عقـيم

كـم موقـفٍ مُعصَوصِـبٍ مُـتلابسٍ ... جَـلّى، وكـم داءٍ بـه محسـوم

كنـتَ المضـيءَ سـبيلَ كـلِّ عَميَّـةٍ ... تَيْهـاءَ تعتـورُ الـبلادَ بهـيم

صُـلبَ العقيـدةِ لا يـردُّك حـادثٌ ... في كـل مـا تَبنـي عـن التصـميم

وإذا الـبلادُ تفرَّقـت آراؤهـا ... شِـيَعاً بـلا نَهْـجٍ لهـا مرسـوم

أطلعـتَ رأيـكَ بينهـا فتطايحـت ... لـك عـن مكـانِ السـيِّدِ المخـدوم

كنـا إذا ضـاقَ الخنِـاقُ وحَشْـرَجَتْ ... نَفْـسٌ بغـيظٍ حـانقٍ مكظـوم

وبـدا لنـا الدسـتورُ وهو مخلَّـعٌ ... عُريـانَ غـيرَ تسـتُّرٍ مزعـوم

لُـذنا "بياسـينٍ" فكانـت قـوةٌ ... جبـارةٌ في وجـه كـلِّ غَشـوم

واليـومَ نخشـى أن يَضـيعَ تـوازنٌ ... في الكِفَّتَـيْنِ وأنـت غـيرُ مقـيم

بغداد، عام ١٩٣٨

---

[1] الونى: الضعف والفتور.

إلى الشباب السّوري

أُلقيت في حفل تكريمي أقامه شباب دمشق للشاعر خلال زيارته سوريا ولبنان صيف عام ١٩٣٨. وكانت الانتفاضة السورية على الاستعمار الفرنسي على أشدها، وكانت الدعوة إلى توحيد الصفوف، في جبهة وطنية، تضم الأحزاب والهيئات الوطنية هي المطلب الوطني الأول.

نشرته جريدة "الاستقلال العربي" بعنوان:

"صوت شاعر العرب ينادي الشام"

وقدمت لها بقولها:

"الجوهرة الشعرية الرائعة التي أهداها الزميل الأستاذ محمد مهدي الجواهري صاحب جريدة "الرأي العام" البغدادية إلى "الاستقلال العربي"، وهي نداء حار من صميم الشاعرية المتأججة التي طالما عبر بأمثالها شاعرنا الكبير عن خلجات عاطفته العربية". كما نشرتها صحف سورية ولبنانية.

وداع

(انيتا الرحيل)

((أنيـــتُ)) نزَلنـــا بـــوادي السِّـــباعْ
بـــوادٍ يُـــذيبُ حدِيـــدَ الصِّـــراع
يُعَـــيِّرُ فيـــه الجبـــانُ الشُّـــجاع
((أنيـــتُ)) لقـــد حـــانَ يـــومُ الـــوداع

* * *

إليَّ إليَّ حبيبـــــــي ((أنيـــــــتْ))
إليَّ إليَّ بجيـــــــدٍ وليـــــــت
كـــــأنَّ عُـــــروقَها النـــــافِرات
خُطـــوطٌ مِـــن الكلِـــم الســـاحِرات
إليَّ بـــذاكَ الجبـــينِ الصَّـــليتْ
تخـــافَقَ عـــنْ جانبيـــهِ الشَّـــعَرْ
يبُـــثُّ إليَّ أريـــجَ الزَّهَـــرْ
ســـيَعبِقُ في خـــاطري مـــا حَيِـــتْ
ويُـــذكِرُني صَـــبوتي لـــو نَسِـــيت
إليَّ إليَّ حَبيبـــــــي ((أنيـــــــتْ))

* * *

إليَّ إليَّ بـــــــذاكَ الـــــــذِّراعْ

أبـــضَّ تفـــايَضُ مِنـــهُ الشُّـــعاع
أطِـــلّي عـــليَّ بـــهِ كالشِّـــراع

فقـــد لَفحَتنـــي سَـــمومُ العِـــراقْ
فـــألهبنَ مِنّـــيَ جُـــرحَ الفِـــراق
إليَّ إليَّ بـــــــه للعِنـــــــاق

لغـــيرِ العِنـــاقِ الـــذي تَعـــرِفينْ
بحيـــثُ يلُـــزُّ الـــوتينُ الـــوتين
عَشِـــيَّةَ أهتِـــفُ أو تهتِفـــين

لـــنجم القَضـــا، ولسَـــهمِ القَـــدَرْ
وللمُســـــتَقِرِّ بـــذاكَ المقَـــرّ!!!

بـــأنْ لا يُميِّـــلَ هـــذا السَّـــفينْ
إلى حيـــثُ أرهَـــبُ، أو تَـــرهَبين
إلى وَحَـــلٍ مـــن دُمـــوعٍ وطـــين

* * *

إليَّ بصـــــدرِكِ ذاكَ الخِضَـــــمّ
مِـــنَ العاطفـــاتِ العُجـــابِ الشِـــيَمّ
مِـــنَ العاصـــفاتِ بلحـــمٍ ((ودَمّ))

* * *

تُلَـــــونُ وجهَـــــكِ في كـــــلِّ آنْ
بـــــما لم تُلَـــوَّنْ فُصـــولُ الزّمـــان
أحاســـيسُ تعُـــرِبُ عـــن كـــلِّ شـــان

* * *

كـــأنَّ وُجوهـــاً عَـــداداً لـــديكِ
تَـــرِفُّ ظِـــلالاً عـــلى مُقلَتيـــك
كأنَّـــكِ تُلقِـــينَ عـــن عاتِقيـــك
بتلـــكَ الظـــلالِ القِبـــاحِ، اللّطـــاف
وأشـــباحِهنَّ السّـــمانِ العِجـــاف
عنـــاءَ الضـــميرِ، وثِقـــلَ السِـــنين
وجهـــلَ المصـــيرِ، وعِلْـــمَ اليقـــين:
بلُطـــف الحيـــاةِ وجُهـــدِ الظَّنـــين:
بســـاعاتِها أنْ يـــروحَ الحِـــمامْ
إلى الصـــمتِ، يـــدفعُها والظـــلام

* * *

إليَّ إليَّ حبيبـــــي ((أنيـــــتْ))
إليَّ بنبـــعِ الحيـــاةِ المُميـــتْ
إليَّ بـــذاكَ النظـــيمِ الشّـــتيت

بثغـــــركِ ذاكَ العبـــــوسِ الطـــــروبْ
يَـــــرفُّ إذا مـــــا عـــــلاهُ الشُّـــــحوب
كـــــأنِّيَ أقـــــرأ ((سِـــــفر)) الغُيـــــوب
عـــــلى شـــــفَتيكِ، و((سِرَّ)) الخفايـــــا
كـــــأنِّيَ أســـــمعُ عتـــــبَ الـــــذّنوب
عليـــــكِ، ووقـــــعَ دبيـــــبِ الرزايـــــا
كـــــأنِّيَ أشربُ كـــــأسَ الخطايـــــا
وســـــؤرَ دمٍ مُهـــــدَرٍ مِـــــن سِـــــوايا
كـــــأنِّيَ أمضُـــــغُ لحـــــمَ الضّـــــحايا
تنـــــاثرُ مِـــــن بـــــينِ تلـــــكَ الثنايـــــا
كـــــأنَّ الـــــزفيرَ بـــــنفحِ الطُّيـــــوبْ
إذا امتَزجـــــا يَكشِـــــفانِ النوايـــــا
ويَستصْـــــرِخانِ أثـــــيماً يتـــــوبْ:
عـــــلى مـــــا تَجَرَّمـــــهُ مِـــــن منايـــــا
إليَّ هَـــــواني، إليَّ هَوايـــــا
إليَّ المُنـــــى تُشـــــترى بالمنايـــــا!

***

إليَّ إليَّ بتلـــــــــكَ البقايـــــــــا

مِـــن المُسْـــأراتِ بتلـــكَ الجيُـــوبْ
إليَّ بصَـــفوِ النعـــيمِ المَشـــوب
بلَفـــحِ أُوارِ الجحـــيمِ الشَّـــبوب
إليَّ إليَّ أغيثـــــي ظمايـــــا
فقـــد نـــالَ مِـــن شـــفتيَّ اللُّغـــوبْ

بغداد، عام ١٩٤٩

برم بالشباب

برِمتُ برَيعانِ هذا الشبابِ ... تخارَسَ في الفجرِ صدّاحُهُ
وجاء خِضَمَّ الحياةِ الرهيب ... وكفَّ عن الجدفِ ملّاحُهُ
برمتُ فليتَ الردى عاصفٌ ... بهذا الشباب فيجتاحُهُ
أموتُ وجهدُ الحياةِ اللذيذ ... تطوفُ بعينيَّ أشباحُهُ
تُهدهِدُ روحيَ أمساؤه ... وتُنعِشُ نفسيَ أصباحُهُ
أموتُ وبي ظمأ للشَّجا ... تهُبُّ فتعصِفُ أرياحُهُ
فمالي وللعيشِ لا تُستثارُ ... بنارِ التحرُّقِ أطماحُهُ
ومالي وللموتِ إنْ لم ترِفَّ ... عليَّ من الحُزن أفراحُهُ

***

سيُطربُني وقعُ زحفِ السنين ... بسرِّ الحياةِ، وعُمقِ القِدَمْ
وتفتحُ عينيَّ سُودُ الدياجي يُنوِّر منها بريقُ الألم
ستُلهِبُني عاصفاتُ الرِّياحِ ... فقد مَلَّ سمعي بريقُ النَّسم
أرى الموتَ نبعَ الحياةِ الجميل ... إذا خَضَبته الليالي بدم
وعن وهَجِ الكأس كأسِ الوجودِ ... تُترجِمُ عيناي سرَّ العدم

ألــذُّ عنــاقَ ظِــلالِ الحيــاةِ تخــالَطَ فيهــا سرورٌ بهَــمّ!
ولا أعــرِفُ النــومَ حتــى تــرِفَّ عــلى جانبيــهِ نُســورُ الحُلُــم
يُصــافقُ منهــا الجنــاحُ الجنــاحَ وتُوشِــكُ مــن زحمــةٍ تــرتَطم
ولم أدر مــا يقظــةٌ لا تُثــارُ عواصــفُها برهيــب الــنَّغم!؟

بغداد، عام ١٩٤٩

(*) كتبت إلى الشاعر أحدى فتيات بغداد كتاباً تبثّه فيه آلامها وهي في ريعان شبابها، وتعدد له مظاهر القساوة والجمود والقيود التي تحيطها، وتستثير فيه الشاعرية لتصوير جزعها من مثل هذا الشباب.

هاشم الوتري

ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم للدكتور (هاشم الوتري) عميد الكلية الطبية بجامعة بغداد، واستغل الشاعر دعوته إلى هذا الحفل ليعبر عن غضبه على الوضع والنظام القائم، وروى الشاعر ظروف القصيدة وملابسات إلقائها لمجلة المثقف العربي التي نشرتها في عددها الثاني لشهر حزيران عام ١٩٧١ قائلاً: كان الجو السياسي محتدماً، وكنت أشعر أن الواجب يقضي بأن أحدد موقفي. كان كل شيء يدفع إلى الحدية: الجو السياسي، المناسبة، شخص (نوري السعيد)، شخص (الجواهري)، كنت موطِّناً نفسي حتى الموت!.

اتصلوا بي هاتفياً، وطلبوا إليّ بإلحاح أن أشارك بقصيدة في الاحتفال، فتظاهرت بالرفض. فألحوا، وأصررت على الرفض. وفي حقيقة الأمر كنتُ أُهلِّلُ للطلب، كنت أرقص وراء التليفون، وإنما كان الرفض تظاهراً ودلالاً. لأنني أردت إلا أدع لهم مجالاً للتنصل من الدعوة إذا ما علموا بما كنت مُزمعاً عليه.

قلت (لإسماعيل ناجي) - سكرتير (الوتري) - إن القصيدة قد توقعهم في مأزق، فقال: لا عليك إن نقابة الأطباء ستتحمل المسؤولية. (وبالمناسبة فالدكتور ((اسماعيل ناجي)) هذا هو نفسه الذي أذاع بياناً على الصحف يقول فيه: إنهم لم يدعوني إلى المشاركة في الاحتفال، كل ذلك - والبطاقة ((المذهبة)) بالدعوة إياها كانت وما تزال معي - ولربما كانت حتى الآن بين أوراقي).على هذا النحو تثبتُّ، ومن فوري عرضت مطبعتي للبيع، ونشرت إعلاناً في الصحف بذلك. أردت أن أدخر ثمن المطبعة للعائلة ضماناً لها وتحسباً لما قد يحدث فيما بعد. ولا أكتمك أن العائلة كانت يومئذ تشتري حتَّى الخبزَ والحليبَ بالدين!!.

وما إن نُشر الإعلان حتى صادفني في مقهى (حسن العجمي) شاب ذكر أن اسمه ((حسن)). كانت الجريدة مغلقة (يقصد جريدة الرأي العام)، فعرض عليَّ حسن - ولم أكن أعرفه من قبل - أن يقرضني ثمن المطبعة دون أن يطلب مني أية ضمانة. فقلت الأفضل أن نرهنها، فوافق بعد إلحاح مني وأعطاني في اليوم التالي (٥٠٠) دينار. وقد وفَّيتها له بعد ذلك بقليل، أي بعد بيع المطبعة نهائياً.

لقد أنعشني هذا أكثر فأكثر وزاد من عنفي في القصيدة، بخاصة وأنني قد اطمأننت، لما حصلت عليه من نقود، على مصير العائلة.

وفي الليل. في سطح الدار. كنت منبطحاً على حصير، وكنت أحدو، كما هي عادتي بما أنظمه من قصيد. كان صوتي رقيقاً جداً ومؤثراً. وما إن وصلت المورد الذي يبدأ بـ ((إيه عميد الدار شكوى صاحب))، حتى سمعت زوجتي وهي خالة فرات تقول ((عوافي أبو فرات)). كنت أظنها نائمة، فوجئت بها تنصت لي، ولا تضنّ عليَّ بالتشجيع. مهما كانت العقبى التي تنتظرها ومن معها!.

وقبل الموعد بيوم أعطيتُها النقود وسفَّرتهم جميعاً إلى ((النجف)) وهيأت ما يلزم لما قد يقع.

وحلَّ اليوم الموعود. كانت القصيدة قد اكتملت، فلبست بدلة جديدة خُطتها للمناسبة، وذهبتُ وألقيتُ القصيدة.

كان المكانُ يغصُّ بالحضور، وقد احتشد الشباب فيه احتشاداً، غير أنَّ أحداً لم يَستهِدْ بيتاً واحداً من فرط الرهبة. أما (الوتريّ) الممتدح المقصود فكان يتلفت حوله مستغرباً أو كالمُستغرب. خائفاً أو كالخائف. متصلاً أو كالمتصل. وأما أقطاب الحكم وكل وجوهه البارزة تقريباً فقد أخِذوا أخذ الذين كفروا!!.

((وأما أنا فقد مضيتُ في الإلقاء حتى النهاية. وبعد أن أكملت مزّقت أوراقي وذريتها أمام الجمهور، ثم غادرت المكان سيراً على الأقدام ومضيتُ إلى المطبعة ((حيث كانت هي مقرّي بعد سفر العائلة)).

ويختتم القصة:

ومر يومان وثالث ولم يأخذني أحد. وفي صباح اليوم الرابع جاؤوني ففتشوا المطبعة بحثاً عن القصيدة فلم يجدوها ثم اعتقلوني ومكثت في الاعتقال شهراً واحداً. وأطلق سراحي بمناسبة العيد)).

وقد أضاف الجواهري إلى طبعة دار العودة ما يلي:

(وفي معتقلي – في مديرية التحقيقات الجنائية – جاءني وفدٌ من الشباب ومعه ((قصاصات القصيدة)) الممزقة وقد جمعوها من حديقة المسبح حيث أقيم الاحتفال وذلك لغرض مقابلتها، وأذكر أنها ألصقت بعناية، عدا شطر من أبياتها أطارته الريح فأكملته لهم).

مَجَّـدتُ فيـكَ مَشـاعِراً ومَواهبـا ... و قضـيْتُ فَرْضـاً للنوابـغِ واجِبـا

والمُبـدعينَ ((الخـالقينَ)) تنـوَّرتْ ... شـتّى عـوالِمَ كُـنَّ قبـلُ خرائبـا

شرفاً ((عميـدَ الـدارِ)) عليـا رُتبـةٍ ... بُوِّئْتَهـا في الخالـدينِ مراتبـا

جازَتْكَ عن تَعَبِ الفؤادِ، فلم يكـن ... تعـبُ الـدماغ يهُـمُّ شـهماً ناصـبا

أعْطَتْكَهـا كـفٌّ تضـمُّ نقائضـاً ... تعيـا العقـولُ بحلِّهـا وغرائبـا

مُـدَّتْ لرفـعِ الأفضـلينَ مَكانـةً ... وهـوتْ لصـفعِ الأعـدلينَ مَطالبـا!

و مضَـتْ تُحـرِّرُ ألـفَ ألـفِ مقالـةٍ ... في كيـفَ يحترمـونَ جـيلاً واثبـا

في حـين تُرهِـقُ بالتّعنـتِ شـاعراً ... يَهـدي مَواطنَـهُ، وتُزْهِـقُ كاتبـا

((التَّيْمِسـيّونَ!)) الَّـذينَ تنـاهبوا ... هـذي الـبلادَ حبائبـاً وأقاربـا

والمغدِقونَ عـلى ((البياضِ)) نعيمَهُمْ ... والخالعونَ على ((السواد!)) زرائبا

والحاضـنونَ الخـائنينَ بلادَهُـمْ ... حَضْـنَ الطيـورِ الـرائماتِ زواغبـا

يَستصرخونَ على الشّعُوبِ لُصوصَـها ... في حـينَ يَحتجـزونَ لِصّـاً سـاربا

ويُجَنِّبـونَ الكلـبَ وَخـزةَ واخـزٍ ... ويُجَهِّـزونَ عـلى الجُمـوعِ مَعاطِبـا

أولاءِ ((هاشمُ)) مَـنْ أروكَ بساعةٍ ... يصحو الضميرُ بهـا! ضـميراً ثائبـا

فاحمَـدْهُمُ أن قـد أقـاموا جانبـاً ... واذمُمْهُـمُ أن قـد أمـالوا جانبـا

وتحرَّسَـنْ أنْ يقتضـوكَ ثوابَهـا! ... وتـوقَّ هـذا ((الصـيرفيَّ)) الحاسِبا

* * *

لله درُّكَ أيُّ آسٍ مُنقـــــــــــذٍ ... يُزجـي إلى الـداءِ الـدواءَ كتائبـا

سـبعونَ عامـاً جُلْـتَ في جَنَباتهـا ... تَبكـي حَريبـاً أو تُسـامرُ واصـبا

مُتحـدِّياً حُكْـمَ الطبـاع! ودافعـاً ... غَضَـبَ السَّـماءِ، وللقضـاءِ مُغالِبـا!

تتلمَّسُ ((النبضاتِ)) تجري إثرَهـا ... خلَجـاتُ وجهِـكَ راغبـاً أو راهبـا

ومُشـارِفٍ! نَسَـجَ الهـلاكُ ثيابَـهُ ... ألبسـتَهُ ثـوبَ الحيـاةِ مُجاذِبـا

ومُكايـدٍ كَـرْبَ المـماتِ شركتَـهُ ... - إذْ لم تَجِـدْ منجـىً - عَنـاءً كارِبـا

و محشـرَج وقـفَ الحِـمامُ ببابـهِ ... فدفعتَـهُ عنـه فزُحـزِحَ خائبـا

كم رُحْتَ تُطلِعُ مـن نجـومٍ تختفـي ... فينـا، وكـم أعْلَيْـتَ نجـماً ثاقبـا[1]

هـذا الشَّـبابُ ومِـن سَـناكَ رفيفُـهُ ... مجـدُ الـبلادِ بـهِ يـرفُّ ذوائبـا

هـذا الغِـراسُ ومـلءُ عينـكَ قُـرّةٌ ... أنـا قطفنـا مِـن جَنـاهُ أطايبـا

هـذا المَعـينُ، وقـد أسَـلتَ نَميـرَهُ ... وجـهُ الحيـاةِ بـه سيُصـبحُ عاشـبا

هذي الأكفُّ على الصـدورِ نـوازِلاً ... مثلُ الغيـوثِ عـلى الـزُّروعِ سـواكبا

* * *

أوقفـتَ للصَّـرعى نهـاراً دائبـاً ... وسـهِرْتَ لـيلاً ((نابِغيّـاً)) ناصـبا[2]

وحضَـنْتَ هاتيـكَ الأسِرَّةَ فوقَهـا ... أُسْـدٌ مُضَـرَّجةٌ تلـوبُ لواغِبـا

---

[1] البيت والأبيات الأربعة بعده إشارة إلى الجيل الجديد من اطباء العراق الذين هم مدينون للسيد ((الوتري)) بالتعليم والتوجيه.

[2] القطعة حتّى البيت: ((وتعهد الكفن الخضيب..)) إشارة إلى موقف السيد ((الوتري)) المشرّف من ((وثبة كانون)) وشهدائها، وتقديم استقالته وهو في ((الكلية الطبية)) احتجاجاً على اقتحام ((الشرطة)) إياها.

في ذِمَّـةِ الله مـا ألقـى ومـا أجِـدُ ... أهــذِهِ صَــخرةٌ أمْ هــذِهِ كبِــدُ

قَدْ يقتُلُ الحُزنُ مَنْ أحبابهُ بَعُدوا ... عنـه فكيـفَ بمـنْ أحبابُـهُ فُقِـدوا

تَجري عـلى رِسْـلِها الـدُّنيا ويتبَعهـا ... رأيٌ بتعليــلِ مَجراهــا ومُعتقَــد

أعيـا الفلاسـفةَ الأحـرارَ جهلُهـمُ ... مــاذا يخبّــي لهــمْ في دفَّتيــهِ غــد

طـالَ التَّحمُّـلُ واعتاصـتْ حُلـولُهم ... ولا تـزالُ عـلى مـا كانـتِ العُقَـد[1]

ليـتَ الحيـاةَ وليـت المـوت مَرحَمَـةٌ ... فلا الشبابُ ابـنُ عشرينٍ ولا لَبـد[2]

ولا الفتـاةُ بريعـانِ الصِّـبا قُصـفَتْ ... ولا العجـوزُ عـلى الكفَّـينِ تَعتمِـد

وليـتَ أنَّ النسـورَ استُنزِفَتْ نَصَـفاً ... أعمارُهــنَّ ولم يُخصــصْ بهــا أحــد

***

حُيِّيــتِ "أُمَّ فُــراتٍ" إنَّ والــدةً ... بمثـلِ مـا أنجبَـتْ تُكنـى بـما تَلِـد

تحيَّـةً لم أجِـدْ مـن بـثٍّ لاعِجِهـا ... بُـدّاً، وإنْ قـامَ سَـدّاً بيننـا اللَّحـد

بـالرُوح رُدِّي عليهـا إنَّهـا صِـلةٌ ... بـينَ المحبِـينَ مـاذا ينفـعُ الجَسـد

عـزَّت دمـوعيَ لـو لمْ تَبعثـي شَـجَناً ... رَجعـتُ مِنـه لَحَـرِّ الـدمع أبـتَرِد

خَلعتُ ثوبَ اصطبارٍ كـانَ يَسـتُرُني ... وبـانَ كِـذبُ ادِّعـائي أنَّنـي جَلِـد

بكَيتُ حتّى بكى مـن لـيسَ يعرِفُنـي ... ونُحـتُ حتَّـى حكـاني طـائرٌ غَـرد

---

(1) التَّحمُّلُ: اللف والدوران حول الشيء، والتحيل للوصول إليه. واعتاصت: تصعبت وتعقدت.

(2) لبد: هو اسم أحد النسور التي احتضنها "لقمان بن عاديا" في الأسطورة الواردة عن طول عمره وأنه استنزف أعمار هذه النسور كلها وكان لبد أطولها عمرا. ويوضح ذلك البيتان التاليان.

كـــما تَفجَّـــرَ عَينـــاً ثـــرَّةً حَجَـــرٌ قـاسٍ تَفَجَّـرَ دمعـاً قلبـيَ الصَـلد[1]

إنّـــا إلى اللهِ! قـــولٌ يَســـتريحُ بـــهِ ويَستوي فيهِ مَن دانوا ومَن جَحـدوا

***

مُـــدِّي إليَّ يـــداً تُمْـــدَدْ اليـــكِ يـــدُ لابُـدَّ في العـيشِ أو في المـوتِ نتَّحِـد

كُنَّـــا كشِـــقَّينِ وافى واحِـــداً قَـــدَرٌ وأمـــرُ ثـــانيهما مِـــن أمـــرِهِ صَـــدَد

ناجيـــتُ قَـبرَكِ أســـتوحي غياهِبَـــهُ عنْ حالِ ضَيفٍ عليه مُعجَـلاً يفِـد[2]

وردَّدَتْ قفـــرةٌ في القلـــبِ قاحِلـــةٌ صَـدى الـذي يبتغـي وِرْداً فـلا يجِـد

ولَفَّنـــي شَـــبَحٌ مـــا كـــانَ أشـــبَهَهُ بجَعْـدِ شَـعركِ حـولَ الوجـهِ يَنْعقـد

ألقيـــتُ رأسيَ في طيّاتِـــه فَزِعـــاً نظـــير صُـــنْعِيَ إذ آســـى وأُفتـــأد

أيّـامَ إنْ ضـاقَ صَـدري أسـتريحُ إلى صَـدرٍ هـو الـدهرُ مـا وفى ومـا يَعِـد

لا يُـــوحِشُ اللهُ رَيعـــاً تَنـــزلينَ بـــهِ أظُـــنُّ قـــبرَكِ رَوضـــاً نُـــورُهُ يَقِـــد

وأنَّ رَوْحـــكِ رُوحٌ تأنِســـينَ بهـــا إذا تملمـــلَ مَيْـــتٌ رُوْحُـــهُ نَكَـــد[3]

كُنّـــا كنَبتـــةِ رَيحـــانٍ تخطَّمَهـــا صِرٌّ، فأوراقُهـــا مَنزوعَـــةٌ بَـــدَد[4]

غطّى جناحـاكِ أطفـالي فكُنـتِ لهُـمْ ثغـراً إذا استيقَظوا، عَينـاً إذا رقَـدوا

***

---

[1] فاعل لتفجر. عينا: تميز منه. والثرة: الفياضة الغزيرة. والصلد: الصلب.

[2] القطعة كلها تشير الى وقفة حزينة وقفها الشاعر على قبر عقيلته في النجف ساعة وصوله إليها من بيروت، والى ما طاف به من أشباح الذكريات وخيالاتها.

[3] الروح: بمعنى الراحة والاطمئنان.

[4] حرد: غاضب.

شَتّى حقوقٍ لها ضاقَ الوفاءُ بها ... فهلْ يكونُ وَفاءً أنني كمِد

لم يَلْقَ في قلبِها غِلٌّ ولا دَنَسٌ ... لهُ محلاً، ولا خُبْثٌ ولا حَسَد

ولم تكُنْ ضرةً غيرى لِجارَتِها ... تُلوى لِخيرٍ يُواتيها وتُضطهَد

ولا تَذِلُّ لخطبٍ حُمَّ نازِلُهُ ... ولا يُصَعِّرُ مِنها المالُ والولد

***

قالوا أتى البرقُ عَجلاناً فقلتُ لهمْ ... واللهِ لو كانَ خيرٌ أبطأتْ بُرُد

ضاقَتْ مرابعُ لُبنانٍ بما رَحُبَتْ ... عليَّ والتفَّتِ الآكامُ والنُجُد

تلكَ التي رَقَصتْ للعينِ بَهْجَتُها ... أيامَ كُنّا وكانتْ عِيشةٌ رَغَد

سوداءُ تنفخُ عن ذِكرى تُحرِّقُني ... حتّى كأني على رَيعانِها حَرِد[1]

واللهِ لم يحلُ لي مغدىً ومُنتَقَلٌ ... لَما نُعيتِ، ولا شخصٌ، ولا بَلَد

أينَ المفَرُّ وما فيها يُطارِدُني ... والذِكرياتُ، طرياً عُودُها، جُدُد

أألظلالُ التي كانتْ تُفَيِّئُنا ... أمِ الهِضابُ أم الماء الذي نَرِد؟

أم أنتِ ماثلةٌ؟ مِن ثَمَّ مُطَّرَحٌ ... لنا ومِنْ ثَمَّ مُرتاحٌ ومُتَّسَد

سُرعانَ ما حالتِ الرؤيا وما اختلفَتْ ... رُؤىً، ولا طالَ- إلا ساعةً- أمَد

مررتُ بالحَورِ والأعراسُ تملؤهُ ... وعُدْتُ وهو كمثوى الجانِ يَرْتَعِد

***

---

[1] الصر: الريح الشديد الباردة، وتخطمها: أتلفها وكسرها.

مُنىً – وأتعِس بها – أنْ لا يكونَ على ... توديعهـا وهـيَ في تابُوتهـا رَصَـد

لعلَّنـي قـارئٌ في حُـرِّ صَـفْحَتِها ... أيَّ العواطِـفِ والأهـواءِ تَحْتَشِـد؟

وسـامِعٌ لفظـةً مِنهـا تُقَرِّظُنـي ... أمْ أنَّهـا – ومعـاذَ اللهِ – تَنْتَقِـد

ولاقِـطٌ نظـرةً عَجـلى يكـونُ بهـا ... لي في الحيـاةِ ومـا ألقـى بِهـا، سَـنَد

بغداد، عام ١٩٣٩

خـــبر(*)

(مقتل الملك غازي)

خـــبر ولـــيسَ كســـائر الأخبـــارِ حَصَـــبَ الـبلاد بـمارجٍ مـــن نـــارِ(١)

فَلَـوتْ لـه الصـيدُ الأماجـدُ هامَهـا حزنـــاً لفقـــد زعيمِهـــا المختـــارِ

بغداد، عام ١٩٣٩

(*) استهل الشاعر بهذين البيتين كلمة نشرها في جريدته "الرأي العام" عن مقتل الملك غازي.

(١) حصبه: رماه بالحصباء، ومارج من نار: لهيب شديد.

الإقطاع

ألا قُـوَّةٌ تسـطيعُ دفـعَ المَظـالِمِ ... وإنعـاشَ مخلـوقٍ عـلى الـذلِّ نـائِمِ

ألا أعينٌ تُلقـى عـلى الشَّـعْبِ هاويـاً ... إلى خَمْـأَةِ الإدقـاعِ نظـرةَ راحِـم

وهَـلْ مـا يُرجِّـي المُصـلحونَ يَرونـهُ ... مُواجَهَـةً، أمْ تلـكَ أضـغاثُ حـالم

تعالَـتْ يـدُ الإقطـاع حتّـى تعطَّلَـتْ ... عـنِ البـتِّ في أحكامِهـا يـدُ حـاكم

وحتّـى اسـتبدَّتْ بالسَّـوادِ زعـانِفٌ ... إلى نَفعِهـا تسـتاقُهُ كالبهـائِم[1]

إذا رُمْـتُ أوصـافاً تليـقُ بحالـةٍ ... تعرَّفْتُهـا، ضـاقَتْ بطـونُ المعـاجم

ألا نسـتحي مـنْ أنْ يُقـالَ بلادُهُـمْ ... عليهـا مِـنَ الإذلالِ ضَربـةُ لازم

هي الأرضُ لم يَخْصُصْ لها اللهُ مالكـاً ... يُصَـرِّفُها مُسْـتَهْتراً في الجـرائم

ولم يَبْـغِ منهـا أنْ يكـونَ نَتاجُهـا ... شَـقاوةَ مظلـومٍ، ونعمـةَ ظـالم

عجِبـتُ لخلْـقٍ في المَغـارِمِ رازِحٍ ... يُقَـدِّمُ مـا تجنـي يـداهُ لغـانم[2]

وأنكـأُ مـن هـذا التغـابُنِ قُرْحَـةً ... غبـاوةُ مَخْـدومٍ، وفِطنـةُ خـادم

وكمْ مِن خُمـولٍ لاحَ في وجـهِ مُـتْرَفٍ ... وكـمْ مـن نبـوغٍ شـعَّ في عـينِ عـادِم[3]

لـو اطَّلَعـتْ عينـاكَ أبصرتَ مأْتَمـاً ... أُقـيمَ عـلى الأحيـاءَ قبـلَ المـآتم

وإلاّ فـما هـذا الشَّـقاءُ مُسَـيْطِراً ... لـهُ في جبـاهِ القـومِ مثـلُ المياسـم[4]

إذا أقبـلَ "الشـيخُ المُطـاعُ" وخَلْفَـهُ ... مـنَ الـزارعين الأرضَ مِثْـلُ السَّـوائم!

---

(1) الزعانف: أراذل الناس.

(2) المغارم: جمع مغرم وهو مايتحمله الرجل من خسارة في مال أو دم.

(3) العادم: الفقير المعدم.

(4) المياسم: جمع ميسم وهي علامة كاوية كان العرب في الجاهلية يضعونها على من يريدون إذلالهم.

مِنَ المُزهقي الأرواح يَصلي وجوهَهُمْ ... مَهَـبُّ أعاصـيرٍ، ولفـحُ سـمائم

قِيامـاً عـلى أعتابـهِ يُمطرونَهـا ... خُنوعـاً وذُلاً بالشّـفاهِ اللـواثم

رأيـتَ مثـالاً ثَـمَّ لابـنِ ملائـكٍ ... تَنَـزَّلَ مِـن عَلْيائـهِ وابـنِ آدم!

حَنايـا مـن الأكـواخِ تُلقـي ظِلالَهـا ... عـلى مِثْـلِ جُـبٍّ باهـتِ النُـور قـاتم

تلـوَّتْ سِـياطٌ فـوقَ ظهـرِ مكـرَّمٍ ... مِـن اللُـؤمِ مـأخوذٍ بسـوطِ الألائـم

وباتَتْ بطـونٌ سـاغِباتٌ عـلى طَـوىً ... وأُتخِمَـت الأخـرى بطيـبِ المطـاعِم

أهـذي رعايـا أُمَّـةٍ قـد تهيَّـأتْ ... لِتسـتَقبلَ الـدُّنيا بعـزمِ المُهـاجِم!؟

أهـذا سـوادٌ يُبتغَـى لِلِمَّـةٍ ... ونحتاجُـهُ في المـأزِقِ المـتلاحِم؟

أهـذي النفـوسُ الخاويـاتُ ضَراعـةً ... نُبـاهي بهـا الأقـرانَ يـومَ التَّصـادم؟

أمِـنْ سـاعِدٍ رِخـوٍ هَزيـلٍ وكاهـلٍ ... عجـوزٍ نُريـدُ المُلْـك ثَبْـتَ الـدَّعائم!؟

مِنَ الظلْم أنّـا نَطْلُـبُ العـزمَ صـادقاً ... من الشعب منقوضَ القُوى والعـزائم[1]

وأنْ نَنْشُـدَ الإخـلاصَ في تضـحياتِهِ ... ونحـنُ تركنـاهُ ضـحيَّةَ غاشـم

وأنْ نبتغـي رِكضـاً حَثيثـاً لِغايـةٍ ... نُحاوِلُهـا مِـن راسِـفٍ في أداهـم[2]

لنـا حاجـةٌ عنـدَ السَّـوادِ عظيمـةٌ ... سـنفقِدُها يـومَ اشـتدادِ الملاحـمِ

هُنالِـكَ لا تُجـدي فتـيلاً عِصـابةٌ ... إذا جَـدَّ خطـبٌ فهـي أوَّلُ راجـم

وإنَّ سَـواداً يحمِـلُ الجَـوْرَ مُكْرهـاً ... فقـيرٌ لِهـادٍ بَـيّنِ النُصْـحِ حـازمِ

يَشُـنُّ عـلى الإقطـاع حَربـاً مُبيـدةً ... ولا يختشـي في الحـقِّ لَوْمـةَ لائـم

---

(1) منقوض القوى: أي منحلها ومنهدَّها.

(2) الأداهم: القيود التي توضع في أرجل المسجونين.

يَمُدُّ يداً تُعطي الضّعافَ حُقوقَهُمْ ... ويَسْطو بأخرى باطشاً غيرَ راحم
ويجتثُّ إقطاعاً أقَرَّتْ جُذُورَهُ ... سياسةُ تفريقٍ، وحَوْزُ مغانم
سياسةُ إفقارٍ، وتجويعُ أُمَّةٍ ... وتَسليطُ أفرادٍ جناةٍ غَواشم

***

لقد قُلْتُ لو أصغى إلى القولِ سامعٌ ... وماهوَ منّي بالظُنونِ الرّواجم
ألا إنَّ وَضعاً لا يكونُ رفاهُهُ ... مُشاعاً على أفراده غيرُ دائم
أمبترِداتٌ بالخمورِ تثلَّجَتْ ... وبالماءِ يَغلي بالعُطورِ الفواغِم
ومُفترِشاتٌ فضلةً في زرائبٍ ... يُوسّدُها ما حولَها مِن رَكائم[1]
وما أنا بالهيَّابِ ثورةَ طامع ... ولكنْ جِماعُ الأمرِ ثورةُ ناقم!
فما الجوعُ بالأمرِ اليسيرِ احتمالُهُ ... ولا الظُلْمُ بالمرعى الهنيءِ لِطاعِم
نَذيرَك مِن خَلْقٍ أُطيلَ امتهانُهُ ... وإنْ باتَ في شكلِ الضَّعيفِ المُسالم
بلادٌ تردَّتْ في مهاوٍ سحيقةٍ ... ونـاءتْ بأحمالٍ ثِقالٍ قواصِم
تَبيتُ على وعدٍ قريبٍ بفتنةٍ ... وتُضحي على قَرْنٍ من الشرِّ ناجم
ولو عُولِجَ الإقطاعُ حُمَّ شِفاؤها ... ومَنْ لي بطَبٍّ بيّنِ الحِذْقِ حاسم؟
ولم أرَ فيما ندَّعي مِن حضارةٍ ... وما يعتري أوضاعَنا من تلاؤم
وها إن هذا الشَّعْبَ يَطوي جَناحَهُ ... على خَطَرٍ من سَورةِ اليأس داهم
غداً يستفيقُ الحالمونَ إذا مَشَتْ ... رواعدُ من غضباتِهِ كالزمازم[2]

بغداد، عام ١٩٣٩

---

(١) الزرائب: جمع زريبة وهي حظيرة المواشي.

(٢) الزمازم: جمع زمزمة وهي ضجيج الرعد وزئير الأسد أو طقطقة النيران.

لبنان

ألقاها الشاعر في المهرجان الأدبي الذي أقامته مجلة "العرائس" اللبنانية في بلدة "بكفيا" في يـوم عيـد الزهور، وهو من الأعياد الشهيرة في لبنان.

نشرتها مجلة "العرائس" وقالت في تقديمها:

"توسط المائدتين الأستاذ محمد مهدي الجواهري صاحب جريدة "الرأي العام" البغدادية، ونثر عـلى الحضور مذهبته بلهجته العراقية العذبة المستحبة".

نشرتها جريدة "الأنباء" بعنوان:

"صوت بغداد مذهبة الجواهري"

تعرض الشاعر لمضايقة السلطات الفرنسية بعد هذه القصيدة، وإلى منعه من دخولِ لبنان في السـنتين ١٩٤٠ و١٩٤١، وذلك لمسّه الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان في المورد الأخير من القصيدة.

أرجعِي ما استطعتِ لي من شَبابي يا سُهولاً تَدَثَّرَتْ بالهِضابِ
غَسلَ البحرُ أخْمَصَيْها، ورشَّتْ عبِقاتُ النَّدى جِباهَ الرَّوابي
واحتواها "صِنّينُ" بينَ ذِراعيه عَجوزاً له رُواءُ الشَّباب[1]
كلَّلتْ رأسَهُ "الثّلوجُ"، ومسّتْهُ بأذيالها مُتونُ السَّحاب
وانثنى "كالإطار" يحتضِنُ الصّورةَ تُزْهى، أو جَدْولٍ في كتاب
كلَّما غامَ كُربةً من ضَبابٍ فرَّجَتْ عنه قُبْلةٌ من شِهاب
وبدَتْ عندَ سفحِهِ خاشِعاتُ الدُورِ مثلَ "الزّميت" في مِحراب[2]
وحوالَيهِ من ذَراريهِ أنماطٌ لِطافٌ، من مُسْتَقِلٍ وكابي

***

و"القُرَيّاتُ" كالعرائس تُجْلى كلَّ آنٍ تلوحُ في جِلباب
منْ رقيقِ الغُيوم تحتَ نِقاب ومِنَ الشَّمس طلقةً في إهاب
وهي في الحالتين فِتنةُ راءٍ بينَ لونين من مُشِعٍّ وخابي
والبيوتُ المُبَعْثَراتُ "نَثارُ" العُرس مبثوثةً بدونِ حساب
وتراها بينَ الخمائلِ تلتفُّ عليها، عمارةً في غاب
وتماسَكْنَ - والطبيعةُ شِعرٌ - كقوافٍ يَلْمَعْنَ غيرَ نوابي
زَهوُ خُمْرِ القِباب في الجَبَلِ الأخضرِ يَسبي كَزَهو أهلِ القباب

***

(1) صنين: هو أعلى جبال لبنان وأجملها.
(2) في البيت تشبيه للدور المتطامنة عند سفوح جبل صنين بـ "الزميت" وهو الرجل المنزوي المتعبد.

و"الكـــرومُ" المُعرّشـــاتُ حُبـــالى مُرضِـــعاتٌ كـــرائمَ الأعنـــاب

حانيـــاتٌ عـــلى "الـــدوالي" تُحلِّـــينَ عناقيـــدَ زينـــةً للكعـــاب

رافعاتُ الـرؤوسِ شُكْراً، وأُخرى ســاجداتٌ شُـكْراً عـلى الأعتـاب

سِـلْنَ في الحَقْـل مثـلَ رُوح لجسـم وتمـــدَّدْنَ فيـــهِ كالأعصـــاب

وتصـايَحْنَ: أيـنَ، أيـنَ النَّـدامى؟ و تغـــامَزْنَ ثَـــمَّ للأكـــواب

وتخـــازَرنَ و المعَـــاصِرُ أبصـــاراً حِـــداداً مَليئـــةً بالسّـــباب

نَظَـراتٍ كانـت خِطابـاً بليغـاً ولدى "العـاصرينَ" فحـوى الخطـاب

إنَّ خـيرَ الشُّـهورِ إرثـاً لشـهرٍ مـا تلقّـى "أيلـولُ" مـن شـهرِ "آب"

كيـــفَ لاتـــرقصُ الطبيعـــةُ في أراضٍ ثراهـــا مُخَضَّـــبٌ بالشـراب

***

غـاضَ "نبـعُ النَّهـارِ يُـؤذنُ ضـوء البـدْرِ قـد فـاضَ نبعـهُ بانسِـكاب

وانـــزوَتْ تلكُـــمُ الخليعـــةُ! طـــولَ اليـــومِ "عُريانـــةً" وراءَ حجـــاب

وأتـــتْ في غَيابـــةِ "الشَّـــفق" الأحمـــرِ مـــا تشـــتهي مِـــنَ الألعـــاب

أيَّ لـونٍ ألقـتْ عـلى الأرضِ حَـلَّى كـلَّ مـا فوقَهـا، وأيَّ خِضـاب

***

هـــدأ الحَقْـــلُ والمدينـــةُ والغـــابُ، ودوّى الصَّـــدى ورَجْـــع الجـــواب

ثـــمَّ ســـدَّ الـــدُروبَ جـــيشُ "الكَـــدودين" طَـــوالَ النَّهـــارِ في أتعـــاب

حبَّذا منظـرُ "الفـؤوس" اسـتراحتْ في "نِطـاقِ" الفـلاّحِ والحطَّـاب

واســـتقلَّ الجبـــالَ "راعـــي" غُنَـــيماتٍ يُـــدَوّي "بزجلـــةِ" و"عَتـــاب"

فـــاذا التقـــت حَلَـــقُ البطـــانِ وجـــدَّتِ النُـــوبُ الصِّـــعابُ[1]
خَفَفَـــتْ ظِلالُهُـــم ومـــاعوا مِـــن نُعـــومَتِهِم فـــذابوا
ونَجَـــوا بأنفُســـهِمْ وراحـــت طُعمَـــةَ النـــارِ الصـــحابُ

* * *

أطبـــق دُجـــىً، لا يَنْـــبَلِجْ صُـــبْحٌ ولا يَخْفِـــقْ شِـــهابُ
أطبـــق فتحـــتَ ســـماكَ خَلـــقٌ في بصـــائره مُصـــابُ
لا ينفـــتحْ – خوفـــاً عليـــه – مِـــن العمـــى للنـــور بـــابُ
أطبـــق إلى يـــومِ النشـــور ويـــومَ يكتمـــلُ النصـــابُ
أطبـــق دجـــىً حتَّـــى يقـــيءَ خُمـــولَ أهـــلِ الغـــاب غـــابُ
أطبـــق دُجـــىً؛ حتـــى يَمَـــلَّ مـــن الســـوادِ بـــهِ الغُـــرابُ
أطبـــق دُجـــىً؛ حتـــى يُحَلِّـــقَ في ســـماواتٍ عُقـــابُ
غضـــبانَ أنْ لم تحـــم أعشاشـــاً لهـــا طـــيرٌ غِضـــابُ

* * *

أطبـــق دُجـــىً؛ يَسْـــرَحْ بظلّـــكَ نـــاعماً عـــارٌ وعـــابُ
مِـــن لونِـــكَ الـــداجي رِيـــاءٌ و ارتيـــاعٌ وارتيـــابُ
يـــا عِصـــمةَ الجـــاني، ويـــا سرحـــاً تلـــوذُ بـــه الـــذئابُ

---

[1] حلق البطان: ما يربط به الحزام من آلة وعدة. و ((التقى)): حلق البطان مثل يضرب لعظمة المكروه واشتداده.

يـــا مـــنَ مشـــتْ بـــدمائها فيـــه الخنـــاجرُ والحِـــرابُ
يـــا مـــنْ يضِـــجُّ مـــن الشـــرورِ الزاحفـــاتِ بـــه العُبـــابُ
يـــا مـــنْ تضـــيقُ مـــن الهـــوام الزاحفـــاتِ بـــه الشِّـــعابُ
كُـــن سِـــتْرَ مُجرِمـــةٍ تهـــاوَتْ عـــن جريمتِهـــا الثيـــابُ

* * *

أطبـــق، فـــأين تفِـــرُّ إنْ تُســـفرْ وينحـــدرِ النِقـــابُ؟!
هـــذي الغَبـــاوات الكريمـــةُ! و الجمـــودُ المُســـتطابُ!
هـــذا النفـــاقُ تَربَّـــهُ صُـــحُفٌ ويُسْـــمِنهُ كِتـــابُ!
أطبـــق دُجـــى، حتـــى تجـــولَ كأنهـــا خيـــلٌ عِـــرابُ
هـــذي المعـــرّات الهِجـــانُ لهـــا لظُلمتِـــك انتســـابُ

* * *

أطبـــق؛ فأنـــتَ لهـــذه الســـوءاتِ – عاريـــةً – حجـــابُ
أطبـــق؛ فأنـــتَ لهـــذه الأنيـــاب – مُشـــحذةً – قـــرابُ
أطبـــق؛ فأنـــتَ لهـــذه الآثـــام – شـــائخةً – شـــبابُ
أطبـــق؛ فأنـــتَ لصِـــبغةٍ منهـــا إذا نصَـــلَتْ خِضـــابُ

* * *

كُـــنْ سِـــتْرَها لا يَنْـــبَلِجْ صُـــبْحٌ ولا يَخفِـــقْ شـــهابُ

بغداد، عام ١٩٤٩

احسنُ إذ تُسْتَ تَلْتَمِعُ ... مِنْ خَلْفِ الخَلْفِ تَسْرِعُ

تَرَى الحُسْنَ لِلشَّرْقِ مِنْ وَجْهِهِ ... وَمَا حُسْنُ تَرْكِيهِ لِلْمَشْرِقِ

وَلَوْ كَانَتِ الشَّمْسُ تَسْأَلُهُ ... عَلَى وَجْهِهِ أَبَدًا تَشْرُقِ

كَمَا نُورُ نَهْرٍ بِأَرْوَاحِهِ ... عَلَى كُلِّ (الجَوَاهِرِ) يَنْسَكِبُ

كَمَا أَرْسَلَ الفَجْرُ لِلشَّمْسِ ... مِنْهُ عَلَى كَوْكَبٍ يَسْبِقُ

كَمَا أَسْفَرَ الفَوْزُ لِلسَّيْفِ ... عِنْدَ النِّزَالِ (لِعَمْرٍو) يَقَعْ

كَمَا كَانَ لِلنُّورِ عِنْدَ الضُّحَى ... يَكُونُ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ مُشِعّ

كَمَا كَانَ بِالنَّصْرِ مِنْهُ لَنَا ... عَلَى الشَّرِّ وَالجَوْرِ أَجْرٌ لَنَا

كَمَا كَانَ (لِلْغَارِ) عِنْدَ (الرَّسُولِ) ... [illegible]

وَالعِزُّ لِلَّهِ عَلَيْهِ بِهِ ... [illegible]

* * *

أَحْسَنُ إِذْ [illegible] ... [illegible]

تَنَاظَرُ مِنْ [illegible] ... [illegible]

تَمَلَّأُ وَلَيْسَ لِمَلْئِهَا [illegible] ... [illegible]

حنين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أحِـــنُّ إلى شَـــبَحٍ يَلْمَـــحُ بعينَـــيَّ أطيافُـــه تَمْـــرَحُ
أرى الشَّـمسَ تُشْرِقُ مـن وجهـهِ ومـــا بـــينَ أثوابِـــهِ تجـــنحُ[1]
رضيَّ السَّـماتِ، كـأنَّ الضَّـمير عـــلى وَجْهِـــهِ ألِقـــاً يَطْفَـــحُ
كـــأنَّ العبـــيرَ بأردانِـــهِ عـــلى كـــلِّ ((خـــاطرةٍ)) يَـــنْفَحُ
كـــأنَّ بريـــقَ المُنـــى والهنـــا بعينيـــهِ عـــن كوكـــبٍ يقـــدحُ
كـــأنَّ غـــديراً فُويـــقَ الجبـــينِ عـــن ثقـــةٍ في ((غـــدٍ)) يَنْضَـــحُ
كـــأنَّ الغُصـــونَ عـــلى وَجْنَتيـــهِ يُكـــنُّ بهـــا نغـــمٌ مُفـــرِحُ[2]
كـــأنَّ بهامتِـــه منبعـــاً مـــن النُّـــورِ، أو جمـــرةً تجـــدحُ
كـــأنَّ (فَنَـــاراً) عـــلى ((كاهـــل)) يُنـــارُ بـــهِ عـــالَمٌ أفســـحُ
و آخَـــرَ شُـــدَّتْ عليـــه يـــدٌ فـــلا يَسْـــتَبِينُ، ولا تُفْـــتَحُ!

***

أحـــنُّ إليـــهِ بليـــغَ الصُّـــمُوت معانيـــهِ عَـــنْ نَفْســـها تُفْصِـــحُ
تَفـــايَضَ منـــهُ كمـــوجِ الخِضـــمِّ أو لحـــنِ ســـاجعةٍ تصـــدَحُ
جَمـــالٌ، ولـــيسَ كهـــذا الجـــمال! بـــما بهرَجَـــتْ زينـــةٌ يُصْـــلَحُ

---

[1] جنح يجنح جنوحاً: أقبل.. ومال.

[2] الغضون: جمع غَضُن أو غَضَن، وهو كل تجعد وتثن في جلد أو ثوب أو غيرها.

كـــأنَّ الـــدُّهورَ بأطماحِهـــا إلى خِلقـــةٍ مِثْلِـــهِ تَطْمَـــحُ
كـــأنَّ الأمـــورَ بمقياســـهِ تُقـــاسُ فتؤخـــذُ أو تُطـــرحُ
كـــأنَّ الوجـــوهَ عـــلى ضَـــوئهِ تَلـــوحُ فتَحسُـــنُ أو تَقـــبُحُ

***

يُـــداعبُني إذ تَجِـــدُّ الخُطـــوب فـــأمْزَحُ منهـــا كـــما يَمْـــزَحُ
يُشَـــدُّ جَنـــاني بعَزْماتـــهِ و دمعـــي بِبَسْـــماتهِ يُمْسَـــحُ
و يُـــبْرِدُ نَفســـي بأنفاسِـــهِ إذا لَفَّنـــي عاصـــفٌ يَلْفَـــحُ
و يَطْرُقُنـــي كلَّـــما راودتْ ضـــميريَ فاحشـــةٌ ترشَـــحُ[1]
وكِـــدتُ أُطـــاحُ بإغرائِهـــا فأخْـــدو ركائـــبَ مَـــنْ طُوِّحـــوا
فيمشـــي إليَّ وثِقْـــلُ الشُـــكوك مُنـــيخٌ عـــلى الـــنَفْسِ لا يَـــبْرَحُ
وقـــد أوشـــكَ الصَّـــبرُ أنْ يلتـــوي و يكسِـــرَهُ المُـــبْهِضُ المُـــترِحُ
وحـــين تكـــادُ شِـــعافُ الفـــؤاد بِسِـــكِّينِ مُطْمِعـــةٍ تُجْـــرَحُ[2]
وإذْ يُركِبُ النّفسَ – حَـدَّ الـرَّدى – عِنـــانٌ مـــن الشـــرِّ، لا تُكـــبَحُ
و إذْ يَعْصُرُ القلـبَ حُـبُّ الحيـاة! و كـــابوسُ حِرمانهـــا المُفْـــدِحُ
فيرفـــعُ وجهـــي إلى وجهِـــهِ ويقـــرأ فيـــه ويَسْتَوْضِـــحُ
فـــأرجِفُ رُعبـــاً كـــأنَّ الحشـــا تَخَطَّفَـــهُ أجـــدَلٌ أجلَـــحُ

---

[1] ترشح: تندى بالعرق.

[2] الشعاف: جمع شعفة، وهي من القلب رأسه عند معلق النياط.

وأفْهَمُ مِنْ نظرةٍ أنّني لشرٌّ فكَرْتُ بهِ أصْلَحُ!!
وأنَّ الضميرَ بغيٌّ يجيء لها ((اللَّيلُ)) ما ((الصُّبْحُ)) يستقبحُ
وأنْ ليسَ ذلكَ من دَيْدَنِ لِمَنْ هَمُّهُ عالَمٌ أصْلَحُ
فأنهالُ لثماً على كفّهِ وأسألُ عفواً وأستَصْفِحُ

* * *

أحِنُّ له: وكأنَّ الحياةَ خضراءَ مِنْ دونِهِ، صَحْصَحُ[1]
أحِنُّ له: وأحِبُّ الكَرى لسانحةٍ منهُ قد تَسْنَحُ
أحِنُّ له: ليسَ يَقْوى النَّعيمُ وكُلٌّ لذاذاتهِ مُرْبِحُ
ولا كلُّ ما نَهَزَ الناهِزون من المُمتِعاتِ وما استَنْزَحوا[2]
ولا كلُّ ما أمَّلَ الآمِلون ولا مُخْفِقٌ منهُ، أو مُنْجَحُ
لِتَعْدلَ مِنْ ثَغْرِه بَسْمةً بها نَسْمةُ الخلْدِ تُسْتَرَوَحُ

* * *

فيا ليتني بعضُ أنفاسِهِ لأمْنَحَ مِنْهُنَّ ما يَمْنَحُ
ويا ليتني ((ذرّةٌ)) عندَه لأسْبَحَ في فَلَكٍ يَسْبَحُ

بغداد، عام ١٩٤٩

---

[1] صحصح: جمعه صحاصح، وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد.

[2] نهز بالدلو في البئر: ضرب بها في الماء لتمتلىء. استنزح من نزح البئر إذا استقى ماءها حتى قل كثيراً أو نفد.

سر في جهادك

٤٤١

إثر فوز حزب ((الوفد المصري)) بالانتخابات وإعلان حكومة الوفد إلغاءَ معاهدة (١٩٣٦) البريطانية – المصرية.

سِرْ في جهادك يَحتَضنْك لِواءُ نشرتْ عليه قُلوبَها الشُهداءُ
ضوَّى به عَلَقُ النجيعِ كأنه قبسٌ يَنارُ بهِ الدُّجى ويُضاءُ[1]
من عَهد ((زغلولٍ)) يرِفُّ وتحتَه لِكابدي وَهج الوغى أفياءُ
لم يُخْزِه الخلَفُ الكريمُ ولا ازدرى الأبناءُ ما شرَعتْ لها الآباءُ
فَدتِ الكرامةَ بالحياةِ، ولم تقُلْ إنَّ الكرامةَ للحياةِ فِداءُ
إنَّ الجهادَ صحيفةٌ مخضوبةٌ جَمَدتْ عليها للشُعوبِ دماءُ
هَوَتِ العُروشُ على مَدِبِّ سُطورِها وتصاغرتْ لحروفِها الكُبراءُ
حمراءُ صارخةٌ، ومِنْ لَمَح السنا للتضحياتِ فإنها بيضاءُ
الهادياتُ الخابطينَ تساقطتْ منها على خُطواتِهمْ أضواءُ
ضلُّوا الطريقَ فأرشَدَتهمْ هامةٌ مَنخوبةٌ أو إصبعٌ جذّاءُ
آمنتُ بالفادينَ.. كلُّ بَنِيَّةٍ لم تُعلِها أشلاؤهُم فَهَباءُ

* * *

أزعيمَ مصرَ: وللشُعوبِ أمانةٌ ما انفكَّ يحمِلُ ثِقلَها الأمناءُ[2]
الصامِدونَ على وُعورةِ دَرْبِهمْ ما مسَّهم ضجَرٌ ولا إعياءُ
والصابرونَ على الجِلادِ.. وحولَهم لُجالِدينَ تناثرتْ أشلاء
يُنهى بها المُتشكِّكونَ وإنها أمرٌ لحُرٍّ مُؤمنٍ ونِداءُ

---

[1] النجيع: الدم النافع الذي به يحيا الإنسان ويصح.

[2] يقصد بزعيم مصر: مصطفى النحاس.

ورسالةٌ خُلِقَ البليغُ سريرةً ... لأدائِها، لا القالةُ البلغاءُ

إنَّ الضميرَ متى تخوَّنَ ربَّه ... شكٌّ، فقد خانَ اللسانَ أداءُ

* * *

سرْ في جهادِكَ تمشِ خلفَكَ أُمةٌ ... هي بالطّموحِ منيعةٌ عصماءُ

شرفٌ يمُدُّ الحقَّ أنَّ غريمَها ... شاكي السلاحِ، وأنها عَزلاءُ

عَركت صُروفَ الدهر لم تَبطُشْ بها ... غُمّى، ولا طاشتْ بها نَعماءُ

تَرمي فتدفعُ بالرُّماةِ إصابةٌ ... وتَزيدُ في تجريبهمْ أخطاءُ

واستكملتْ عُددَ الجهادِ، فذاذةٌ ... شُمُّ الأنوفِ، وقادةٌ أكفاءُ

في كلِّ يومٍ أبلجٌ يَنفي بها ... ظُلَمَ الشُّكوكِ، وأزهرٌ وضّاءُ

يجتَثُّ مِن دَغلِ القديمِ مُشذَّبٌ ... فيها.. ويحدِثُ لِبْنةً بنّاءُ

وجزاهُمُ خيراً جَزوهُ بمثلِهِ ... وطنٌ أفاءَ ظِلالَه وأفاؤوا

حتى انتهتْ لكَ فاضطلعت بعبئها ... و لِمِثْلِ مَتنِكَ كانتِ الأعباءُ

ولمثل نفسك ما تُفَلُّ بمثلِهِ ... عند النفوس عزيمة ومضاءُ

فاصمُدْ فحقُّكَ قوةٌ مرهونةٌ ... الأقوياءُ إزاءَه ضُعفاءُ

و انفُذْ بطعنتِكَ الصميمةِ إنها ... داءُ البُغاةِ وإنها لَدواءُ

فلقد تعجّبَ مُستبيحٌ غاصِبٌ ... إنَّ المُباحَ ذِمارُهم رُحَماءُ

ولقد تساءَلَ مقتَلٌ مُتكَشِّفٌ ... للبغي: أينَ الطعنةُ النَّجْلاءُ

ولقد تشكَّت مِن هوانٍ لديغِها ... في الناسِ تلكَ الحيَّةُ الرقطاءُ

* * *

أزعيمَ ((مِصرَ)) متى تُـرِدْ إنطاقَهـا ... تَنطِـقْ وتفصـحْ نقمـةٌ خرسـاءُ

مكبوتـةٌ كالنـارِ أعلَـتْ وَقْـدَها ... وَسْـطَ البيـوتِ مُصـرَّةٌ نكبـاءُ

سبعونَ عامـاً و ((الكِنانـةُ)) تَغـتلي ... والنيـلُ يَشـخَبُ والجمـوعُ تُسـاءُ[1]

وتُرابـةُ الـوادي تَـئِنُّ وحولهـا ... مرعوبـةً تتجـاوبُ الأصـداءُ

والـذُّلُّ يعتصِـرُ النفـوسَ جِرانُـه ... وكـأنَّ حَشـرجةَ الصـدورِ رُغـاءُ[2]

وعـلى العُيـونِ مِـن المَغاظـةِ جمـرةٌ ... وعـلى القُلـوبِ مـن الهـوانِ غُثـاءُ[3]

وثرى دنشـوايَ الخضـيبُ تصـوبُه ... بالـذكرياتِ غَمامـةٌ سـوداءُ

وصحائفُ التـاريخِ أفسـدَ زهوَهـا ... مـا عـاثَ في جَنَباتِهـا الـدُّخلاءُ

كقـوائمِ الطـاووسِ حـين تَروعُـه ... يَغـدو زُقـاءً ذلـكَ الخُـيَلاءُ[4]

وكـأنَّ مِنطقَـةَ ((القنـالِ)) تلوَّثـت ... بـالواغِلينَ، جَريمـةٌ شـنعاءُ

وكـأنَّ مَغـرِزَ كـلِّ رِجـلٍ مـنهمُ ... صـوتٌ يَصـيحُ متـى يـتمُّ جَـلاءُ؟

* * *

---

[1] يشخب بضم الخاء وفتحه: يسيل.

[2] الجران هو في الأصل مقدم العنق من البعير.. ثم استعير للأحمال والأثقال كما هو المقصود هنا لدلالة الأصل عليه إذ كان العنق ومقدمه مركزي الثقل في البدن.. والرغاء صوت الناقة والجمل.

[3] المغاظة: بمعنى الاغتياظ. و ((الغثاء)): هو ما يخالط زبد السيل من زبد الشجر البالي.

[4] الزقاء: الصياح.

سِرْ في جهادِكَ تلقَ حولَك تَرتمي ... ستَّ الجهاتِ لخَصمكَ البغضاءُ

هي خيرُ ما أسدى الطغاةُ وأسلَفت ... كفُّ الغُزاة، وما أفادَ بلاءُ

ومِنَ الصُّدورِ الموغَراتِ ذخيرةٌ ... ومن الذُّحولِ كتيبةٌ شهباءُ[1]

واشددْ جَنانَك لا ينلْكَ مُثبِّطٌ ... بالمُغرياتِ، ولا يخُنْكَ دَهاءُ

واحذرْ: فملءُ ثيابِ خصمِكَ غادِرٌ ... حِذرُ الجنانِ، وكائدٌ مَشّاءُ

بزَّ الثعالبَ في اقتناصِ أخيذِها ... وشأى الذئابَ بما تُساسُ الشاءُ

متنمرٌ يَغشى الضِّعافَ كأنه ... بُمسوحِه مترهبٌ بكّاءُ

يَستلُّ مِن قعرِ النُّفوسِ إباءَها ... و عِمادُ ما تبني الشعوبُ إباءُ

ويُشيعُ فيها اليأسَ أنْ تعلو يدٌ ... من دُونه، أو أنْ يقومَ بناءُ

أو أنْ يدورَ بغيرِ ما يُوحي به ... فَلَكٌ لها، أو أنْ تطولَ سماءُ

أو أنْ تمخضَ عن زعيمٍ بطنُها ... ما لم ((يعمَّدْ)) عندَه الزُّعماءُ

* * *

((شرَّ البُزاةِ)) قنصتَ، في يقَظاتِه ... خطرٌ، وفي غَفَواتِه إغواءُ[2]

يأتي الحَمامةَ وَكرَها إنْ أخلَدتْ ... ذُعراً، وأنذرَ بالحِمامِ فضاءُ

و استمْتَه شرَّ الظروفِ وقد هفا ... و تلقَّفَتْهُ غابةٌ شَجْراءُ

فتوقَّ أنْ تُرخي يديكَ فلم تَزَلْ ... فيهِ حياةٌ تُختشى وذِماءُ

---

[1] الذحول: الثارات والأحقاد.

[2] شر البزاة: يراد به هنا بريطانيا.

* * *

أثبتْ كُعوبَك تَغْلِ تحتَك ساعةً ... رمضاءُ، ثَمَّةَ تبرُدُ الرمضاءُ

وتَمَلَّ بالبُرَحاء تحمَدْ غِبَّها ... و تُمَّد مِن أنفاسِكَ الصُّعداءُ

ما أهونَ السرّاء إنْ لم تَغْشَها ... وتُزكَّ طُهْرَ نَتاجِها الضرّاءُ

شرفُ السياسةِ أن تخوضَ غِمارَها ... مُستبسِلاً، وكذلكَ الهيجاءُ

لو لم يكنْ عُقبى نضالِ مُناضلٍ ... إمّا، وإمّا.. لم يكنْ زُعماءُ

* * *

سبحانَ آلاءِ الشُّعوبِ فإنَّها ... لَتُقَلِّبُ الأيامَ كيفَ تشاءُ

والله في هِمَمِ الرِّجالِ، وإنْ رمى ... - رَجْمَ الظُنونِ - وشعوذَ الجهلاءُ

المحْكِمو أسرِ الشُّعوبِ تبدَّلتْ ... دُولٌ بهِمْ، فإذا هُمُ الأسراءُ

ناموا على الغَبْقِ اللذيذِ وأصبحوا ... فإذا الصَّبوحُ مدامعٌ ودماءُ

وإذا العبيدُ النائمونَ على العصا ... ناهُونَ في أوطانِهِمْ أُمراءُ[1]

وإذا وخيزُ الشوكِ يفرُشُ مَلعباً ... فرشَتهُ أمسِ حديقةٌ غَنّاءُ

وإذا بحُكمِ الأخرقينَ كما انبرتْ ... حمقاءُ تَنقُض غَزْلَها خرقاءُ

* * *

يا وفدَ ((مصرَ)) رأيتَ كيف تحوَّلت ... لِنقيضِها الأسماءُ والأشياءُ؟

---

[1] أمراء: جمع آمر.

أرأيتَ كيف الظلم أثبتَ صورةً ... لخرافةٍ تَعْيا بها العَنْقاءُ؟

نزلَ ((السَّراةُ)) على الصعالِكِ عالةً ... فلهمْ غِذاءٌ عندَهم وكِساءُ

عشرونَ مليوناً عريقٌ مجدُهم ... للبيضِ مِن حُلفائهم أُجَراءُ

منهمْ وإنْ سُلِخَتْ جلودُ نسائِهم ... للغانياتِ معاطفٌ وفِراءُ

وبهمْ وإنْ فُجِرتْ عُروقُهم دماً ... للشاربينَ تفجّرُ الصَّهْباءُ

ومِن الجياعِ وإنْ خوتْ أمعاؤهم ... للاعبينَ موائدٌ خضراءُ

ومِن البلادِ وإنْ تشرَّد أهلُها ... حِصنٌ يَقيهمْ غارةً ووِقاءُ

ومِن الشبابِ بمصرَ رَغْمَ أُنوفِهم ... عمَّن بلندَنَ جزيةٌ وفِداءُ

وكذلكمْ يجزي الحليفُ حليفَه! ... دُستورُ شرعٍ سنَّهُ الحُلفاءُ!

نِدٌّ يُعاهِدُ نِدَّهُ! ووراءَه ... قَدَرٌ يُقهقِهُ ساخِراً وقضاءُ

فإذا تململَ قيلَ بِئْسَتْ شيمةٌ ... طُعنَ الوفاءُ بها، وبئسَ وفاءُ

رُحماكَ تاريخَ الشعوبِ تحدَّنا ... ما شئتَ، إلاَّ أنَّنا بُلَداءُ

***

سِرْ في جهادِكَ علَّ جذوةَ قابسٍ ... من ((طور سينا)) تقبسُ الصحراءُ

ولعلَّ قافلةً تسيرُ القَهقرى ... فيها يُبدِّلُ سيرَها حدّاءُ

ولعلَّ مُضطَجَعَ النيامِ تهزُّه ... كفُّ الصباحِ فيحسرَ الإعفاءُ

يـــا "سُواســـبولُ" سَـــلامُ لا يَنَـــــلْ مجـــــدَكِ ذامُ

لا عَـــرا الســـيفَ حُســـاماً ذَرِبَ الحـــــدِّ انـــــثلام

لا يَنَـــلْ منـــكِ بـــما أُوذيْـــتِ في اللهِ اهتضـــام

لـــــكِ فـــــيما يُنقِـــــذُ العـــــالَمَ رَوْحٌ وجِمـــــام

في الضَّـــــحايا الغُـــــرِّ مـــــن آلِـــــكِ للحـــــقِّ دِعـــــام

كـــلُّ شِـــبْرٍ فوقَـــه مِـــن جُثَـــتِ القَـــتلى وِســـام

يـــذهَبُ الـــدَّهرُ ويَبقـــى مـــن تفانيـــكِ نِظـــام

الحِفـــاظُ المـــرُّ مـــا أنـــتِ عليـــهِ والـــذِّمام[1]

والحِفـــاظُ المُـــرُّ - أُغرمـــتِ بـــه - مـــوتٌ زُؤام

***

يـــا "سواســـبولُ" سَـــقاكِ الـــدَّمُ يزكـــو لا الغَـــمام

أعَـــلَى الـــذَّبْحِ اســـتباقٌ؟ أعـــلى المـــوتِ ازدحـــام؟

أهـــيَ سُـــوقٌ لمبـــاراةِ اللَّـــذاذاتِ تُقـــام؟

الـــرَّدى و المجـــدُ و الأشـــلاءُ والصُّـــلْبُ رُكـــام

قلعـــةٌ شرقيَّـــةٌ في كُرْبَـــةِ الأرض ابتِســـام

---

[1] الحفاظ: كالحفيظة الغضب.

يَهْـــرَمُ الـــدَّهرُ فـــإنْ عَنَّـــتْ لـــه فهـــوَ غُـــلام

شـــامخٌ ممّـــا أتـــى أبناؤهـــا الصِّـــيدُ الكِـــرام

شُـــعْلةٌ للحـــقِّ غطَّاهـــا مِـــنَ الظُلْـــمِ ضِرام

***

يـــا "سواســـبول" ســـلامُ و انحنـــاءٌ واحتشـــام

مـــا عســـى يَبْلُـــغُ – مـــن هـــذا الـــذي جئـــتِ – كـــلام

وعـــلى أرضِـــكِ آيـــاتٌ بليغـــاتٌ "عِظـــامُ"

هـــيَ في السِّـــلْمِ حيـــاةٌ وهـــي في المـــوتِ احـــترام

حـــولَ أســـوارِكِ مِـــن أطيـــافِ "أنصـــارٍ" زِحـــام

مُنْهَكـــاتٌ فقعـــودٌ مِـــن وَجِيْـــبٍ وقِيـــام[1]

نُثِـــرَتْ كَرهـــاً وطَوْعـــاً سُـــجَّداً حولَـــكِ هـــام

***

يـــا "سواســـبولُ" ووجـــهُ الـــدَّهرِ يَصْـــحُو ويُغـــام

و ســـنا البـــدرِ انتكاســـاتٌ فَـــنَقْصٌ و تَمَـــام

ومـــنَ السُّـــقْمِ عـــلاجٌ و مـــنَ الـــبُرْءِ سَـــقام

يـــا منـــاراً يُرْشِـــدُ العـــالَمَ و الـــدُّنيا ظَـــلام

---

[1] الوجيب: الخفقان.

مـــرَّ عـــامٌ، كـــلُّ يـــومٍ منـــهُ في التـــأريخ عـــام

كـــلُّ آنٍ يَســـأَلُ العـــالمُ: مـــاذا يـــا عِصـــام؟

كيـــف "خَرْكـــوفُ" وهـــلْ بَعْـــدُ عِتـــابٌ أو مَـــلام؟

كيـفَ "رُسـتوفُ" لهـا بـ "الأسـودِ" الطّـامي اعتصـام؟[1]

وهَـــلِ القَفْقـــاسُ - كالعهـــدِ - جيـــادٌ وَ سَـــوام؟

لبنيـــهِ والـــذُّرى الشُـــمُّ عـــلى المـــوتِ اعـــتِمام[2]

صـــهوةُ الأدهـــمِ، والفـــارسُ يُزهَـــى، و الحُســـام

***

زُبُـــرُ "الفـــولاذِ" قـــدْ أفرغَهـــا قَـــيْنٌ هُمـــام[3]

أمـــةً لا صَـــدْعَ فيهـــا لا ارتجـــاعٌ، لا انقســـام

إنَّـــهُ "الإيـــمانُ" إيثـــارٌ، و عـــدلٌ و وئـــام

مُثُـــلٌ زالَ بهـــا جُـــو عٌ وجهـــلٌ، واحتِكـــام

هكـــذا تُنبـــتُ أرضٌ هـــيَ بـــالحقِّ اقتســـام

يَمْلِـــكُ الـــزَّارِعُ مـــا يـــزرَعُ لا عَبـــداً يُســـام

---

(1) "خركوف" و"رستوف": من المدن السوفياتية التي كان لأهليها بلاء محمود في الدفاع وصد المعتدين. و"الأسود الطّامي" يراد به البحر الأسود.

(2) الاعتمام: لبس العمامة كناية - هنا - عن الاستعداد للحرب.

(3) القين: الحداد.

***

صرَّحَ الشـــرُّ وجَـــــلّى و انجَـــلى عنـــهُ اللِّثـــام
وبـــدا الغـــدرُ شَـــتِيمَ الوجـــهِ يعلُـــوهُ القَتـــام[1]
وَخُـــمَ المرتَـــعُ بالبـــاغي وَ حَـــلَّ الانتقـــام
جَـــرَتِ الفُلْـــكُ مُلِحَّـــاتٍ و حـــانَ الارتطـــام
دُوْنَـــكِ الغـــارِبَ جُبِّيـــهِ فقـــد جُـــبَّ السَّـــنامِ[2]
بَيَّـــتَ الجـــاني عـــلى "الفَعْلـــةِ" فالصَّـــفْحُ أثـــام
واســتَوى الحـــالُ فمعنـــى أن يَعِفّـــوا أنْ يُضـــاموا
فالـــدمُ الغـــالي حَـــلالٌ و تحاشـــيهِ حَـــرام
بَـــرَّرَ "الفَجْـــرَةَ" و اســـتامَ الخَنـــا جـــيشٌ لُهـــام
فـــالقُرى والشِّـــيبُ و الرُضَّـــعُ، للنَّـــارِ طعـــام
أهـــيَ ذي القُـــوَّةُ يعتَـــزُّ بهـــا هُجْـــنٌ طَغـــام
أيُّ سُـــخْرِيَّةِ أهـــواءِ أُنـــاسٌ أمْ هَـــوام؟
الحديـــدُ الضَّـــخْمُ يَختـــارُ أحَـــرْبٌ أمْ ســـلام؟
والخَنَـــا والنُبْـــلُ يقضـــي فـــيهما هـــذا الحُطـــام؟
مـــا لهـــذا الـــوحشِ مِـــن نـــاهٍ؟ وللخيـــلِ لجـــام؟
فَســـلُوا المعطـــاشِ للـــدَّمِّ أمَـــا بُـــلَّ الأُوام؟

---

(1) القتام: الغبار.

(2) جب: قطع.

وسَـــلُوا الحُـــبلى لَقـــاحَ الشَّـرِّ هـــلْ بعـــدُ وِحـــام؟

***

بشِـــعَ الفـــنُّ وذابـــتْ صُـــوَرُ الرّفْـــق الوِســـام
و انـــبرى أشـــنَعَ مـــا خَـــطَّ وشَـــطَّ الاجـــترام
جَمَـــدَ الطفـــلُ عـــلى الثَّـــدي فهـــلْ هـــذا انســـجام؟
وهَـــلِ البَـــتْرُ ابتـــداعٌ وهَـــلِ السَّـــمْلُ التـــزام؟
و هـــلِ الألـــوانُ و الأضـــواءُ، ســـيقانٌ وَهـــام؟
و هـــل الحيطـــانُ بالأحيـــاءِ تُبنـــى و تُقـــام
فِكْـــرَةٌ مِـــنْ وَحْـــيِ أهـــلِ الكَهْـــفِ، إذ مَلُّـــوا فنـــاموا؟

***

يـــا "سواســـبولُ": ســـلامُ و هيـــامٌ، وغـــرام
وتســـابيحٌ تَغنّـــى بـــكِ مـــا غنّـــى حَمـــام
يـــا سواســـبولُ: ســـيَنْجابُ مِـــن الشَّـــرِّ قَتـــام
وستســـتيقِظُ أجيـــالٌ عـــلى الـــذلِّ نِيـــام
وســـيَنْجَرُّ عـــلى شـــوكِ الجماهـــيرِ عُـــرام
يـــا سواســـبولُ: مصـــيرُ البغـــي – مـــا دَوّى – رَغـــام[1]
وحديـــدٌ صُـــبَّ في مُســـتَنْقَعِ العُهْـــرِ كَهـــام[2]
يـــا سواســـبولُ: ســـلامُ لا يَنَـــلْ مجـــدَكِ ذام

بغداد، عام ١٩٤٢

---

[1] الرغام: التراب.

[2] الكهام: الذي لا يغني ولا ينفع، ومنه السيف الكهام أي الكليل الذي لا يقطع.

بنت بيروت

مهداة إلى عمر فاخوري

ذكرى تلك الساعات على الأبيض المتوسط

يـا عَذبَـةَ الـرُّوح يـا فتَّانـةَ الجَسـدِ ... يا بنتَ "بـيروتَ" يـا أنشـودةَ البلـدِ

يـا غَيمـةَ الشَّـعرِ مُلتاثـاً عـلى قَمـرٍ ... يا بسـمةَ الثغـر مفـترّاً عـن النَّضَـد[1]

يا روعـةَ البحـرِ في العينـينِ صـافيةً ... يـا نشـوةَ الجبَـلِ الملتـفِّ في العَضُـد

يا قَطرةً من نِطـاف الفجـر سـاقطَها ... من "أرز" لبنانَ خفّاقُ الظلالِ ندي[2]

يـا نَبتـةَ الله في عَليـا مَظـاهرِه ... آمنـتُ بـالله لم يُولـد ولم يَلِـد

يـا تلعـةَ الجيـدِ نصَّـته فـما وَقَعـت ... عَـينٌ عـلى مثلـه يَـزدانُ بالجَيَـد[3]

يُطِـلُّ منهـا بوجـهٍ أيِّ مُحتَمـلٍ ... ويَسـتريحُ بصـدرٍ أيِّ مقتعَـد

يا جَوهرَ اللُّطفِ يا معنىً يضيقُ بـه ... لَفـظ فيقذِفُـهُ الشِـدقانِ كالزبَـد

أُعيـذُ وجهَـكِ أن أشْـقى بِرقَّتِـه ... وفَيضَ حُسنِك أن يَعيا بـرِيِّ صَـدي

ولا يليـقُ بأجفـانٍ أنشِّـرُها ... على جمالـكِ أن تُطوى عـلى السُّـهد

يَـدٌ مَسـحتُ بهـا عَينـي لأُغمِضَـها ... على الهوى ويدي الأُخرى على كَبدي

وَرَدتُ عن ظمإٍ مـاءً غَصصـتُ بـه ... فليـتَ أنِّيَ لم أظمـأ ولم أرِد

قـالَ الرِّفـاقُ ونـارُ الحُـبِّ آكلـةٌ ... مِـن وَجنتـيَّ أهـذا وجـهُ مُبـتَرِد

***

لمْ أدرِ أذكُـرُ "بيروتـاً" بـأيِّكما ... أأنـتِ أم لَـوعتي يـا ليلـةَ الأحـد

---

(1) النضد: ما تنضد وتراصف.

(2) النطاف: جمع نطفة وهي الماء الصافي.

(3) تلعة الجيد: وتلعه انتصابه وارتفاعه. والجيد بفتح الجيم والياء: الحسن في الجيد.

عجَّ الرصيفُ بأسرابِ المها وهَفا ... قلبي بزفرةِ قَنّاصٍ ولم يصد

فمِن مُوافِيةٍ وعْداً، وراقبةٍ ... وعْداً، وأينَ التي وفَّت ولم تَعِد؟

***

فُويقَ صدرِكِ من رفق الشباب به ... أشهى وأعنفُ ما يُعطى لمتهد[1]

كنزانِ من مُتعِ الدُنيا يُقِلُّهُما ... جَمُّ الندى سَرِفٌ في زِيِّ مُقتَصِد

قالوا تَشاغَلَ عن أهلٍ وعن ولَدٍ ... فقال نهداك: لم يَشغَله من أحد

سوى رَضيعَي لبانٍ توأمٍ حُبسا ... رهنَ الغِلالةِ إشفاقاً من الحَسَد

***

راجَعتُ نفسي بما أبقى الشبابُ لها ... وما تخلَّف من أسآرهِ بيدي[2]

فما أمرَّ وأقسى ما خَرجتُ به ... لولا بقيةُ قلبٍ فيَّ مُتَّقِد

أمسي مَضى بلُبانات الهوى وأتى ... يَومي يُمهِّد بادي بَدأةٍ لِغَدي

لبنان: عام ١٩٤٢

---

[1] المتهد: المرأة الناهد.

[2] الأسآر: جمع سؤر وهو البقية في الإناء.

الفهـرس

مقدمة ديوان الجواهري. طبعة ١٩٣٥ ..... ٩

إلى السعدون ١١

المجلس المفجوع ١٩

إلى الخاتون المس بل ٢٥

الملك حسين ٢٧

في الأربعين ٣٣

في أربعين السعدون ٤٣

عناد ٤٧

سبيل الجماهير ٤٩

سلمى على المسرح ٥٥

تأبين الغراف الميت ٦١

عتاب مع النفس ٦٧

إلى البعثة المصرية ٨١

الأوباش..... ٨٩

دمعة على صديق ٩٦

الشاعر ابن الطبيعة الشاذ ٧٥

إلى جنيف ٩٩

الحزبان المتآخيان ١٠٥

بشرى جنيف ١١١

الباجه جه في نظر الخصوم ١١٧

يدي هذه رهن ١٢٣
المحرّقة ١٢٩
شباب يذوي ١٣٥
الدم يتكلم بعد عشر ١٣٩
سلمى (وردة بين أشواك) ١٤٥
تائه في حياته ١٥١
عريانة ١٥٧
حافظ إبراهيم ١٦٣
فيصل السعود..... ١٦٩
الأنانية ١٧٥
أحمد شوقي ١٨١
القرية العراقية ١٩١
صورة للخواطر ٢٠١
أفروديت ٢٠٣
سامراء ٢٢١
بديعة ٢٢٩
الشاعرية بين البؤس والنعيم ٢٣١
وحي الرستمية ٢٣٣
عبادة الشر ٢٣٧
رابطة الأدب ٢٤٣
إلى الباجه جي في نكبته ٢٤٥

أنغام الخطوب ٢٥١
قتل العواطف ٢٥٣
ليلة معها ٢٥٩
عقابيل داء ٢٦٥
الذكرى (دمعة تثيرها الكيمان) ٢٧٣
ثورة النفس ٢٧٩
لعبة التجارب ٢٨٧
وادي العرائش ٢٩٢
تحية الحلة ٢٩٩
معرض العواطف ٣٠٥
الفرات الطاغي ٣١١
حالنا (في سبيل الحكم) ٣١٧
عاشوراء ٣٢٣
أول العهد ٣٣٠
الصبر الجميل ٣٣١
الشاعر الجبار ٣٣٣
المازني وداغر ٣٤١
الزهاوي ٣٤٧
أنا ٣٥٥
يا بدر داجية الخطوب ٣٦١
حياة الشعراء ٣٦٧
العدل ٣٧٣
تحرك اللحد ٣٧٥

في السجن ٣٨٣
شباب ضائع ٣٨٧
ذكرى الهاشمي ٣٩٣
إلى الشباب السوري ٣٩٩
يوم فلسطين ٤٠٥
شاغور حمانا ٤٠٩
ناجيت قبرك ٤١٥
خبر ٤٢١
الإقطاع ٤٢٣
لبنان ٤٢٩
أجب أيها القلب ٤٣٥
أكلة الثريد ٤٤٣
تطويق ٤٤٤
يراع المجد ٤٤٥
صياد ٤٤٦
سواستبول ٤٤٧
بنت بيروت ٤٥٥
الفهرس ٤٥٩

ملحق للباحثين

طبعات ديوان الجواهري:

١- حلبة الأدب (أول مجموعة في العشرينات)

٢- طبعة ١٩٢٨

٣- طبعة ١٩٣٥

٤- طبعة ١٩٤٩

٥- طبعة ١٩٥٠

٦- طبعة ١٩٦٣

٧-طبعة ١٩٥٧

٨- طبعة ١٩٦٠

٩- طبعة ١٩٦١

١٠- بريد الغربة ١٩٦٥

١١- طبعة ١٩٦٧

١٢- طبعة ١٩٦٨

١٣- طبعة ١٩٦٩

١٤- خلجات ١٩٧١

١٥- بريد العودة

١٦- طبعة وزارة الثقافة والاعلام العراقية ١٩٧٣-١٩٨٠

١٧- طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ١٩٧٩-١٩٨٤

١٨- طبعة دار "العودة" ١٩٨٢

١٩- مختارات "الجواهري في العيون من أشعاره"- دار "طلاس" ١٩٨٦

الجزء الثاني

القصيدة	المرجع وتأريخ النشر
إلى السعدون	جريدة "العراق" العدد ٢٩٢٣ في ١٨/ ١١/ ١٩٢٩ بعنوان "إلى روح زعيم الأمة السعدون" ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١.
المجلس المفجوع	جريدة "العراق" العدد ٢٩٢٧ في ٢٢/ ١١/ ١٩٢٩،٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١.
إلى الخاتون المس بل	جريدة "العراق" العدد ٢٩٥٠ في ١٩/ ١٢/ ١٩٢٢ بتوقيع "عراقي"، ١٦ ج١، ١٨ج١.
الملك حسين	جريدة "العراق" العدد ٢٩٥٥ في ٢٥/ ١٢/ ١٩٢٩ بعنوان "بريد الأشواق – إلى جلالة المنقذ الأعظم الملك حسين"، ٣ بعنوان "إلى ضيف العراق المنتظر- جلالة الملك حسين"، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١.
في الأربعين	جريدة "العراق" العدد ٢٩٥٨ في ٢٨/ ١٢/ ١٩٢٩ بعنوان "في أربعين الفقيد"، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١.
في أربعين السعدون	جريدة "العراق" العدد ٢٩٦٤ في ٤/ ١/ ١٩٣٠، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١.
عناد	٣ بعنوان "عناد وتعسف"، ٨ ج١، ١٠، ١١، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١.
سبيل الجماهير	١٦ ج٢، ١٧ ج ٢، ١٨ ج١.
سلمى على المسرح	جريدة "الفرات" العدد الأول في ٧/ ٥/ ١٩٣٠، ٣، ١٦ ج١٨،٢ ج١.
تأبين الغراف الميت	جريدة "الفرات" العدد١٢ في ١٥/ ٥/ ١٦،٣،١٩٣٠،ج٢، ١٨ ج١.

عتاب مع النفس	جريـدة "العـراق" العـدد ٢٩٦٦ في ٦/ ١/ ١٩٣٠، ٣ بعنـوان "تبعات الحياة أو عتـاب مـع الـنفس"؛ ٤ ج٨،٧،١ ج١٢،١ ج١، ١٦ ج٢، ١٧ ج١، ١٨ ج١.
الشاعر.. ابن الطبيعة الشاذ	جريـدة "العـراق" العـدد ٣٣٠٢ في ٧/ ٢/ ١٩٣١ بعنـوان "الشاعرية أو ابن الطبيعة الشاذ" ٣، ١٦ ج٢، ١٧ ج٣، ١٨ ج١.
إلى البعثة المصرية	جريدة "العـراق" العـدد ٣٣٠٧ في ١٣/ ٢/ ١٩٣١، ١٦ ج٢، ١٧ ج٢، ١٨ ج١.
الأوباش	جريـدة "العـراق" العـدد ٣٣٩٢ في ٢٩/ ٥/ ١٩٣١، ٣ بعنـوان "الأوباش أو (مسلخة) القضاء والنظامات"، ٣، ٦ ج٣، ١٦ ج٢، ١٧ ج١، ١٨ ج١، ١٩.
دمعة على صديق	جريدة "العراق" العـدد ٣٤١٨ في ٢٩/ ٦/ ١٩٣١، بعنـوان: "إلى روح فقيد الشباب" ٣، ١٦ ج٢، ١٨ ج١.
إلى جنيف	جريـدة "العـراق" العـدد ٣٤١٩ في ٣٠/ ٦/ ١٩٣١، ٣ بعنـوان "غاب الأسود" حول سفر جلالة الملك المعظم، ١٦ ج٢، ١٧ ج١، ١٨ ج١.
الحزبان المتآخيان	جريـدة "الأخـاء الـوطني" العـدد ٢٤ في ٢٨/ ٨/ ١٩٣١ بعنـوان "المعارضة" ٣، ١٦ ج٢، ١٨ ج١.
بشرى جنيف	جريدة "العراق" العـدد ٣٥٠٠ في ٣/ ١٠/ ١٩٣١ بعنـوان "تحيـة الملك العظيم"، ٣، ١٦ ج٢، ١٨ ج١.
الباجه جي في نظر الخصوم	جريدة "العراق" العـدد ٣٥١٧ في ٢٤/ ١٠/ ١٩٣١، ٣، ١٦ ج٢، ١٨ ج١.
يدي هذه رهن	جريـدة "العـراق" العـدد ٢٥٥٥ في ٩/ ١٢/ ١٩٣١، ٣ بعنـوان "الحالة الراهنة.. يدي هذه رهن"، ١٦ ج٢، ١٧ ج٤، ١٨ ج١.

المحرقة	جريدة "العراق" العدد ٣٥٥٥ في ٩/ ١٢/ ١٩٣١ بعنوان "كفاني اضطهاداً.. إني طالب شبرا"، ٣، ٦ج٣، ٨ج١، ١٢ ج١، ١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج١، ١٩.
شباب يذوي	٣ بعنوان "الحياة في شكلها الصحيح"، ٦ ج٣، ٨ج١، ١٦ ج٢، ١٧ج١، ١٨ ج١، ١٩.
الدم يتكلم بعد عشر	جريدة "الإخاء الوطني" العدد ١٨ في ٢١/ ٨/ ١٩٣١ بعنوان "من الأعماق"، ٣، ٤ج١، ٨ج١، ١٢ ج١، ١٦ ج٢، ١٧ج٣، ١٨ج١، ١٩.
سلمى (وردة بين أشواك)	٣، ١٦ ج٢، ١٨ ج١.
تائه في حياته	جريدة "العراق" العدد ٣٦٠٣ في ٣/ ٢/ ١٩٣٢ بعنوان "عيشة في الجحيم أو فلسفة الحب"، ١٦، ٣ج٢، ١٧ج٢.
عريانة	٣ بعنوان "من الأدب المكشوف.. عريانة"، ١٦ ج٢، ١٧ ج٤، ١٨ ج١، ١٩.
حافظ ابراهيم	جريدة "العراق" العدد ٣٧٦٩ في ٢٢/ ٨/ ١٩٣٢ بعنوان "الجواهري" يرثي شاعر النيل، ٣ بعنوان: "إلى روح شاعر النيل حافظ ابراهيم"، ٤ج١، ٩ج٢، ١٣ج٢، ١٦ج٢، ١٧ج٤، ١٨ج٤، ١٩.
فيصل السعود	جريدة "أم القرى" بمكة ١٩٣٢، ٣ بعنوان "الأمير فيصل السعود" ١٦ ج٢، ١٨ ج٢.
الأنانية	٣، ١٦ج٢، ١٧ج١٨، ١ج٢، ١٩.
أحمد شوقي	كراس "المدرسة الأمريكية" في بغداد الخاص بالحفل التأبيني في ١١/ ١١/ ١٩٣٢، ٣ بعنوان "مناحة الشعر على أمير الشعراء"، ٦ج٣، ٩ج٢، ١١، ١٣ج٢، ١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.

القرية العراقية	٣ بعنوان "وصف الطبيعة في القرية"، مجلة "الاعتدال" النجفية، العدد ٥ السنة الثالثة، تشرين الأول ١٩٣٥، جريدة "الرأي العام" العدد ٢٦٠ في ١/ ١٢/ ١٩٣٩، ٦ج٣، ٨ج١، ١٢ج١، ١٦ج٢، ١٧ج١، ١٨ج٢، ١٩.
صور للخواطر	٣ بعنوان "الأدب المكشوف.. صورة للخواطر"، ٨ ج١، ١٢ ج١، ١٦ج٢، ١٧ج١، ١٨ج١٩، ٢.
أفروديت	جريدة "الأهالي" عام ١٩٣٢ (ثلاث قطع منها)، جريدة "الرأي العام" عام ١٩٤٦ (ثلاث قطع اخرى منها)، ٤ج١، ٧، ٩ج٢، ١٠، ١٢ ج١، ١٦ج٢، ١٧ج٥، ١٨ ج٢، ١٩.
سامراء	٣ بعنوان "صورة الوطن.. الطبيعة الضاحكة في سامراء" ٤ ج١، ٧، ٩ج٢، ١٣ج٢، ١٦ج٢، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
بديعة	٣، ٦ج٢، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
الشاعرية بين البؤس والنعيم	١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢.
وحي الرستمية	١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩ .
عبادة الشر	٣، ١٦ ج٢، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢.
رابطة الآداب	١٦ ج٢، ١٨ ج٢.
إلى الباجه جي في نكبته	٣ بعنوان "إلى معالي مزاحم بك الباجه جي" ١٦ ج٢، ١٨ ج٢.
أنغام الخطوب	٣، ١٦ ج٢، ١٨ ج٢.
قتل العواطف	٣، ١٦ ج٢، ١٧ ج١، ١٨ ج٢.
ليلة معها	٣، ٥ ج٢، ١٦ ج ٢، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢، ١٩.
عقابيل داء	٣ بعنوان "الوضع الاجتماعي.. عقابيل داء" ٤ ج١، ٧، ٨ج١، ١٢ ج١، ١٦ ج٢، ١٧ ج١، ١٨ ج٢، ١٩.
الذكرى أو دمعة تثيرها الكمان	٣، ١٦ ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.

ثورة النفس	٣ بعنوان "بعد السكوت.. ثورة النفس" ١٦ ج٢، ١٧ ج٣، ١٨ ج٢، ١٩.
لعبة التجارب	٣، ٥ ج٢، ٨ ج١، ١٦ ج٢، ١٧ ج١، ١٨ ج٢.
وادي العرائش	٣، ٤ ج١، ٩ج٢، ١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
تحية الحلة	مجلة "الإعتدال" العدد ٩ السنة الثانية ١/ ٢/ ١٩٣٥، جريدة "العراق" العدد ٣٨٠٥ في ٢/ ٢/ ١٩٣٥، ٣ بعنوان "هنا بابل قام الفن.. تحية الحلة"، ١٦ ج٢، ١٨ ج٢.
معرض العواطف	جريدة "العراق" العدد ٣٨٧٢ في ٧/ ٥/ ١٩٣٥، جريدة "الإنقلاب" العدد ٩٠ في ٣٠/ ٤/ ١٩٣٧، ٣، ٥ج٢، ١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
حالنا (في سبيل الحكم)	جريدة "الإصلاح" العدد ١٨ في ١٢/ ١٠/ ١٩٣٥، جريدة "الإنقلاب" العدد ١١ في ٢٤/ ١٢/ ١٩٣٦ بعنوان "من ذكريات الماضي، حالنا أمس أو في سبيل الحكم"، ١٦ج٢، ١٨ج٢.
عاشوراء	٣ بعنوان "روعة التأريخ.. عاشوراء"، جريدة "الرأي العام"، العدد ٢٢٥ في ٢٤/ ١١/ ١٩٤٧، ١٦ج٢، ١٨ج٢، ١٧ج٤، ١٨ج٢، ١٩.
الصبر الجميل	٥ج٢، ٨ج١، ١٠، ١٦ج٢، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
الشاعر الجبار	جريدة "الأنباء" الدمشقية عام ١٩٣٥، ١٦ج٢، ١٧ج٤، ١٨ج٢.
المازني وداغر	جريدة "البلاد" العدد ٧٩٥ في في ٢١/ ٢/ ١٩٣٦، ١٦ج٢، ١٧ج٤، ١٨ج٢.
الزهاوي	جريدة "البلاد" العدد ٧٩٨ في ٢٥/ ٢/ ١٩٣٦، ١٦ج٢، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢.
أنا	جريدة "العراق" العدد ٤١٢٢ في ٤/ ٣/ ١٩٣٦، ١٦ ج٢، ١٨ ج٢.

يا بدر داجية الخطوب	مجلة "الهاتف" عام ١٩٣٦، ١٦ ج٢، ١٨ ج٢.
حياة الشعراء	جريدة "العراق" العدد ٤٢٦٥ في ٢٥/٨/ ١٩٣٦، ١٦ ج٢، ١٨ ج٢، ١٩.
العدل	مجلة "الإعتدال" العدد الأول – السنة الرابعة كانون الاول ١٩٣٦، ١٦ ج٢، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢.
تحرك اللحد	جريدة "الإنقلاب" العدد ٢١ في ١٩/ ١/ ١٩٣٧، ٤ج١، ١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
في السجن	١٦ج٢، ١٧ج٢ ،١٨ج٢.
شباب ضائع	جريدة "الإنقلاب" العدد ٣٢ في ١٥/ ٢/ ١٩٣٧، ٥ج٢، ١٣ج٢، ١٤، ١٦ج٢، ١٧ج ٣، ١٨ج٢.
ذكرى الهاشمي	جريدة "الرأي العام" العدد ٣٣ في ١٢/ ٢/ ١٩٣٨، ١٦ج٢، ١٨ج٢.
إلى الشباب السوري	جريدة "الاستقلال العربي"، جريدة "الرأي العام" العدد ١٧٦ في ١/ ٢/ ١٩٣٩، ٦ج٣، ١٦ج٢، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
يوم فلسطين	جريدة "الاستقلال العربي" الدمشقية، جريدة "الراي العام" العدد ٥٦ في ٥/ ٥/ ١٩٣٨، مجلة "الخمائل" العدد ٢ في تشرين الثاني ١٩٣٨، ١٦ج٢، ١٧ج٣، ١٨ج٢، ١٩.
شاغور حمانا	جريدة "صوت الأحرار" البيروتية صيف عام ١٩٣٨، جريدى "الرأي العام" العدد ٦٨ في ١٦/ ٦/ ١٩٣٨، ١٦ج٢، ١٧ج٤، ١٨ج٢.
ناجيت قبرك	جريدة "الرأي العام" العدد ١٧٨ في ١٩٣٩/٣/١٨، ٤ج١، ١٦ج٢، ١٧ج٢، ١٨ج٢، ١٩.
خبر	جريدة "الرأي العام" العدد ١٨١ في ٨/ ٤/ ١٩٣٩، ١٦ج٢، ١٨ج٢.

الإقطاع	٤ج١، ٩ج٢، ١٣ج٢، ١٦ج٢، ١٧ج٤، ١٨ج٢، ١٩.
لبنان	مجلة "العرائس" عام ١٩٣٩، جريدة "الأنباء" العدد ٧٨ في ٢٣/ ١١/ ١٩٣٩ بعنوان "صوت بغداد.. مذهبة الجواهري" ٥ج٢، ٩ج٢، ١٣ج٢، ١٦ج٢، ١٧ج١، ١٨ج٢، ١٩.
أجب أيها القلب	جريدة "الرأي العام" العدد ٤٥٤ في ٢٨/ ١/ ١٩٤١، ٤ج١، ٩ج٢، ١٢ج١، ١٦ ج٣، ١٧ ج٣، ١٨ ج٢، ١٩.
أكلة الثريد	جريدة "الرأي العام" العدد ٤٧١ في ١٨/ ٣/ ١٩٤١ بعنوان "هم أناس تولعوا بالثريد"، ١٦ ج٣، ١٧ج٢، ١٨ ج٢.
تطويق	جريدة "الرأي العام" العدد ٤٨٠ في ٢٠/ ٤/ ١٩٤١ بعنوان "إلى نوري الأورفه لي"، ١٦ ج٣، ١٨ ج٢،.
يراع المجد	جريدة "الرأي العام" العدد ٥١٧ في ٢٥/ ١٢/ ١٩٤١، بعنوان "الديمقراطية في الجبهة الشرقية" ١٦ ج٣، ١٧ ج١، ١٨ ج٢.
سواستبول	جريدة "الرأي العام" العدد ٦٠٢ في ٢/ ٧/ ١٩٤٢، ٤ ج١، ٧، ٩ ج٢، ١٠، ١١، ١٣ ج٢، ١٦ ج٣، ١٧ ج٤، ١٨ ج٢، ١٩.
بنت بيروت	جريدة "الرأي العام" العدد ٦٥٥ في ١٤/ ١٠/ ١٩٤٢، ٤ ج١، ١٦ ج٣، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢، ١٩.
صياد	١٦ ج٧، ١٨ ج٤.

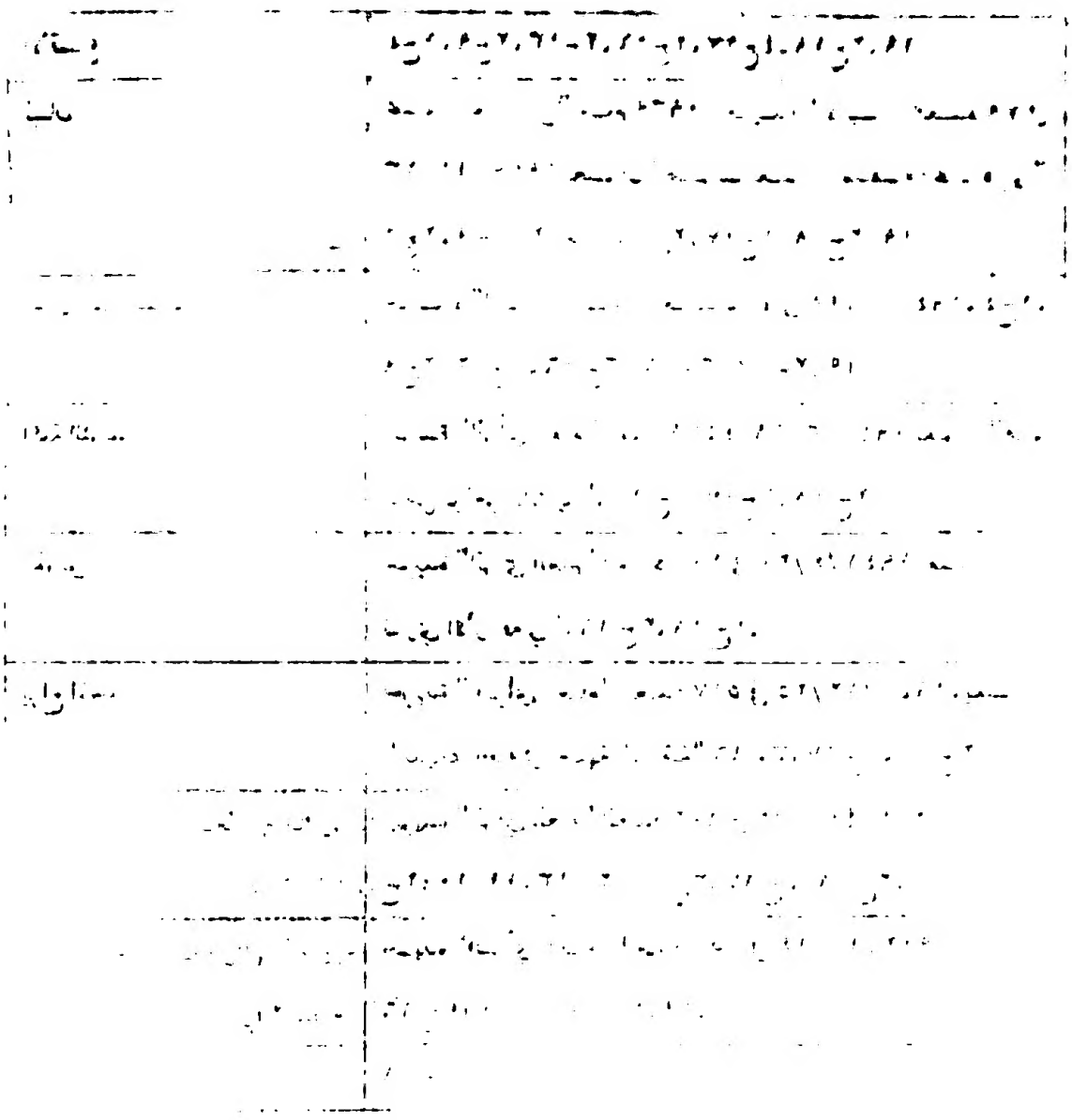

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

كان شعرُ الجواهري يشكّلُ رحىً هائلةً تدورُ بعمومِها على قطبها الخاص، إن بين الخاص والعام رابطةً مثيرة. وعبر علاقتهما نستطيعُ أن نشخصَ حركة النمو في شاعريته (منذ العشرينات حتى نهاية الخمسينات). فلقد عاشت سنو الشاعر منذ الثلاثينات تفاوتات ظاهرةً، وحركةً دائبةً لا تطمئنُ إلى قرارٍ ولا تهدأ عند أرض، كان الشاعرُ فيها فارساً جوّاباً هجر مرافىءَ الدفءِ وطاف مع البحرِ يقتحمه بلا هيبة، ولاشك.

فوزي كريم

وزارة الثقافة والسياحة وآلاثار العراقية
طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية
info@darculture.com
سعر النسخة : 8000 IQD